دراسات اجتماعية

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
العدد (٣٧) لسنة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م

رئيس التحرير
أ.د. متعب مناف جاسم

سكرتير التحرير
أ.م.د. خديجة حسن جاسم

الهيأة الإستشارية
أ.د. لاهاي عبد الحسين الدعمي
أ.د. خليل ابراهيم رسول
أ.د. عدنان ياسين مصطفى
أ.د. سلام عبد علي
أ.م.د. فريدة جاسم دارة

المراجعة اللغوية والطباعية
د. رفعت كاظم السوداني

الإخراج الفني والالكتروني وتصميم والغلاف
نمير صابر خليف

أهداف وضوابط النشر

اهداف بيت الحكمة

بيت الحكمة مؤسســة فكرية علمية ذات شــخصية معنوية واســتقلال مالي واداري مقره في بغداد ومن اهدافه:-

* العناية بدراسة تأريخ العراق والحضارة العربية والاسلامية .

* ارســاء منهج الحوار بين الثقافات والاديان بما يســهم في تأصيل ثقافة السلام وقيم التسامح والتعايش بين الافراد والجماعات .

* متابعة التطورات العالمية والدراسات الاقتصادية وآثارها المستقبلية من العراق والوطن العربي

* الاهتمــام بالبحــوث والدراســات التي تعزز من تمتع المواطن بحقوق الانســان وحرياته الاساســية وترسيخ قيم الديمقراطية والمجتمع المدني .

* تقديم الرؤى والدراسات التي تخدم عمليات رسم السياسات .

ضوابط النشر

- تنشــر المجلة البحوث التي لم يســبق نشــرها ويتم اعلام الباحث بقرار المجلة خلال ثلاثة اشــهر من تاريخ تسلم البحث .

- ترسل نسخة واحدة من البحث باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية لا تزيد كلماته عن ٢٠٠ كلمة شريطة ان تتوافر فيه المواصفات الاتية :

أ- ان يكون البحث مطبوعاً على قرص مرن (CD) بمسافات مزدوجة بين الاسطر وبخط واضح .

ب- ان لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٢٠) صفحة بقياس(A4) عدا البيانات والخرائط والرسوم.

ج- ان تُجمع المصادر والهوامش كلها متسلسلة في نهاية البحث وبمسافات مزدوجة بين الاسطر .

- يحصل صاحب البحث المنشور في المجلة على نسخة مجانية من العدد الذي ينشر فيه البحث .

- تعتذر المجلة عن اعادة البحوث سواء نشرت أم لم تنشر .

- يحتفظ القسم بحقه في نشر البحث طباعياً والكترونياً على وفق خطة تحرير المجلة .

المحتويات

كلمة العدد

سكرتير التحرير ٧

البحوث والدراسات

تحليل محتوى القيم في الحكايات اليابانية القديمة للأطفال
أ.د. خليل ابراهيم رسول ١١

علي الوردي: أفكار ومفاهيم دراسة تحليلية في كتابه «لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث»
أ.د.علي عبدالهادي المرهج ٣٩

علاقة الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للمدينة بالرفاهية والجريمة..دراسة نظرية
أ.م.د. عبد الرزاق احمد سعيد ٦١

علم اللغة الاجتماعي .. محاولة نحو الفهم والتأصيل
مقرر الندوة: ميساء فلاح حسين ٧٧

اللغة .. رؤية سوسيو - أنثروبولوجية
أ.د ناهدة عبد الكريم حافظ ٨٣

الدلالات الاجتماعية للتنوع اللغوي
أ.م. د. غني ناصر حسين القريشي ٩٩

العنف والطفولة والبناء التربوي في واقع المجتمع العراقي
مقرر الندوة: ميساء فلاح حسين ١٢٩

الطفولة والتحديات التنموية في العراق
أ. د. عدنان ياسين مصطفى ١٣٩

العنف ضد الاطفال والبناء التربوي في واقع المجتمع العراقي
أ.م.د. علي حسين الحلو ١٥٧

العنف المدرسي الموجه لتلاميذ المدارس الابتدائية الصديقة للطفل وأقرانهم في المدارس الاعتيادية من وجهة نظر أولياءالأمور(دراسة مقارنة)
د.عبدالكريم محسن محمد ١٨١

كلمة العدد

مع صدور العدد (٣٧) من مجلة الدراســات الاجتماعية تكون المجلة قد سجلت انعطافة ملحوظة في الاهتمام بمختلف التخصصات التي تضمنتها العلوم لاجتماعية فضلاً على العلوم التربوية والنفســية وهذا بالتأكيد دليل حي على تنوع اهتمامات المجلة وشمولية معالجتها حقول المعرفة الاجتماعية والإنســانية كلها، فمجلة الدراسات الاجتماعية لا تعنى بدراسات علم الاجتماع فقط بل هي مظلة تنطوي تحت لوائها كل الدراســات والنشاطات الفكرية كلها ذات التوجهات الاجتماعية الملتزمة بالمنهج العلمي القويم والتي تتناول افكاراً جديدة وتقدم معالجات علمية وعملية من خلال ربط الواقع الاجتماعي بمستجدات الفكر الاجتماعي عربياً وعالمياً مما ينعكس ايجابياً على وعي الافراد وعلى حركة المجتمع.

ان هيأة تحرير المجلة وهي تصدر عددها (٣٧) تؤكد تشجيعها للبحوث العلمية الرصينة والتزامها بقبول الافكار والمعالجات العلمية الجديدة الملتزمة بمنهج البحث العلمي الســليم ولعلها مناسبة ودعوة لكل الباحثين والأكاديميين كلهم – أفراداً ومؤسسات للتواصل والتعاون من اجل تحليل الاحداث الاجتماعية المتسارعة وبلورة الافكار وتقديم الحلول التي تستهدف بناء الانسان والمجتمع بصورة علمية سليمة وبما يضمن تقدم المجتمع وأمنه.

سكرتير التحرير

البحوث والدراسات

تحليل محتوى القيم في الحكايات اليابانية القديمة للأطفال

أ.د. خليل ابراهيم رسول(*)

ملخص البحث

يستهدف هذا البحث تعرف طبيعة الحكايات الخطابات اليابانية القديمة و انواعها ،و طبيعة شخصيات ابطالها و مكانتهم الاجتماعية. و هو يتناول بالتحليل مجموعة قصصية بعنوان حكايات يابانية قديمة. وصولا الى ما تطرحه من قيم تستهدف الاطفال اليابانيين التي نشرها ; محمد عضيمة وكوتا كاريا بعد ترجمتها الى اللغة العربية . و هي لا تعكس طبيعة المجتمع الياباني الان الا انها تظهر جذور الحياة اليابانية التي لا زالت متمسكة بقيمها الى حد ما.

ومع انها حكايات قديمة الا ان فيها احداثاً و عبراً قادرة على جذب انتباه الاطفال و تغذية خيالهم و مشاعرهم و فتح افاق تفكيرهم نحو الابداع، فضلا على ارتباطها بالتراث الروحي الياباني.

و قد انتهج الباحث منهج تحليل المحتوى باسلوبه الكمي العلمي و متطلباته، و استعمل تصنيفين عالميين مشهورين هما كل من تصنيف كلكهون و تصنيف جايلد و اخرون، و هما تصنيفان للقيم بعد ان تأكد من صدقها و ثباتها و ملاءمتها لتحليل تلك القصص. و اظهرت قيم الثبات الذي يعد التعريف الاجرائي للموضوعية و الصدق نسباً عالية تجاوزت ٨٠٪ في كل من تحليل الباحث مع نفسه عبر الزمن، و تحليل الباحث مع محلل خارجي اخر.

و اظهرت نتائج البحث ان الانسان منسجم مع الطبيعة و بعد الماضي على انه البعد الزمني المفضل، و نمط الوجود في الشخصية، و العلاقات الاسرية قد احتلت المرتبة الاولى تبعا لتصنيف كلكهون.

اما تصنيف جايلد و اخرون فقد استحوذت على المرتبة الاولى كل من الحكايات الخرافية و الراشدين ابطالا كونهم شخصيات رئيسة و

(*) جامعة بغداد/ كلية الآداب/قسم علم النفس

ثانوية في مجموعة الحكايات، و الطبقة الفقيرة، فضلا على ان الاثابة كانت اعلى من العقوبة كثيرا في تلك الحكايات.

و استعمل الباحث وسائل احصائية كمربع كاي للدلالة المعنوية للفروق بين رتب ميادين التصنيفين المعتمدين.

الفصل الاول

اهمية البحث و الحاجة اليه

تعد الحكايات الشعبية جزءاً من الموروث الحضاري للأمم، سواء موجهة الى الكبار كانت أم الى الصغار ، و تنال خصوصية متمايزة عندما تتوجه الى الاطفال ، لأنها تعكس وجه المجتمع في الماضي و الحاضر و المستقبل.

فالطفل هو اساس شخصية الرجل الراشد سيكولوجيا، و ان اسس الشخصية تتأثر تأثرا كبيرا في السنوات الاولى من حياة الفرد، وان خبرات الطفولة ذات تاثير كبير تفكير الفرد وسلوكه الاجتماعي.

ان الحكايات و القصص في مرحلة الطفولة تسهم اسهاما فاعلا في النمو الثقافي للفرد لأنها مصدر من مصادر تكوين الاتجاهات و القيم التي يريد المجتمع نموها في الحياة البيتية، و ستظهر في سلوك ابناء ذلك المجتمع بدرجة او بأخرى.

ان معرفة القوانين العامة للسلوك الانساني و تطوره .لا يمكن لها ان تفسر تطور الاتجاهات و السمات السلوكية ما لم يتم معرفة الانماط و العوامل الثقافية التي تسود المجتمع .ومعرفة الاساليب التي يستخدمها المجتمع عبر مؤسساته الاجتماعية المختلفة في دعم السلوك المرغوب .و معرفة العلاقة الوظيفية بين هذه الاساليب، وما يترتب عليها من سمات سلوكية عبر اساليب التنشئة الاجتماعية (اسماعيل،١٩٨٦،ص٩).

وكما هو معروف ،فان الحكاية الشعبية نوع من القصص لا مؤلف لها ، لأنها حاصل ضرب عدد كبير من الوان السرد القصصي الشفاهي، و هي تدور حول اشخاص او احداث ابدعها خيال الشعب ، و ترتبط بأفكار و ازمنة و موضوعات و تجارب انسانية ذات علاقة بما هو سائد في حياة الانسان و لا تخرج عن حدود ما هو سائد الا في حدود معينة. (الهيتي،١٩٨٨،ص١٨٥).

ان الحكايات و القصص التي توجه الى الاطفال تعد جزءا مما يطلق عليه «ادب الاطفال». و تمثل الحكاية موقعا متمايزا لجاذبيتها و اخيلتها و حوادثها الممتعة، وقدرتها على اطلاق خيال الاطفال و ابداعاتهم، فضلا على تأثيرها في الحياة الانفعالية و تخفيف التوترات و الرغبات المكبوتة. وهي على انواع، منها ما يرد على لسان الحيوان. ومنها الخرافية التي تروي عن الجن، ومنها التاريخية التي تشير الى بطولات رموز وطنية، و منها ما يصلح للتعبير عن طبيعة الحياة المعاشة.

ان البحث الحالي ينفرد عن البحوث التي تناولت ادب الاطفال، اذ انه اختص بشعب اليابان، و ليس الشعوب الاخرى، في محاولة للنفاذ الى استكشاف ما تحتويه تلك الحكايات اليابانية القديمة من قيم بنت الانسان الياباني الحالي، و ما تكتنفه شخصيته من مبادئ سامية جعلته في مقدمة الشعوب التي نهضت من تحت ركام الحرب العالمية الثانية المدمرة، ليقدم انموذجا للإرادة الحرة و التصميم المثابر،

ويسهم في خلق الحضارة الانسانية التي نعيشها اليوم.

ان الانسان الياباني يعيش اليوم في اطار ثقافة عامة، هي بالتأكيد جزء مهم من كيان اليابان المعاصرة (رايشاور،١٩٨٩،ص٢٧١). و الحكايات اليابانية القديمة ، صحيح انها حكايات قديمة، بل قديمة جدا، الا انها لا تزال متجددة، و محل اهتمام الجهات التربوية الرسمية و غير الرسمية، لأنها تمثل تراث الاجداد و تعبر عن روح يابانية خالصة حتى و ان تقاطعت بعضها مع حكايات شعوب اخرى، الا ان هذا البعض انصهر داخل التراث الياباني بفعل كثير من التغيير و التدوير و الاضافة (عضيمة و كاريا،٢٠٠٣،ص٦).

يستمد هذا البحث اهميته من اهمية الثقافة التي توجه الى الاطفال صُنّاع المستقبل، تلك التي تربي الجيل على القيم المرغوبة في المجتمع و تربي الانسان القادر على مواجهة تحديات العصر. فتقدم المجتمع لا يبنى على اسس التقدم العلمي و التقني فقط ،بل على اسس بناء الانسان بمثلهِ و قيمهِ التي يتميز بها من غيره من الشعوب في هذا الكون، لاننا اذا اردنا معرفة شخصية الانسان علينا معرفة نظامه القيمي.

و ليس من المهم ان تصبح دولة من الدول المتقدمة قوية من خلال ما تمتلك من ترسانة عسكرية و قنابل نووية. انما في مقدرتها استثمارها كل الطاقات البشرية و الطبيعية كافة لتحقيق الاعتماد على النفس في الغذاء و توظيف التكنولوجيا الوافدة من العالم المتقدم لتطوير القدرات الانتاجية الزراعية و الصناعية، و تجعل من الغذاء الروحي و العقلي للمجتمع هو «الانتماء» للوطن ، و احترام الهوية الوطنية و تقديسها، اذ يستحيل من دونها اللحاق بالأمم المتقدمة التي كانت في يوم اكثر تخلفا من الاخرين (رايشاور،١٩٨٩،ص٨-٩).

و هذا ما بدا واضحا في المجتمع الياباني الذي ارسى دعائم التقدم التقني و العلمي لعالمه و للعوالم الاخرى، فضلا على ما يتمتع به من حس انساني نبيل في تعامله مع محيطه الحياتي، و محيطه العالمي، فاصبح محط انظار العالم و شعوبه المحبة للخير و السلام.

اهداف البحث:

يستهدف البحث الحالي الاجابة عن الاسئلة الاتية:

١. ما طبيعة التوجهات القيمية في الحكايات اليابانية القديمة للأطفال، من حيث:-

ا. علاقة الانسان بالطبيعة، كونه خاضعاً او منسجماً معها او مسيطراً عليها؟

ب. البعد الزمني المفضل للإنسان، الماضي، او الحاضر ، او المستقبل؟

ج. نمط الشخصية المفضل الوجود او الوجود نحو الصيرورة او الفاعلية؟

د. العلاقة المفضلة بين الانسان و الانسان، كونها علاقة اسرية «عائلية» ، او تعاونية، او تنافسية؟

٢. ما انواع الحكايات اليابانية القديمة ، من حيث كونها تاريخية ، او دينية، او خرافية، او حيوانية ، او شخصية من الحياة المعاشة؟

٣. ما نوع الشخصية التي تناولتها الحكايات

اليابانية القديمة من حيث:

ا. الشخصية فيها رئيسة او ثانوية؟

ب. الجنس: ذكور او اناث؟

ج. العمر: طفل او راشد؟

د. المكانة الاجتماعية: طبقة فقيرة ،او متوسطة، او غنية؟

٤. ما نوع التعزيز الذي اكدته الحكايات اليابانية القديمة من حيث:-

ا. الاثابة: كونها مادية ،او معنوية، او شخصية؟

ب. العقوبة: كونها مادية او معنوية او شخصية؟

ج. غياب التعزيز؟

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بعينة من الحكايات اليابانية القديمة، المجموعة في ضمن كتاب «حكايات يابانية قديمة» الذي ترجمه كل من محمد عضيمة و كوتاكاريا عام ٢٠١٣/الطبعة الاولى. عن دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر في دمشق/سوريا. و قد اختيرت تلك الحكايات من كتاب «الحكايات اليابانية القديمة» التي جمعها و صاغها توشيو- اوزاوا في خمسة مجلدات و نشرتها دار فوكو انيكان- شوتين في طوكيو عام ١٩٩٥. و هي موجهة في غالبيتها الى الاطفال حتى نهاية المرحلة الدراسية الابتدائية.

تحديد المصطلحات:

يتطرق البحث الى المصطلحات الاتية:

اولا: القيم

يعرفها جابلن chaplin ١٩٧١، بانها غاية او هدف اجتماعي يكون تحصيله مرغوبا فيه. (Chaplin,١٩٧١,p.٥٢١).

و يعرفها ستيورات ١٩٧٨، بانها مواقف و معايير للحكم حول ما هو مهم و صحيح و مرغوب فيه من الاشياء . (Stewart,١٩٧٨,p.٥٧٦).

و يعرفها كلكهوهن ١٩٦٧ ، بانها مفهوم صريح او ضمني يميز بها الفرد او الجماعة للمرغوب فيه، و تؤثر في عملية الاختيار مما هو متاح من اشكال العمل ووسائله و غاياته. (Kluckhohn & murray,١٩٦٧,p.٥٩).

و بما ان هذا البحث قد استعمل تصنيف كلكهوهن في تصنيف القيم فانه سيلتزم بهذا التعريف في تحليله للقيم في كل من تصنيفي كلكهوهن و جايلد و اخرون.

ثانيا: الحكاية

- الحكاية لغة: من الفعل حكي، و القول حكيت فلانا حاكيته، اي فعلت مثل فعله او قلت مثل قوله سواء لم اجاوزه. (ابن منظور، ٢٠٠٩،ص٢٣٦، مجلد١٤).

- الهيتي: الحكاية بالمعنى العام تعني السرد القصصي الذي يتناقله الناس، منه ما هو شعبي و منه ما هو خرافي منسوب الى مؤلف مجهول (الهيتي،١٩٨٨ ،ص١٨٤).

- و يرى الباحث ان الحكاية هي قول متسلسل ينقل على صورة قصة، غالبا ما تكون قديمة عن ايام زمان، و قد تتخللها خرافات و اساطير تضفي عليها نوعاً من البهجة و الشد و الانتباه على أحداثها.

الفصل الثاني
ادبيات البحث:

تعـد الحكايات الشـعبية من اقـدم الانواع الادبية التي قدمتها البشـرية للأطفال و الكبار، و هـي تسـتهدف تأصيـل القيـم و العلاقـات الاجتماعيـة، اذ ان كل حكايـة تقـدم معنـى او سـلوكا معينا تريد له ان يتحقـق ، او انها تريد نبـذ سـلوك مـا ، او قيمة مـا، اذ تعـد القيم من المفاهيم النسـبية غيـر المطلقة التي تكونت من الحوافز الفسـيولوجية الاولى للإنسان و عبرت عن نفسها في مستهل حياة الطفل في الرغبة في الطعام و في الدفء. و هي اللبنة الاولى في قيم الاطفال التي بنيت عليها فيما بعد القيم الاخرى مـن مثل حـب الاخرين و الانتمـاء للمجتمع و الوطن، فهي اذن قرينة وجود الانسان و اسلوب حياته (العجيلي،١٩٨٥،ص٢٥).

و الحكاية الشـعبية لا يشترط فيها ان تكون على لسان البشر، بل قد ترد على لسان الحيوان او الجن او الشـخصيات الخرافية كالسـحالي و العفاريـت و غيرها. و هي بالرغم من جاذبيتها الا انهـم مفعمـة بالقيـم و الاتجاهـات و الحكم كقصـص او حكايات الف ليلة و ليلة، وكليلة و دمنة لابن المقفع.

و فـي ظل التطور الـذي تمر به الحضارة الانسانية من تقدم علمي و تقني ، هناك من نظر البعض الـى الحكايات الشـعبية و كأنها خارج اطار الزمن، و لا تتسق مع ايقاع الحياة الحالية. غيـر ان نظرة اخـرى اليها تظهـر اهمية تلك الحكايات القديمة في قدرتها على خلق الخيال و التصور المبدع الذي يشـد الاطفال اليه، خاصة اذا ما نقلـت عن طريق الاجهزة التقنية الحديثة مثل التلفاز و الاقراص المدمجة و ما الى ذلك.

و تحفـل الحكايات الشـعبية بالأسـاطير و الخرافـات و القـوى الخارقة غيـر المرئية. و بعضهـا يتجه اتجاهـا اخلاقيـا، اذ يكافأ الخير بالخيـر ،و الشـر بالشـر، و هي غالبـا ما تبدا بمقدمـات متكـررة فـي الغالب مثـل كان يا ما كان فـي قديم الزمان، و تنتهي بنهايات سـعيدة مـا يجعل الاطفـال يتعلقون بالخرافـات كونها تنطـوي على خيال واسـع، و اعمال سـحر، و خوارق ، ما يحقق الكثير من رغباتهم النفسـية فـي جـو خيالـي و يجـدون لـذة فـي انتصار الابطـال الخيريـن، و يجدون فيهـا عجائب و غرائب و مشـاعر للصدق و التضحية و الوفاء (الهيتي،١٩٨٨،ص١٨٨-١٨٩).

اما القصص و الحكايات الشعبية التي تقدم على لسان الحيوان ، فأنها هي الاخرى مصدر تعلـق الاطفال بها. و يبدو ان الانسـان وجد في الحيوان عفوية، فاستسـاغ ان يجعله في مخيلته و يسـبغ عليه ما يشـاء ، فيظهره ذكيا او بليدا ، او طيبا او شـريرا، او قويـا او ضعيفا، او وفيا او غـادرا. من خـلال الحكايات الشـعبية التي اظهـرت الحيوان، يفكر و يتحـدث ،حاله حال البشر (الهيتي،١٩٨٨،ص١٩٠-١٩١).

وتمتـاز الحكايـات اليابانيـة القديمـة بانتشارها الواسـع على كامل التراب الياباني، كحكاية "موموتارو ابـن الخوخة" او حكاية " الدورية المقطوعة اللسـان" او حكاية "حروب السـرطعان و السـعدان " . و ليس هناك حكاية قديمة ليسـت مشهورة بين اليابانيين. و هذه من خصائـص المجتمعات التي تنعـدم فيها الامية، اذ ليـس هناك فـي اليابان ما هو غير مشـهور مـن الحكايات القديمة الى الروايـات الجديدة ، و من الشـعر القديم الى الشـعر الحديث ، حتى

يصـاب الاجنبـي بالصـداع لكثرة المشـاهير فـي اليابان من شـعراء و روائييـن و كتاب و صحفييـن و ممثليـن و مخرجين و رياضيين و موسـيقيين ، و ذلك كله يـكاد ان يكون معروفا عند الياباني او قد سمع بها على الاقل (عضيمة وكاريا،٢٠١٣،ص٦-٧). و هذا امر طبيعي و هو مـا جعل اليابانيين يتفوقون على غيرهم في اسـتمرار خصائصهم الثقافية و الاصرار على الاحتفـاظ بها و ببعض السـمات الاخرى اكثر من غيرهم (رايشاور،١٩٨٩،ص١٦٤).

امـا اللغـة التي تكتب بها الحكاية الشـعبية القديمة في اليابـان، فهي مزيج من لغة التداول اليومي الشفوية و في اللغة المتداولة في الكتابة بشـكل عام، لان الفارق بينهما في اللغة اليابانية يكاد يكون غير مرئي.

و اللغـة اليابانية مكونة من ثلاث ابجديات: هـي ابجدية اللغة الصينية التي اسـتقدمت قديما الى اليابان، و تقوم على رسـم الشـيء كما هو للتعبيـر عنـه، و حروفهـا لا عدد لهـا ، و من يحفظ الفين منها فـي الاقل ، يمكن التعبير عنه بانـه يعـرف الصينيـة واليابانية جيـدا. و هي تشـبه اللغة اللاتينية التـي تفرعت عنها اللغات الاوربيـة. و لذا فقد تفرعـت عن اللغة الصينية ابجديتـان هما، ''الهيراغانـا'' و حروفها (٤٦) حرفـا و ''الكاتاكانـا'' و حروفهـا (٤٦) حرفا ايضـا. و بهاتين الابجديتيـن، او بواحدة منهما – و غالبـا مـا تكون الهيراغانـا - يبدا الاطفال الكتابـة و القراءة . و غالبيـة حكايات الاطفال و قصصهـم تـرد مكتوبـة بالهيراغانـا. و ان كل حكايـة مـن الحكايات اليابانيـة القديمة هي تجربة فردية او جمعية داخل المجتمع الياباني، و هـذا ما يقدم صـورة لليابانـي المعاصر ، و فـي ذهنـه ما قدمته تلـك الحكايـات التي تمكن الآخريـن من تعـرف طريقـة تفكيـر الياباني (عضيمة،٢٠١٣،ص٨-١٠).

ان هـذه الحكايـات لهـا ارتبـاط بالتـراث الروحـي اليابانـي ، و هي ليسـت غريبة على الشـعوب الاخرى خاصة الشرقية منها، اذ نجد حكايـات الف ليلة وليلة، و حكايات الشـطار و العيارين في التراث العربي و حكايات الشعوب الاوربية التي اغلبها مشـابهة لما عند الشعوب الشـرقية، و قد يكون ذلك بسـبب المستشرقين الاوربيين الذين عاشوا في المشرق و نقلوا منه مـا نقلوه، و منها الحكايات التي جاءت بعد ذلك باللغات الاوربية المختلفة.

ان الحكايـات الشـعبية للصغـار و الكبار نالـت اهتمامـاً كبيراً في البحوث و الدراسـات النفسـية و الاجتماعية و طبقـت عليها مختلف مناهـج البحث، و هي تعُدُّ دراسـات سـابقة في الموضوع، لا يسـتطيع اي باحث فـي الميدان تجاهلها و تجاهل النتائج التي توصلت اليها، كتلك الدراسات التي انتهجت منهج تحليل المحتوى، التـي طبقـت تصنيـف كلكهوهـن او تصانيف اخـرى قريبة من تصنيف (جايلـد و اخرون). و من تلك الدراسـات على المستوى العراقي و العربـي و العالمي، دراسـة الخطيب(١٩٧٤) التـي تناولت التحولات فـي الاتجاهات القيمية لكتـب المطالعة العربية للدراسـة الابتدائية بين اعـوام(١٩٥٧- ١٩٥٨)، (١٩٧١-١٩٧٢). و قد اسـتعملت تصنيـف كلكهوهن، و اظهرت نتائجهـا ان المسـتقبل هـو الزمـن المفضل. و ان هناك تأكيد السـيطرة علـى الطبيعة، فضلا علـى تأكيدها الفاعلية على انه نمط الشـخصية المفضل (الخطيب،١٩٧٤،ص٥٩-٨٩).

و دراسة العجيلي ١٩٧٩، التي حللت قصص الامهات العراقيات ، و اظهرت نتائجها بحسب تصنيف (جايلد و اخرون)، ان القصص الخرافية قد احتلت المرتبة الاولى، و لم تظهر القصص التاريخية و الدينية، و ان الذكور اكثر ظهورا من الاناث، و الاطفال اقل ظهورا من الراشدين الكبار ، و ان المكانة الاجتماعية للفقراء احتلت المرتبة الاولى، فيما تساوت نسبتا الاثابة و العقوبة و التعزيز (العجيلي،١٩٨٩،ص١٥٨-١٦٠).

و دراسة رسول ٢٠١٥ التي استعملت تصنيف كلكهوهن لتعرف الاتجاهات القيمية للشخصية العراقية المزدوجة في المدن عند علي الوردي، التي اظهرت ان الوجود احتل المرتبة الاولى من بين انماط الشخصية المفضلة، كذلك احتل الماضي الرتبة نفسها على انه الزمن المفضل و احتلت العلاقات التنافسية المرتبة الاولى في العلاقة المفضلة بين الانسان و الانسان (رسول،٢٠١٥،ص٧٨-٨٠). و دراسة نانسي بركس Nancy Briggs ١٩٧٢ التي استهدفت مسح القصص المفضلة لدى التلاميذ، من رياض الاطفال حتى السادس الابتدائي في الولايات المتحدة الامريكية. و اشارت النتائج الى ان معظم القصص ، هي من نوع قصص الحيوانات و القصص الخيالية ، و لا تداخل في تفضيل القصص (Briggs, ١٩٧٢ ،). و دراسة براده ١٩٧٤ في مصر التي استهدفت تعرف الحاجات التي تؤكدها قصص الاطفال و نوع القصص، و توزيع بطولات القصص تبعا للذكور و الاناث. و قد اظهرت نتائج الدراسة ان الذكور قد حصلوا على ١٩ قصة عقدت البطولة لهم فيها، فيما حصلت الاناث على ٨ قصص. و اظهرت النتائج ايضا في مجال التعزيز، ان الاثابة المادية احتلت اكثر من ٥٠٪ من الاناث، تلتها الاثابة الشخصية بنسبة ٣٧٪. اما العقوبات فقد احتلت العقوبات المادية ما يقرب من ٦٦٪ فيما كانت العقوبات الاجتماعية ١١٪ و العقوبات الشخصية ٢٢٪ (براده،١٩٧٤). هذا فضلا على دراسات كثيرة اخرى تناولت القيم في ادب الاطفال من خلال تحليل المحتوى كدراسة العجيلي ١٩٨٥، ودراسة الهيتي ١٩٧٧.

الفصل الثالث

تحليل المحتوى Content Analysis

يرتبط تحليل المحتوى، الذي يسمى احيانا بتحليل الوثائق او النشاط او المعلومات ارتباطا وثيقا بالبحوث التاريخية، اذ ان كلاً منهما يفحص السجلات الموجودة. الا ان البحوث التاريخية تهتم اساسا بالماضي، بينما تحليل المحتوى كونه منهجا من مناهج البحوث الوصفية يهتم بالوضع الراهن.

و قد نهج تحليل المحتوى في ميادين مختلفة في تحليل الاحكام القضائية، و القوانين، و ميادين التربية والتعليم، و واقع السجلات و اللوائح، و تقارير اللجان المدرسية ، فضلا على السجلات الصحة.

و يعد فحص ادلة الجامعات او نشراتها من اجل الحصول على معلومات عن المناهج المقررة، و محتوى تلك المناهج ، هدفا ينشده بعض الباحثين، و ذلك لتحديد ما يدرس و ما لا يدرس، و توزيع المواد المعنية، و مقدار الوقت الذي يخصص لها.

و عند تحليل الكتب المقررة، قد يحصي

الباحثون نوع المفاهيم و تكرارها او الاخطاء، او عـدد الصـور و الجـداول، و قـد يقيسـون طول الجملة او مدى صعوبتها، كما يكتشـفون تحيزات المؤلفين و معتقداتهم.

و يهتـم تحليـل المحتـوى ايضـا بالوثائق الشـخصية، و المذكرات، و السـير الشخصية، و تحليـل الصحـف، و المجـلات، و المقالات ، و الدوريـات، و القصـص و الحكايـات على اختلافهـا. و قـد كانـت البحـوث المبكـرة في الميدان سـطحية و الية الى حد ما، و لم تكشف عن معانـي ذات قيمة، الا ان تتابع البحوث في منتصف القرن العشرين، قدمت معلومات اكثر دقة و مرونة، و كشفت بعض العوامل المهمة، خاصـة عندما اعتمدت على الدراسـات الكمية معتمدة النسب المئوية بدلا من التكرارات.

و من مزايا تحليل المحتوى:

١.قدرته على وصف ظروف و ممارسات معينة في المجتمع و مؤسساته.

٢. ابـرازه الاتجاهـات المختلفـة للناس و ميولهم و قيمهم و احوالهم النفسية.

٣. كشـفه عن جوانـب الضعف لدى الفرد او المؤسسة.

٤. تتبعـه لتطور عمل فني او قيمي لكاتب او مفكر.

٥. اظهاره الفروق في ممارسـات مختلفة المناطق او البلدان.

٦. تقويمه العلاقات بين الاهداف المرسومة و المتحققة.

٧. قدرتـه على الكشـف عـن التحيزات و التعصبات.

و علـى الرغم من ذلك، وفضلا على مزايا اخـرى، الا ان البحـوث الاولى فـي الميدان لم تعط الا قيمة ضئيلة للمعرفة .لان الباحثين كانوا يفشلون في تحليل عينة ممثلة لما يحللونه. اذ لم تزودنا الدراسـات تلك بمعلومات تتعلق بكفاية حجم العينة او اتساق العينة مع المجتمع.

كما ان هناك عيباً اخر في تلك الدراسـات تتعلق بمدى الدقة فـي المعلومة المكتوبة. اذ قد يخطـئ بعضهم فيما يكتـب، او ان تحرف تلك الكتابات، او ان تكون منسـوبة الى غير مؤلفها الحقيقـي. و هـذا يتطلـب ان يخضـع الباحـث مـواده المصدرية للنقد الدقيق نفسـه الذي يقوم به المؤرخ وصولا الى صحة المحتوى المحلل (فان دالين،١٩٨٤،ص٣٢٥-٣٢٩).

و قـد تعددت مجـالات تحليل المحتوى في النصـف الثاني من القرن العشـرين، و تنوعت الموضوعات التي شملت وسائل الاتصال. منها ما يتعلق بخصائـص مصدر الاتصال . و منها ما يتعلق بالبحوث التي تتصل بالجمهور.

و يمكـن توضيـح موقع تحليـل المحتوى من عملية الاتصـال بالمخطط الذي قدمه ”بود Budd“

و مـع كل مـا يقدمـه المخطـط (١) مـن علاقة بيـن اركان الاتصال و تحليل المحتوى، ووسـائله كلهـا ، الا ان تحليـل المحتوى ليس ركنـا مـن اركان الاتصال، و انما هو اسـلوب مـن اسـاليب البحـث العلمـي الذي يقـوم فيه الباحث بدراسـة مادة الاتصال بما يسـاعده في الفهـم المتعمق لها. كما ان الاضافة التي يقدمها تحليل المحتوى تتمثـل بالتنبؤات التي يقصدها

مخطط (١) موقع تحليل المحتوى

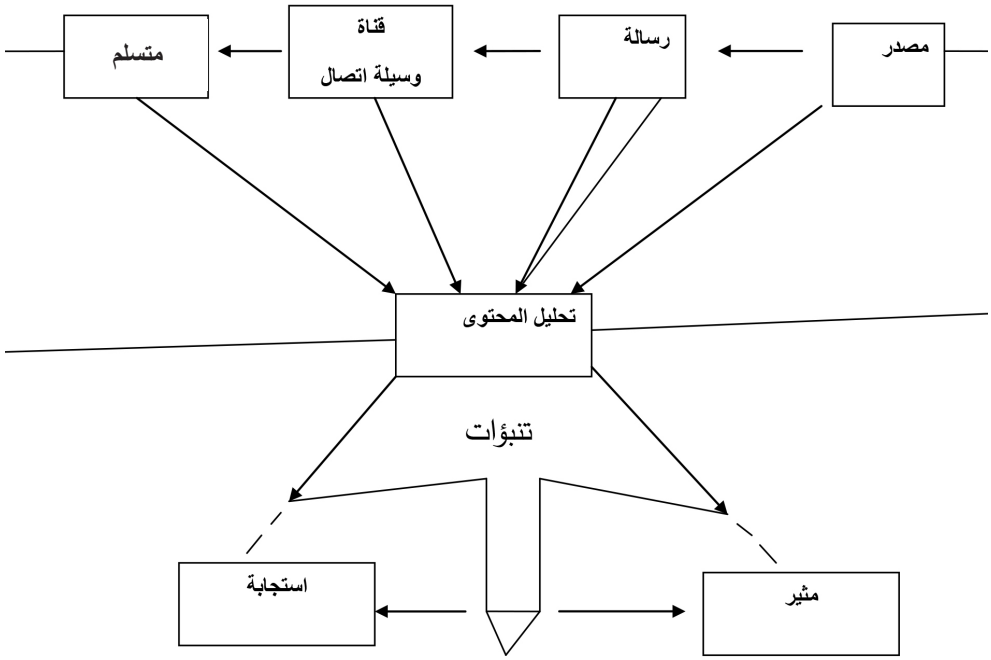

المرسل، و ما توحي به رسالته من اتجاهات (طعيمة،١٩٨٧وص٢٠-٢١).

فتحليل المحتوى اذن، طريقة بحث معيارية بحثت في العلوم الاجتماعية ، و درست محتوى الصحف على انواعها. و اهتم علماء الاجتماع بتأثير تلك الصحف ، كالصحف الامريكية في تغيير القوى السياسية و القانونية المؤثرة في المشهد الامريكي ، و امتدت لتشمل مختلف دراسات الصور الشائعة في مسرحيات شكسبير، و تحليل الدعاية خلال الحرب العالمية الثانية (عبد الواحد،٢٠٠٨،ص١٤٨).

تعاريف طريقة تحليل المحتوى و مفهومها و خصائصها

هناك الكثير من تعاريف تحليل المحتوى منها:

-تعريف بيرلسون Berlson : هو وسيلة من وسائل البحث تصف المحتوى الظاهر للاتصال باسلوب موضوعي، و ممنهج و كمي و الكمي لا يتطلب دائما اعطاء قيمة رقمية للاصناف بل ياخذ احيانا صورة كلمات كمية مثل "اكثر" او "دائما" (Berlson,1959,p.489).

-تعريف بود Budd : هو اسلوب منظم لتحليل مضمون رسالة معينة، وهو اداة لملاحظة السلوك الظاهر للاتصال بين مجموعة منتقاة من الافراد القائمين بالاتصال (Budd,1967,p.2).

-تعريف هولستي Holsti : هو اسلوب الاستنتاجات عن طريق التشخيص المنهجي لخصائص المحتوى بشكل موضوعي (Holsti,١٩٦٩,p.١٤).

-تعريف كريبندروف Krippendoff : هو احد الاساليب البحثية التي تستعمل في تحليل المواد الاعلامية بهدف التوصل الى استنتاجات صحيحة و مطابقة في حالة اعادة البحث او التحليل (Krippendoff,٢٠٠٤,p.٢١).

و لقد طورت طريقة تحليل المحتوى لدراسة محتوى وسائل الاتصال كافة من صحف و مجلات و ابحاث و قنوات اذاعية و تلفازية و كتب و قصص و غيرها. اذ عدها كل من بيرلسون Berlson, ١٩٥٩ ، بود Budd,١٩٦٧، هولستي Holsti, ١٩٦٩، بورك Borg,١٩٧١، طريقة ملائمة لاستخدامات تحليل المحتوى. و قد اكد هؤلاء العلماء فضلا عن كارترايت.Cartwright,١٩٦٩ و كيرنجر،Kerlinger,١٩٧٥ على انها اكثر الطرائق ملاءمة لتحليل المحتوى على ان يكون للتحليل تصنيف، و وحدات للتحليل، و وحدات للتعداد، و قواعد و اضحة و صريحة لطريقة التحليل، و قياس للثبات(Ho lsti,1969,p.95)،(Bank,1977,p.153)، (الهيتي،١٩٧٧،ص٣٨) و(رسول،١٩٧٨، ص٨١-٨٢) و(Green ,2007,p.1).

و من اهم خصائص تحليل المحتوى:

١.انها اسلوب للوصف Descriptive. و الوصف في تحليل المحتوى يعني عرض الظاهرة كما تقع في ضوء القوانين التي يمكن التنبؤ بها.

٢.انها اسلوب موضوعي Objective. اي ان كل اداة من ادوات تحليل المحتوى يجب ان تقيس بكفاية ما وضعت لقياسه. اي تتوافر فيها شروط الصدق. و الموضوعية تعني ان يستطيع الباحثون الاخرون استعمالها والوصول الى درجة عالية من الاتفاق فيما بينهم في نتائج التحليل، كما يستطيع الباحث نفسه استعمالها لتحليل المادة نفسها مرة اخرى او مواد غيرها. و هذا يعني ان الاداة تتوافر فيها شروط الثبات Reliability.

٣.انها اسلوب منظم Systematic. و ذلك ان التحليل يتم في ضوء خطة علمية تتضح فيها الفروض و تتحدد على اساسها الفئات و تتبين من خلالها الخطوات التي مر بها التحليل وصولا الى النتائج.

٤.انها اسلوب علمي Scientific. اي انها اسلوب من اساليب التحليل العلمي الذي لا يقل عن غيره من الاساليب العلمية. اذ يستهدف وضع قوانين تفسير الظاهرة و الكشف عن العلاقات التي تربط بعضها ببعض.

٥.انها اسلوب كمي Quantitative. اذا انها تعتمد التقدير الكمي اساسا للدراسة و منطلقا على انتشار الظواهر، و مؤشرا على الدقة في البحث، و الاطمئنان الى النتائج.

٦.انها تتناول شكل المحتوى Form and Content.اي انها تتناول المضمون في علوم الاتصال ، و ما تنقله اي اداة من ادوات الاتصال من افكار و معارف و حقائق الى متلق معين "سامع او قاريء او شاهد" اذ ان المحتوى لا يقتصر على الافكار و القيم التي تنقلها اداة الاتصال و انما يشمل الشكل Form الذي تنقل من خلاله تلك الافكار و القيم، كما يرى بيرلسون Berlson.

٧. انها طريقة تتعلق بظاهرة النص Manifest Content. اي انها تهتم بمحتوى النص الظاهر لمادة الاتصال، و تحليل المعاني الواضحة التي تنقلها الرموز المستعملة، و هذا التعلق بظاهر النص والتقييد بالمعاني الواضحة يقلل من درجة الاختلاف بين المحللين، و يساعد غيرهم في الوصول الى ما وصلوا اليه من احكام.

٨. انها تستعمل بكثرة في مجال العلوم الاجتماعية Social Sciences. ولذلك نرى توظيفها في ميادين مختلفة من العلوم الاجتماعية من صحف و مجلات و اذاعات وافلام و مذكرات شخصية و كتب و خطب واحاديث، فضلا على توظيفها من علماء الاجتماع وعلماء النفس و دارسو الادب بمختلف انواعه و مراميه (طعيمة،١٩٨٧، ص٢٤-٣٧)، (عبدالرحمن،٢٠٠٧، ص١٨٧-١٨٨)، (عبدالواحد،٢٠٠٨، ص١٥١-١٥٢).

تحديد مصادر البيانات

شمل هذا البحث مجموعة من الحكايات اليابانية القديمة التي جمعها و ترجمها كل من محمد عضيمة وكوتاكاريا. و نشرت في دمشق عن دار التكوين للتاليف و الترجمة و النشر، و هي تضم «٧٥» حكاية يابانية قديمة.

و قد بلغ عدد صفحات الحكايات المحللة «٢٨٠» صفحة.و استثنيت المقدمة التي ضمت «٢٠» صفحة. اذ ان كتاب حكايات يابانية قديمة ضم «٣٠٠» صفحة فضلا على صفحات الفهرس و اصدارات دار التكوين من منشورات.

و تعد هذه الحكايات ال «٧٥»حكاية عينة من الحكايات اليابانية القديمة التي جمعها و صاغها «توشيو-اوزاوا» في خمس مجلدات، نشرتها في طوكيو دار «فوكواينكان-شوتين» عام ١٩٩٥.

و هذه العينة من الحكايات اليابانية القديمة التي خضعت لتحليل المحتوى ، هي:

«١. ابن عرس و حقل الذرة البيضاء، ٢. احصنة بشرية متجولة،٣. اختي الصغيرة افعى،٤. معطف و قبعة اخفاء، ٥. ففتح الازهار، ٦. اخر اصغاء الضفدع لامه، ٧. اعشاب الهضم، ٨. الاقحوان البري ينفتح مرتين، ٩. نهاية البحر، ١٠. الثعبان الصغير شيدو، ١١. الحداة و صالون الصياغة، ١٢. الثعلب الحلاق، ١٣. الخلد الفاشل و الشمس، ١٤. الدورية المقطوعة اللسان، ١٥. الهة الريح و الاولاد، ١٦. الشيخ و الثآليل، ١٧. الذي ابتلعه سمك القرش، ١٨. مليونير القش، ١٩. الزوجة الكركي، ٢٠. المتلصص من الجحر، ٢١. مدعي المعرفة، ٢٢. الهيكل الراقص، ٢٣. اورشيما-تاروو، ٢٤. الاله اوشيرا، ٢٥. اسّون بووشي، ٢٦. بانجي و ازهار الباولونيا، ٢٧. سمكة الجرّي و بركة كينبيه،- ٢٨. فتاة بلا يدين، ٢٩. ابو قدوم ، ٣٠.بيضة الخيل، ٣١. تاوارا-توتا، ٣٢. تجبير خاطيء ،٣٣. صاحب النوادر تشيوكيتشي،٣٤. تهانينا و ممتاز، ٣٥. جبل لرمي العجائز، ٣٦. جدة ياسابورد ،٣٧. جريح التين الشتوي، ٣٨. حريق في الجبل، ٣٩. الحطاب و سعلاة الجبل، ٤٠. خيط العنكبوت، ٤١. دواء العفريتة، ٤٢. ذراع الغول، ٤٣. السعدان يرد الجميل، ٤٤. رسالة الهة البحيرة، ٤٥. رسم الزوجة، ٤٦. رسومات الهر و الفئران، ٤٧. رقصة القط،٤٨. رياح فاسدة،٤٩. الاله اوشيرا يشتل الرز،

٥٠.زنبور الحلم،٥١.زواج الثعبان،٥٢.الزوج المربوط، ٥٣. الكاهن زويتون، ٥٤. السعلاة و المشط، ٥٥. قارىء القلوب»ساتوري»، ٥٦.سارق النار، ٥٧. سعلاة الجبل تشيوهوكو، ٥٨.الحلوى و السم، ٥٩.اذا شاهدك لص صيري ضفدعة، ٦٠.الفئران تصنع عجينة الرز، ٦١. قبوعة السماع، ٦٢. السعلاة و القماش الفاخر، ٦٣. جبل كاتشي،كاتشي ، ٦٤. كاني كاني كوسو كوسو، ٦٥. كبد سعدان حي، ٦٦. الكلب كيتشيبا، ٦٧. كيجيمونا، ٦٨. شقيقان ماهران في القوس، ٦٩. حرب السعدان و السرطعان، ٧٠. الملك عاشق الحكايات القديمة، ٧١. موموتارو «ابن الخوخة» ، ٧٢. ماء يعيد الشباب، ٧٣. كمثل هذا الوجه، ٧٤. يا زوجي هل انت هنا، ٧٥. حكايات بعشرة نيات ذهبية.

اداتا البحث:

عمد الباحث الى اختيار تصنيفين لتحليل الحكايات اليابانية القديمة، و هما كل من:

تصنيف كلكهوهن Klukhohn و تصنيف جايلدوبوترواليفينChildK،Potter.&Levine

اولا: تصنيف كلكهوهن:

و هو تصنيف للقيم يشمل الفكر ''الثيمات'' القيمية و على النحو الاتي:

١.علاقة الانسان بالطبيعة: و يتضمن هذا البعد ما ياتي :

ا. الانسان خاضع للطبيعة: و هو يشمل الثيمات التي ترينا الانسان، و هو يتكيف للطبيعة بدلا من ان يكيف الطبيعة لحاجاته.

ب.الانسان منسجم مع الطبيعة: و يشمل الثيمات ''الفكر'' التي تجعل الانسان جزءاً من الطبيعة، منسجما و متجانسا معها.

ج. الانسان مسيطر على الطبيعة: و يضم هذا البعد الثيمات التي ترينا الانسان و هو يكيف الطبيعة لحاجاته.

٢. البعد الزمني المفضل: و يتضمن هذا البعد ما ياتي:

ا. الماضي: و يشمل هذا البعد الامور ذات الصفة التاريخية، كما يشمل الاصناف التقليدية التي تفضل التمسك بالتقاليد و السلوك المتعلق بها، و تلك التي تمجد انتصارات الماضي.

ب.الحاضر: و هو يشمل الفكر ''الثيمات'' التي تفضل التمتع بالحاضر و اغتنام الفرص.

ج. المستقبل: و يضم الفكر ''الثيمات'' التي تفضل التخطيط للمستقبل.

٣. نمط الشخصية المفضل: و يتضمن هذا البعد ما ياتي:

ا. الوجود: و يعني نمط الشخصية الذي يطلق العنان لرغباته و دوافعه و يسلك سلوكا تلقائيا، و التاكيد هنا على معطيات الشخصية كما هي، و قبولها بنزعاتها و حوافزها، و التعبير عن ذلك كله بشكل تلقائي.

ب. الوجود نحو الصيرورة: و هو يمثل نمط الشخصية التي تسيطر على نوازعها، و تتكامل نحو هدف ما و تؤكد اثبات الشخصية و تنميتها كلها بصورة متكاملة، فهي بكلمة اخرى تمثل الرزانة و الصبر و الحلم و غير ذلك من صفات السيطرة على النفس.

ج. الفاعليــة: و يمثل نمط الشــخصية التي تؤكد الانجاز.

٤.العلاقة المفضلة بين الانسان و الانسان: و يتضمن هذا البعد ما ياتي:

ا. علاقــات عائليــة: و هي تمثــل الفكر او الثيمات التي تفضل التفاعل في ضمن الاسرة و تؤكد الولاء لها.

ب. علاقات تعاونية: و هي تشــمل الثيمات التي تؤكد التعاون بين الافراد بدلا من التنافس.

ج. علاقات تنافســية: و هي تشمل الثيمات التي تؤكد الاســتقلال و الاعتماد على النفس و التنافس.(الخطيب،١٩٧٤،ص٥٠-٥٢)

ثانيا: تصنيف جايلد و بوتر وليفين:

و هــو تصنيف اخر للقيــم و يظهر الابعاد التربويــة التي تكتنفها الحكايــة، او القصة و قد اعتمد في كثير من البحوث و الدراسات لتحليل الحكايات و قصص الاطفال و يتضمن ما ياتي:

١. انــواع القصــص: اي ان القصــص و الحكايــات، هــل هــي تاريخيــة، او دينيــة، او خرافية، او شخصية من الحياة اليومية.

٢. نــوع الشــخصية فــي القصــة: هل هي رئيســة ام ثانوية؟ و هل هي لشــخصية طفل او راشد كبير سواء من الذكور كانا أم من الاناث؟

٣.المكانة الاجتماعية: و تعني طبيعة الطبقة الاجتماعيــة التي تتناولها الحكاية او القصة من حيث كونها طبقة غنية او متوسطة او فقيرة.

٤. نوع التعزيز"نتائج الســلوك": اي نوع التعزيز الذي يقدم الى الشــخصيات في الحكاية او القصة بناء على السلوك الظاهر في الحكاية، و ما نوع الاثابة و العقوبة؟ و هل هي مادية او معنوية او شخصية.

(العجيلي، ١٩٧٩،ص٦١)

ان اعتماد البحث على تصنيفين جاء لإغناء البحث في جانبيه القيمي، و التنشئة الاجتماعية، وانعكاســهما على الجوانــب التربوية للحكايات الشعبية القديمة في اليابان.

صدق التصنيفين:

ان صدق اي اداة يعني انها قادرة على قياس ما اعدت لقياســه، و فــي تحليل المحتوى يعتمد الصــدق على ســلامة اختيــار التصنيف فضلا على اجراءات التحليل، ووحدات التحليل.

و تحليــل المحتوى يعتمد فــي صدقه على الثبــات و تصميــم العينــة و ســلامة اختيارها، فضــلا علــى تصنيــف كلكهوهــن قد اســتعمل فــي اكثــر مــن دراســة عربيــة و اجنبيــة و بموضوعية عالية. (Robert,١٩٩٥,p.١٢)، (Holsit,١٩٦٩,pp.١٤٢-١٤٣). وكذلــك الحــال مــع تصنيــف (جايلــد و اخــرون)، اذ اســتعمل في اكثر من دراســة عربية و اجنبية. (العجيلي،١٩٧٩،ص٦١،٢٢).

وحدة التحليل ووحدة التعداد

فــي تحليل المحتوى هنــاك وحدتان ينبغي اســتعمالهما في التحليل و هما وحدة التســجيل Recording Unit ، ووحــدة المضمــون Context Unit.

ووحدة التسجيل هي اصغر جزء في المحتوى المحلــل. و قد اســتعملت الفكــرة "Theme" على انها وحدة تســجيل لانهــا اكثر ملاءمة من

غيرهـا في ابحاث القيم و الاتجاهات كالكلمة و الموضوع (Holsti,١٩٦٩,pp.١١٦-١١٧).

و اسـتعمل التكـرار علـى انـه وحـدة التعـداد لظهور الفكر " الثيمـات" تبعا لميادين التصنيفيـن "تصنيـف كلكهوهـن،و تصنيـف جايلـد و جماعته" و هـذه الوحـدة "التكرار" هي الاكثر اسـتعمالا في هذا المجال (رسـول، ٢٠١٥،ص٧٢).

خطوات التحليل :

اتبعت الخطـوات الاتية في تحليل محتوى الحكايات اليابانية القديمة:

١. تقرأ الحكاية كلها قراءة جيدة، ثم تقرأ كل فقرة لتكوين صـورة واضحة في ذهن المحلل، لتعرف الفكرة الرئيسة في الحكاية ، و هذا يعني تطبيق وحدة المضمون.

٢. تحديـد الفقـرات التـي تحتـوي فكـر "الثيمات" Themes.

٣. تحديد نوع الفكرة و القيمة التي تستهدفها. و هذا يعني تطبيق وحدة التسجيل .

٤. تفريـغ نتائج التحليـل في جدول التحليل و ذلـك باعطاء تكرار واحد لـكل فكرة "ثيما" تحمل قيمة.(رسول،١٩٧٨،ص٩٨-٩٩).

قواعد التحليل:

ان ارسـاء قواعد واضحـة للتحليل يؤدي الـى تحديـد دقيـق للعبـارات و تصنيفهـا ، و هـذا بـدوره يؤدي الـى ارتفـاع نسـبة الثبات (Stone,١٩٦٦,p٢١٢). لـذا اتبـع الباحث ما ياتي:

١. اذا وجـدت فكرة تتضمن اكثر من قيمة، فيؤخذ بالقيمة التي يبدو تاكيدها اكثر من غيرها.

٢. اللجـوء الى علامـات التنقيط في اغلب الاحيان لتحديد حدود الفكرة.

٣. اذا تضمنت فكرة صريحة اكثر من قيمة بسـبب العطف، تجزأ الفكرة الى اكثر من جملة بحيـث تكـون كل جملة فكرة مسـتقلة، و تحدد قيمتهـا، و يعطى لهـا تكرارا واحدا، و لا يؤخذ بهذه القاعدة اذا كان العطف يؤكد القيمة نفسها.

٤. اذا ظهرت فكرتان توضح احداهما سببا و الاخـرى نتيجة في جملـة او جمل عدة، فان كلا الفكرتين تعدان فكرة واحدة تشـير الى قيمة واحدة تبعا للتصنيف المستعمل.

٥. الفكـرة التـي لا تشـير الـى احـدى قيم التصنيـف ، فانهـا تصنف في مجـال متنوعة. (رسول،٢٠١٥،ص٧٣-٧٤).

الثبات:

ان تحقيـق الموضوعيـة التـي تتسـم بهـا طريقـة تحليـل المحتـوى تتطلـب الثبات الـذي يعـد التعريـف الاجرائـي للموضوعية (Scott&Micharel,١٩٦٧,p.١٨٧)، و لذا فقد عمد الباحث الى ما ياتي:

١. اختيـار محلـل اخـر لتحليـل محتـوى الحكايات اليابانية القديمة على انه محلل للثبات، و قـام بتحليـل المحتـوى بصورة مسـتقلة عن الباحث لسـلامة التحليل، ثم نوقشـت النتائج و سـويت الخلافات عن طريق المناقشة و الاقناع بحسب قواعد التحليل[١] .

٢. وضع قواعد و اسس لتحليل عينة الثبات

التــي تم اختيارها بنســبة اكثر من ٣٠٪ من المحتوى المحلــل، حللها الباحث و كذلك المحلل الخارجي بعد مرور شهر لايجاد نسبة الاتفاق.

٣. استند تحليل عينة الثبات الى نوعين من الاتساق ، و هما، الاتساق عبر الزمن، و يعني توصل المحلل الواحد او الاكثر من واحد الى النتائج نفسها، عند استعمال التصنيف نفسه و المحتوى نفسه في مدد زمنية مختلفة.

و الاخــر، الاتســاق بين المحلليــن، و يعني توصل محللين او اكثر مختلفين الى النتائج نفســها عند استعمال التصنيف نفسه (Berlson,1959,p.514).

و الجدولان (١) و (٢) يوضحان نتائج الثبات.

جدول (١)

معاملات الثبات في تحديد الفكر و تحديد القيم في عينة الثبات بحسب تصنيف كلكهوهن

نوع الثبات	نسبة تحديد الفكر او تسميتها	نسبة تصنيف الفكر
بين محاولتي الباحث عبر الزمن	٪٩٨,٧٢	٪٩٠,٨
بين الباحث و المحلل الخارجي	٪٩١,٣٠	٪٨٢,٥

جدول (٢)

معاملات الثبات في تحديد الفكر و تحديد القيم في عينة الثبات بحسب تصنيف (جايلد و اخرون)

نوع الثبات	نسبة تحديد الفكر او تسميتها	نسبة تصنيف الفكر
بين محاولتي الباحث عبر الزمن	٪٩٧,٣	٪٩٣,٩
بين الباحث و المحلل الخارجي	٪٩٥,٧	٪٨٨,٦

و تعد هذه النسب عالية تعطي للمحتوى المحلل درجة من الموضوعية و الثقة اي انها معاملات ثبات يمكن الركون اليها. و هي معاملات ثبات اعلى من ٥٠٪ او ٦٠٪ التي يعدها ننلي Nunnally مقبولة اذا لم تكن من اجل الحكم على شخص معين او تقرير مصيره (Nunnally,١٩٦٧,p.٢٢٦).

الاحصاء المستعمل:

استعمل الباحث المعالجات الاحصائية الاتية في تحليل محتوى الحكايات اليابانية القديمة:

١. التكرار لحساب تكرارات القيم في المحتوى المحلل و من ثم استخراج نسبها المئوية.

٢. معادلة هولستي Holsti لحساب الثبات ،١٩٨٧،ص١٧٨).

٣. مربــع كاي X٢ لعينة واحدة لتعرف الفروق بين رتب مجالات تصنيف (كلكهوهن) و تصنيف (جايلد و اخرون) ,(406-pp.398,1998).

الفصل الرابع
نتائج البحث و مناقشتها

تحقيقا لاهداف البحث و اجابة عن طبيعة التوجهات القيمية في الحكايات اليابانية القديمة للاطفال من حيث:

أ. علاقة الانسان بالطبيعة كونه (خاضعاً او منسجماً او مسيطراً).

ب. البعد الزمني المفضل (الماضي و الحاضر و المستقبل).

ج. نمط الشخصية المفضل من حيث (الوجود و الوجود نحو الصيرورة و الفاعلية).

د. العلاقة المفضلة بين الانسان و الانسان كونها علاقات (اسرية او تعاونية او تنافسية).

فقد اظهر تحليل محتوى الحكايات اليابانية القديمة للاطفال بحسب تصنيف كلكهوهن ان البعد الزمني المفضل قد حاز المرتبة الاولى و بمجموع للفكر ١٧٨٨ فكرة بنسبة مئوية مقدارها ٣١,٧٤٪ فيما احتل ميدان علاقة الانسان بالطبيعة المرتبة الخامسة و الاخيرة بواقع ٤٠٤ فكرة و بنسبة مئوية مقدارها ٧,١٧٪ و الجدول «٣» يوضح ترتيب ميادين تصنيف كلكهوهن.

جدول(٣)
توزيع الفكر بحسب تصنيف كلكهوهن

ميادين التصنيف	تكرارات الفكر	النسبة المئوية	الرتبة	قيمة مربع كاي
علاقة الانسان بالطبيعة	٤٠٤	٧,١٧	٥	
البعد الزمني المفضل	١٧٨٨	٣١,٧٤	١	
نمط الشخصية المفضل	١٧١٥	٣٠,٤٥	٢	
العلاقة بين الانسان و الانسان	١٣١٠	٢٣,٢٦	٣	٢٩,٠٧*
المتنوعة	٤١٦	٧,٣٨	٤	
المجموع	٥٦٣٣	١٠٠		

***مستوى الدلالة ٠,٠٥ و درجة الحرية ٤=٩,٤٩**

يتضح من الجدول (٣) ان ميدان البعد الزمني المفضل حاز المرتبة الاولى ثم نمط الشخصية المفضل بالمرتبة الثانية و العلاقة بين الانسان و الانسان بالمرتبة الثالثة و جاء ميدان علاقة الانسان بالطبيعة بالمرتبة الاخيرة بعد المتنوعة. و ان هذه التوزيع الرتبي دال احصائيا بعد معالجته بمربع كاي اذ ظهرت القيمة المستخرجة ٢٩,٠٧ وهي اكبر من القيمة الجدولية ٩,٤٩ عند مستوى دلالة ٠,٠٥ و درجة حرية ٤ و للاجابة المفصلة حول الهدف الاولي فسيتناول البحث كل ميدان على حدة و على النحو الاتي:

أ. علاقة الانسان بالطبيعة:

اظهر تحليل الحكايات اليابانية القديمة ان الانسان منسجم مع الطبيعة اذ حاز هذا الميدان بالمرتبة الاولى ثم الانسان مسيطر على الطبيعة بالمرتبة الثانية و اخيرا الانسان خاضع للطبيعة . و الجدول(٤) يوضح ذلك

جدول(٤)
توزيع الفكر بحسب ميدان علاقة الانسان بالطبيعة

علاقة الانسان بالطبيعة	التكرار	النسبة المئوية	الرتبة	قيمة مربع كاي
خاضع للطبيعة	٩١	٢٥,٢٢	٣	*٧,٨٨
منسجم مع الطبيعة	١٨٣	٣٠,٤٥	١	
مسيطر على الطبيعة	١٣٠	١٨,٣٢	٢	
المجموع	٤٠٤	١٠٠		

***القيمة الجدولية لمربع كاي عند مستوى دلالة ٠,٠٥ ودرجة حرية (٢=٥,٩٩)**

يتضح من الجدول (٤) ان الحكايات اليابانية القديمة قد اظهرت ان الانسان منسجم مع الطبيعة بالمرتبة الاولى و مسيطر عليها بالمرتبة الثانية و خاضع لها بالمرتبة الثالثة اذ اظهرت قيمة مربع كاي ٧,٨٨ انها اكبر من القيمة الجدولية ٥,٩٩ و ان هذا يعني ان هذه الرتب ذات دلالة احصائية و ان الانسان الياباني في الحكايات القديمة كان منسجما مع الطبيعة و انه جزء منها و متجانس معها بالدرجة الاولى يسيطر عليها عندما يعجز عن مواجهتها و يتكيف لها عندما تهاجمه برياح عاتية او فيضانات او زلازل.

و هذا يعكس حالة المجتمع الياباني الذي كان نصف تعداده يعملون في الزراعة، و لم تكن الزراعة في اليابان قديما تتميز بدرجة عالية من الكفاية و ظلت محدودة في زراعة الرز والذرة البيضاء و تعتمد على الفضلات العضوية مخصبات لها. فكان الفلاح يحرث الارض بعناية الى عمق يتراوح بين قدم وقدمين بواسطة الفاس لزراعة الرز اذا كان يعتمد في زراعته بصورة خطوط مستيقمة، و لازال اليابانيون حتى اليوم يعدون الرز هو الغذاء الرئيس لهم. (رايشاور،١٩٨٩،ص٣٢-٣٦).

ب. البعد الزمني المفضل:

اظهر تحليل محتوى الحكايات اليابانية القديمة ان بُعد الماضي قد حاز على المرتبة الاولى فيما جاء بُعد المستقبل بالمرتبة الاخيرة و الجدول (٥) يوضح ذلك

جدول(٥)

توزيع الفكر بحسب ميدان البعد الزمني المفضل

البعد الزمني المفضل	التكرار	النسبة المئوية	الرتبة	قيمة مربع كاي
الماضي	١٥٠٨	٨٤,٣٤	١	*١١٧,٦٨
الحاضر	٢٠٠	١١,١٩	٢	
المستقبل	٨٠	٤,٤٧	٣	
المجموع	١٧٨٨	١٠٠		

***القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٢=٥,٩٩)**

يتضح من الجدول (٥) ان بُعد الماضي احتل المرتبة الاولى و بنسبة مئوية ٨٤,٣٤ من المحتوى المحلـل لفكر هـذا الميدان التي بلغت ١٧٨٨ فكـرة فيما جاء الحاضر بالمرتبة الثانية و المسـتقبل في المرتبة الثالثة و لا غرابة في ذلك بل قد يكون ذلك مؤشرا منطقيا و صحيحا كون ان الحكايات اليابانية المحللـة هـي حكايات قديمة اي تمت الى الماضي فضلا على ان هذا البعد يشـمل الاصناف التقليدية و التمسك بالتقاليد و ما يتعلق بها من سلوك فيما جاء الحاضر بالمرتبة الثانية و المستقبل بالمرتبة الثالثة. و هذه الرتب هي ذات دلالة احصائية اذ اظهرت قيمة مربع كاي المحسـوبة (١١٧,٦٨) و هي اعلى من القيمة الجدولية عند درجة حرية (٢) و مستوى دلالة (٠,٠٥) .

و تشير هذه النتيجة ان اليابانيين على الرغم مما وصلوا اليه من تقدم تقني وضع اليابان في الدول المتقدمة ثقافيا الا ان اليابانيين لا يزالون يحتفظون بثقافتهم الاصلية و هو ما يميزهم من الدول المتقدمة ثقافيا في العالم.

ج. بُعد نمط الشخصية المفضل

اظهـر التحليل الاحصائي لهذا البعد ان الوجود كان النمـط المفضل في الحكايات اليابانية القديمة اذ احتل المرتبة الاولى بتكرار ١٠٢٦ فكرة و بنسـبة ٥٩,٨٢٪ فيما جاء نمط الوجود نحو الصيرورة بالمرتبة الثانية و بتكرار ٥٠٣ فكرة و بنسبة ٢٩,٣٣٪ فيما جاء نمط الفاعلية بالمرتبة الثالثة و بتكرار ١٨٦ فكرة و نسبة ١٠,٨٥٪ و الجدول (٦) يوضح ذلك

جدول (٦)
توزيع الفكر بحسب نمط الشخصية المفضل

نمط الشخصية المفضل	التكرار	النسبة المئوية	الرتبة	قيمة مربع كاي
الوجود	١٠٢٦	٥٩,٨٢	١	*٣٦,٦٩
الوجود نحو الصيرورة	٥٠٣	٢٩,٣٣	٢	
الفاعلية	١٨٦	١٠,٨٥	٣	
المجموع	١٧١٥	١٠٠		

***القيمة الجدولية لمربع كاي عند مستوى دلالة ٠,٠٥ و درجة حرية ٢=٥,٩٩**

يتضح من الجدول (٦) ان تحليل محتوى الحكايات اليابانية القديمة قد ركز في نمط الوجود الذي احتل المرتبة الاولى و بنسبة ٥٩,٨٢٪ فيما جاء نمط الوجود نحو الصيرورة بالمرتبة الثانية و بنسبة ٢٩,٣٣٪ تبعه نمط الفاعلية بالمرتبة الثالثة و بنسبة (١٠,٨٥٪). و قد اظهر التحليل ان هذا الترتيب دال احصائيا اذ بلغت القيمة المستخرجة لمربع كاي ٣٦,٦٩ و هي اكبر من القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) و درجة حرية (٢) البالغة (٥,٩٩).

ان نمط الوجود يعني ان الشخصية في الحكايات اليابانية القديمة اطلقت العنان لرغباتها و دوافعها و سلكت سلوكا تلقائيا بنزعاتها و حوافزها و سلكت سلوكا تلقائيا كما هي، و هذا ما اضفى على شخصيات تلك الحكايات نمطا محببا للأطفال عند سماعهم تلك الحكايات المنسجمة مع تلقائية الاطفال و عفويتهم. فيما جاء الوجود نحو الصيرورة بالمرتبة الثانية الذي يؤكد السيطرة على نوازع الشخصية و تكاملها نحو هدف ما و اثبات الشخصية و تنميتها و السيطرة عليها. اما الفاعلية فجاءت بالمرتبة الاخيرة و نمطها في الشخصية هو ما يؤكد على الانجاز.

ان هذه النتيجة لا تعني ان اليابان لا تؤكد اليوم الانجاز ، بل هي اليوم تتمتع بموقع خاص كونها الدولة الوحيدة الحضارية النابعة من حضارة غير غربية، و يمكن ان تكون ملهمة للاخرين اذا فهموا النجاح الذي حققه اليابانيون من نقل الكثير من الثقافة الغربية، في الوقت الذي احتفظوا بتقاليدهم الحضارية العريقة (رايشاور،١٩٨٩،ص٤٠١).

د. نمط العلاقة المفضلة بين الانسان و الانسان

تبين من التحليل الاحصائي للحكايات اليابانية القديمة ان العلاقات الاسرية (العائلية) قد احتلت المرتبة الاولى فيما جاءت العلاقات التعاونية بالمرتبة الثانية و العلاقات التنافسية بالمرتبة الثالثة. و الجدول (٧) يوضح ذلك

جدول (٧)

توزيع الفكر بحسب العلاقة المفضلة بين الانسان و الانسان

العلاقة المفضلة بين الانسان و الانسان	التكرار	النسبة المئوية	الرتبة	قيمة مربع كاي
اسرية «عائلية»	٦٠٥	٤٦,١٨	١	*٢٤,١٢
تعاونية	٥٧١	٤٣,٥٩	٢	
تنافسية	١٣٤	١٠,٢٣	٣	
المجموع	١٣١٠	١٠٠		

***القيمة الجدولية لمربع كاي عند مستوى دلالة (٠,٠٥) و درجة حرية(٢=٥,٩٩)**

يتضح من الجدول (٧) ان العلاقات الاسرية و العلاقات التعاونية احتلت المرتبتين الاولى و الثانية و بنسب بلغت على التوالي ٤٦,١٨٪ و ٤٣,٥٩٪ فيما جاءت العلاقات التنافسية بالمرتبة الثالثة و بنسبة ٢٠,٢٣٪ و هـذا يعنـي ان الحكايات اليابانية القديمة قد ركزت في العلاقات الاسـرية و التعاونية على انها انماط مفضلة في طبيعة العلاقة بين الانسـان و الانسـان اذ ان كلا منهما يؤكدان التفاعل في ضمن الاسرة و الولاء لها و كذلك في العلاقات التعاونية التي تؤكد التعاون بين الافراد بدلا من التنافس.

ان طبيعة المجتمع الياباني لا زالت متمسـكة بالتقاليد الاسـرية واحترام الأبوين وتقديرهما بل ان انتساب الفرد للجماعة من اهم الامور في اليابان، كما ان حب اليابانيين لتأكيد انتمائهم للجماعة قد يفوق الواقع نفسه فهم يحاولون تفسير كل شيء في اطار هذه الانتماءات مثل تفسيرهم لانحيازاتهم الشخصية حتى السياسية المعروفة باسم ''هاباتسو'' او للعلاقات الاسرية المتشابكة او الشلل الجماعية و الاكاديمية المعروفة في اليابان باسم ''جاكوتسو'' او تقديم الرعاية لشخص ما (رايشاور،١٩٨٩،ص١٧٠).

و اغنـاءً للبحـث فقد عمد الباحث الى تحليل محتوى الحكايـات اليابانية القديمة على وفق تصنيف اخر هو تصنيف جايلد و بوتر و ليفين ، الذي يجيب عن اربعة اسئلة هي :

ما نوع القصص؟ ، و ما نوع الشخصية؟ ، و ما المكانة الاجتماعية للشخصيات في القصص؟، و انواع التعزيز في السلوك المرغوب و غير المرغوب.

و تحقيقـا للهـدف الثانـي من البحث الذي يتضمـن انواع الحكايات من كونهـا تاريخية ام دينية ام خرافية ام حيوانية ام شـخصية من الحياة المعاشة. فقد اظهر تحليل المحتوى للحكايات اليابانية القديمة ان الحكايـات الخرافية قد نالت المرتبـة الاولى فيما نالت الحكايات الدينية المرتبة الاخيرة و لم تحض الحكايات التاريخية باي تكرار من مجموع (٧٥) حكاية خضعت للتحليل. و الجدول (١٠) يوضح ذلك.

جدول(٨)

انواع القصص في الحكايات اليابانية القديمة حسب تصنيف جايلد واخرين

نوع القصة (الحكاية)	التكرار	النسبة المئوية	الرتبة	قيمة مربع كاي
ذاتية من الحياة المعاشة	١٣	١٧	٢	
دينية	٨	١١	٤	
خرافية	٤٤	٥٩	١	*٤٦,٠٠
حيوانية	١٠	١٣	٣	
تاريخية				
مجموع القصص	٧٥	١٠٠		

***القيمة الجدولية لمربع كاي عند مستوى دلالة (٠,٠٥) و درجة حرية (٣=٧,٨٢)**

يتضح من الجدول (٨) ان الحكايات الخرافية قد نالت نسبة ٥٩٪ من مجموع الحكايات ال ٧٥ و بتكرار مقداره ٤٤ حكاية فيما نالت الحكايات الشخصية من الحياة المعاشة ١٧٪ و بتكرار ١٣ حكاية تبعتها الحكايات الحيوانية بنسبة ١٣٪ و بتكرار ١٠ حكايات و اخيرا الحكايات الدينية التي نالت نسبة ١١٪ و بتكرار ٨ حكايات.

و هذه النتائج تبرز الحكايات الخرافية التي نالت المرتبة الاولى من مراتب تحليل الحكايات اليابانية القديمة و هي تدور حول السحالي و الجن و العفاريت. و بالرغم من ان حكايات من هكذا نوع تثير الخوف و الرعب لدى الاطفال الا ان اسلوب العرض لهذه الحكايات جاء ممتعا و يثير الرغبة و الاستطلاع لدى الاطفال اليابانيين و يقوي قدرات الخيال لديهم و يطلق قابلياتهم الفكرية مما يتركه تاثيره في نمو شخصيات الاطفال.

و تتفق هذه النسبة مع نتائج دراسة العجيلي ١٩٧٨ التي اشارت الى ان القصص الخرافية للامهات العراقيات قد احتلت المرتبة الاولى و بنسبة ٥٧٪ و اختلفت في ترتيب القصص الحيوانية التي حازت على المرتبة الثانية و قصص الحياة المعاشة على المرتبة الثالثة في حين انعكست هذه النسب و المراتب في الحكايات اليابانية القديمة فاحتلت الحكايات الشخصية من الحياة المعاشة المرتبة الثانية و بنسبة ١٧٪ و الحكايات الحيوانية المرتبة الثالثة و بنسبة ١٣٪ كما اتفقت نتيجة البحث هذه مع دراسة بركس Briggs,١٩٧٢ في احتلال القصص الخرافية المرتبة الاولى فيما اختلفت مع دراسة طوالبة ١٩٧٥ التي احتلت فيها قصص الحياة اليومية المرتبة الاولى عند تحليلها لكتب المطالعة العربية في (فلسطين و الاردن).

تحقيقا للهدف الثالث عن نوع الشخصية التي تناولتها الحكايات اليابانية القديمة من حيث كونها شخصية رئيسة في الحكاية ام ثانوية و طبيعة شخصيات الحكايات كونهم من الذكور او الاناث و هل هم راشدون ام اطفال فضلا على المكانة الاجتماعية لهم كونهم من طبقات فقيرة ام متوسطة ام غنية.

و قـد اظهـر التحليل الاحصائي للحكايات ان هناك شـخصيات رئيسـة بلغت نسـبة ٥٧,٧٧٪ و شـخصيات ثانوية بلغت ٤٢,٢٣٪ و الفرق بينهما غير دال احصائيا عند معالجتها بمربع كاي اذ تبين ان القيمـة المسـتخرجة ٢,٤٦ و هـي اقل من القيمة الجدولية عند مسـتوى دلالة ٠,٠٥ و درجة حرية (١) و البالغة (٣,٨٤) . كما اظهر التحليل الاحصائي لشخصيات الحكايات من الاطفال نسبة ٤,٨١٪ للذكور و ٠،،٠٩٦٪ للاناث في الشـخصيات الرئيسة و نسبة ١,٩٢٪ للاناث مقابل (صفر) للذكور في الشـخصيات الثانوية فيما بلغت نسبة الراشدين الذكور في الشخصيات الرئيسة ٤٠,٣٨٥٪ مقابل نسبة ١١,٥٣٨ للاناث. اما الشـخصيات الثانوية فقد بلغت نسـبة الذكور ٣٠,٧٧٪ مقابل ٩,٦٢٪ للاناث . و الجدول (٩) يوضح ذلك

جدول(٩)

نوع الشخصية في الحكايات اليابانية القديمة من حيث كونها رئيسة ام ثانوية و ذكوراً ام اناثاً

شخصية رئيسة			شخصية ثانوية			قيمة مربع كاي
نوع الشخصية	التكرار	النسبة المئوية	نوع الشخصية	التكرار	النسبة المئوية	
طفل ذكر	٥	٤,٨١	طفل ذكر	-	-	الرئيسة ٦٨,٩٤
طفل انثى	١	٠,٠٩٦	طفل انثى	٢	١,٩٢	
راشد ذكر	٤٢	٤٠,٣٨٥	راشد ذكر	٣٢	٣٠,٧٧	الثانوية ٣٢,٨٠
راشد انثى	١٢	١١,٥٣٨	راشد انثى	١٠	٩,٦٢	الجدولية ٧,٣٢
المجموع	٦٠	٥٦,٨٢٩	المجموع	٤٤	٤٢,٣١	

يتضح من الجدول (٩) ان الذكور الراشـدين احتلوا المرتبة الاولى في شـخصيات الحكايات اليابانية القديمة و بنسبة ٤٠,٣٨٥٪ كما احتلوا المرتبة الاولى ايضا في الشخصيات الثانوية و بنسبة ٣٠,٧٧٪ فيما احتلت الشـخصيات الانثوية المرتبة الثانية في كل من الشـخصيات الرئيسـة و الثانوية و بنسـب ١١,٥٣٨٪ و ٩,٦٢٪ على التتابع و جاءت شخصيات الاطفال بالمرتبة الثالثة للذكور و الرابعة للاناث في الشخصيات الرئيسة و بنسبة ٤,٨١٪ و ٠,٠٩٦٪ على التتابع فيما جاءت الشخصيات الانثوية في الشخصيات الثانوية بالمرتبة الثالثة و بنسبة ١,٩٢٪.

و هذه النسـب دالة احصائيا اذ بلغت القيمة المسـتخرجة لمربع كاي للشخصيات الرئيسة ٩٨,٩٤ و للشـخصيات الثانويـة ٣٢,٨٠ و هـي اعلى من القيمة الجدولية عند مسـتوى دلالـة ٠,٠٥ و درجة حرية(٣) و البالغة ٧,٣٢.

و مما يلاحظ على الجدول (٩) ان الذكور الراشـدين قد هيمنوا على شـخصيات الحكايات اليابانية القديمة و بنسب عالية . و هذه النتائج تتشابه مع دراسة العجيلي ١٩٧٩ و دراسة برادة ١٩٧٥ و دراسة طوالبة ١٩٧٤.

اما فيما يخص المكانة الاجتماعية فقد اســتاثرت الطبقة الفقيرة على شــخصيات الحكايات اليابانية القديمة اذ بلغت النسبة ٥٣,٣٪ و احتلت المرتبة الاولى فيما جاءت بالمرتبة الثانية الطبقة المتوسطة و بنسبة بلغت ٢٦,٧٪ و الطبقة الغنية بنسبة ٦,٧٪ و الجدول ١٠ يوضح ذلك

جدول (١٠)

انواع المكانة الاجتماعية في الحكايات اليابانية القديمة

المكانة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية	الرتبة	قيمة مربع كاي
طبقات فقيرة	٤٠	٥٣,٣	١	*٢٨,٤٥
طبقات متوسطة	٢٠	٢٦,٧	٢	
طبقات غنية	٥	٦,٧	٤	
مجموع المكانة الاجتماعية	٦٥	٨٦,٧		
حكايات حيوانية	١٠	١٣,٣	٣	
المجموع الكلي	٧٥	١٠٠		

***قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (٢) و مستوى دلالة (٠,٠٥=٥,٩٩)**

يتضــح مــن الجــدول (١٠) ان الحكايات الحيوانية قد احتلت المرتبة الثالثة و بنســبة ١٣,٣٪ فيما كانت مكانة الطبقات الفقيرة هي الاعلى و ذلك كي يشعر الاطفال ان الفقراء يمكن ان يقوموا بالوظائف المختلفــة فــي الحياة الاجتماعيــة و يبدعوا فيها و لا يقتصر الامر على الطبقات الغنية و المتوســطة و تتشابه هذه النتيجة مع نتائج دراسة العجيلي ١٩٧٩. التي اشارت الى ان الطبقة الفقيرة جاءت بالمرتبة الثانية بعد مكانة غير محدد في دراســة العجيلي و اذا اســتثنيت مكانة غير محدد ستكون الطبقة الفقيرة بالدرجة الاولى.

اما فيما يخص الهدف الرابع عن نوع التعزيز الذي اكدته الحكايات اليابانية القديمة من حيث الاثابة و كونها مادية او معنوية او شخصية و العقوبة و كونها مادية او معنوية او شخصية فان الجدول (١١) يوضح ذلك

جدول (١١)

انواع التعزيز (نتائج السلوك) في الحكايات اليابانية القديمة من حيث الاثابة و العقوبة

نوع التعزيز		التكرار	النسبة المئوية	الرتبة	قيمة مربع كاي
الاثابة	مادية	٢٣	٣٠,٦٧	١	١١,٤١
	معنوية	١٩	٢٥,١٩	٢	
	شخصية	٥	٦,٦٧	٣	
العقوبة	مادية	٨	١٠,٦٧	٢	٨,٣٨
	معنوية	٣	٤,٠٠	٣	
	شخصية	١٥	٢٠,٠٠	١	
مجموع الاثابات		٤٧	٦٢,٦٧	١	٦٠,٤٢٩(*)
مجموع العقوبات		٢٦	٣٤,٦٧	٢	
مجموع بدون تعزيز		٢	٢,٦٦	٣	
المجوع الكلي		٧٥	١٠٠		

يتضح من الجدول (١١) ان الاثابات قد احتلت المرتبة الاولى و بنسبة ٦٢,٦٧٪ و مجموع العقوبات جاءت بالمرتبة الثانية من مراتب التعزيز و بنسبة ٣٤,٦٧٪ فيما جاءت بالمرتبة الثالثة بدون تعزيز و بنسبة مقدارها ٢,٦٦٪ و هذه النسب دالة احصائيا اذ ان القيمة المستخرجة (٦٠,٤٢) اعلى من القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥).

و توزعت الاثابات بين مادية و معنوية و ذاتية اذ بلغت الاثابات المادية ٢٣ تكرار و بنسبة ٣٠,٦٧٪ و بالمرتبة الاولى فيما حلت الاثابات المعنوية الذاتية بالمرتبتين الثانية و الثالثة و بنسب ٢٥,١٩٪ و ٦,٦٠٪ على التتابع. و هي نسب دالة احصائيا اذ ان القيمة المستخرجة (١١,٤١) اعلى من القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) .

فيما جاءت العقوبات بالمرتبة الثانية و توزعت هي الاخرى بين مادية و معنوية و شخصية. و قد احتلت العقوبات الشخصية المرتبة الاولى و بنسبة ٢٠٪ فيما تبعتها العقوبات المادية و المعنوية و بنسب ١٠,٦٧٪ و ٤٪ على التتابع و هي نسب دالة احصائيا اذ ان القيمة المستخرجة لمربع كاي (٨,٣٨) اعلى من القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥).

يتضح من نتائج التحليل الاحصائي ان نسب الاثابة اعلى من نسب العقوبة و ان نتائج السلوك في الحكايات اليابانية القديمة قد مالت الى الاثابة و هي نقطة ايجابية و ذات تاثير تربوي في نفوس الاطفال عامة و اليابانيين تحديداً و كانت نسب العقوبة هي الاخرى ليست واطئة و هي تشير الى ان السلوك اما ان يثاب اذا كان ايجابيا او يعاقب اذ لم يتسق مع السلوك الاجتماعي العام.

و قد تشابهت نتائج هذه الدراسة مع دراسة طوالبة ١٩٧٤ و اختلفت مع دراسة العجيلي ١٩٧٩ التي اظهرت تقاربا كبيرا بين كل من الاثابة و العقوبة اذ بلغت نسبة الاثابة ٤٩٪ و العقوبة ٥١٪ كما تشابهت هذه الدراسة ايضا مع دراسة طوالبة في تقدم الاثابة المادية تتبعها المعنوية و كذلك تشابهت دراسة العجيلي ١٩٧٩ في تتابع رتب الاثابة فيما انفردت هذه الدراسة في رتب العقوبة مع الدراسات الاخرى كدراسة العجيلي ١٩٧٩ و دراسة طوالبة ١٩٧٤.

ان ما تجدر الاشارة اليه ، ان ادب الاطفال يتميز بالبساطة والسهولة وتلك من خصائصه المميزة التي تسبغها طبيعة الاطفال انفسهم ، فالطفل كائن فريد له طرائق تفكيره وانفعالاته وميوله التي تنمو وتتهذب مع نموه عبر مراحله المختلفة ولكل مرحلة من مراحل النمو تلك يرعاها ادب الاطفال. كما ان حكايات الاطفال تشبع الحاجات النفسية لهم كالحاجة الى المعرفة التي توفرها الحكايات بطريقة غير مباشرة ، وتنمي فيهم عادات ومهارات الحياة اليومية من خلال اظهارها العادات السلوكية للجماعة وادابها واسلوبها في الحياة، كما تنمي الحاجات الى اكتساب القيم الخلقية والاجتماعية وتغرس فيهم اهمية الانجاز وتقدير قيمة العمل وتحمل المسؤولية وتنمية القدرات العقلية والاساليب الفكرية المطلوبة كحل المشكلات والاعتماد على النفس ، هذا فضلا على الحكايات على اشباع الحاجة الى التنفيس عن النزعات المكبوتة التي اكتسبها الطفل ولا يستطيع اشباعها بسبب تناقضها وتنافرها مع عادات المجتمع مما تحقق له جانبا من الصحة من خلال الترفيه واللعب والسعي الى عالم خيالي(مقدادي، موفق رياض،٢٠١٢،ص٨٧-٩٣).

ويرى بعض علماء النفس ان الحكايات الشعبية على لسان الحيوانات والجن وما فيها من خرافة قد تكون علاجا نفسيا للاطفال من خلال امتزاج الواقع مع الخيال ، وتساعدهم في بناء شخصياتهم القادرة على تمييز الحق من الباطل والصحيح من الخطأ وتغرس فيهم الفضائل التي ينشدها المجتمع ويطمح اليها في صورة انسان المستقبل ، وقد استطاعت هذه الحكايات الشعبية اليابانية القديمة تحقيق ذلك من خلال استمرارها الى اليوم وتداولها لدى افراد المجتمع الياباني المعاصر.

مصادر البحث

المصادر العربية:

- ابـن منظـور، جمال الدين ابـو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري. (٢٠٠٩)، **لســان العــرب**، بيـروت ودار الكتـب العلمية.

- اسماعيل، محمد عماد الدين.(١٩٨٦)،**الاطفال مرآة المتجمع «النمو النفســي الاجتماعي للطفل في ســنواته التكوينيــة»**. عالـم المعرفـة. العدد ٩٩،الكويت،المجلـس الوطنــي للثقافــة و الفنون و الاداب.

- بـراده، هـدى، و اخرون.(١٩٧٤)، دراســة تحليلية لقصص الاطفال الشــائعة في هدى برادة و اخرون ،الاطفال يقراون، القاهرة، الهيأة المصرية للكتاب. في العجيلي،شـذى عبـد الباقي (١٩٧٩)، **دراسة تحليلية لقصص الامهات العراقيات**. بغداد، جامعــة بغداد، كلية التربية رســالة ماجســتير غير منشورة ،ص ٢٠.

- الخطيـب، هـدى عبـد الوهـاب.(١٩٧٤). **التحــولات في الاتجاهات القيميــة لكتب المطالعة العربية للدراســة الابتدائية بين ١٩٥٧-١٩٥٨ و ١٩٧١-١٩٧٢**.بغداد،جامعــة بغداد، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة.

- رايشــاور، ادوين.(١٩٨٩).اليابانيــون. ترجمة ليلى الجبالي و مراجعة شــوقي جلال، **عالم المعرفة**،العدد١٣٦.الكويت،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب.

- رسـول،خليل ابراهيم.(١٩٧٨).**تقييــم كتب العلــوم و التربية الصحيــة للمرحلة الابتدائية في ضوء تنميتهــا للاتجاهات العلمية**. بغـداد، جامعة بغداد ،كلية التربية. رسالة ماجستير غير منشورة.

- ــــــــــــــــــــ .(٢٠١٥).

الاتجاهــات القيمية للشــخصية العراقيــة المزدوجة عنـد علــي الــوردي. **المســتقبل العربــي**، العدد ٤٣٥،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية.

- طعيمــة، رشــدي احمد.(١٩٨٧).**تحليــل المحتــوى فــي العلــوم الانســانية،مفهومه ،اسسه،استخداماته**.القاهرة،دار الفكر العربي.

- طوالبــة، عائشــة حسـين (١٩٨٥).**دراســة مقارنة للقيم في كتب المطالعة العربية في اسرائيل و الاردن**.بغداد،جامعــة بغداد،كلية التربية،رســالة ماجستير غير منشورة.

- عبـد الرحمــن، انور حســين و زنكنة،عدنان حقي شهاب.(٢٠٠٧).**الانماط المنهجية و تطبيقاتها في العلوم الانسانية و التطبيقية**.بغداد.

- عبـد الواحـد، عبـاس فاضـل.(٢٠٠٨). **المضامين النفسية للاساطير في ادب بلاد النهرين**. بغداد، جامعة بغداد، كلية الاداب رســالة ماجســتير غير منشورة.

العجيلي،شـذى عبـد الباقي.(١٩٧٩).**دراســة تحليلية لقصص الامهــات العراقيات**.بغداد،جامعة بغداد،كلية التربية،رسالة ماجستير غير منشورة.

- ــــــــــــــــــــ.(١٩٨٥). دراســة مقارنة في كتب المطالعــة للمرحلة الثانوية فــي الوطــن العربي.بغداد،جامعــة بغداد،كليــة التربية،اطروحة دكتوراه غير منشورة.

- عضيمــة، محمــد و كوتاكاريــا.(٢٠١٣). **حكايات يابانية قديمة**.دمشق،دار التكوين للتاليف و الترجمة و النشر.

- فــان دالين،ديــو بولد،ب.(١٩٨٤).**منــاهــج البحث في التربية و علم النفس**. ترجمة محمد نبيل نوفل و ســليمان الخضري الشيخ و طلعت منصور غبريال.القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية.

- الهيتي، خلف نصار محيســن.(١٩٧٧).**القيم**

السائدة في صحافة الاطفال العراقية.بغداد،جامعة بغداد،كلية التربية،رسالة ماجستير غير منشورة.

- الهيتي،هادي نعمان.(١٩٨٨).**ثقافة الاطفال**. عالم المعرفة.العـدد١٢٣ الكويت،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الادب.

- مقـدادي ، موفـق ريـاض(٢٠١٢) .البنـى الحكائيـة فـي ادب الاطفال العربـي الحديث، **عالم المعرفة** ،الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب .

المصادر الاجنبية:

-Banks,James,A.(1977).Acontent Analysis of the Blank American in textbook,in james,A banks, Teaching social studiesto culturally different children.new York,Addison-wesley,pp.152-160.

-Berlson,berard,(1959).contant analysis in gardner lindzey (ed.),hand book of social psychology.vol.new York,Addison-wesley.

-Bory,walter R.&Meredith,d.gall.(1971). educational research.an introduction 2nd. Newyork,david mekay.

-Briggs,nancy.(1972).aurvey of favorite stories of pubils from kindergarten to grad six in the speech **teacher**,vol.21,no,2.

في العجيلي،شـذى عبـد الباقي(١٩٧٩) دراسـة تحليلية لقصـص الامهات العراقيات بغداد،جامعة بغدا،كلية التربية،رسالة ماجستير غير منشورة.ص٢٦.

-Budd،Richard.w(1964).**us in the press down under**. The public opinion quarterly.vol.xxvlll،no.1.

-Budd،Richard&others.(1967) content analysis of communications.new York،macmillan.

-Cartwright،d.p.(1969) **analysis of qualitative material in l.festinger and d.katz (eds) in oler.holsti content analysis for the social sciences and humanities**،newyork،Addison-wesley.

-Chaplin،j.p.(1971) **dictionary of psychology**.newyork،dell.

-Green,bob.(2007).**personal construct psychology and content analysis**. personal construct theory and practice (on-line)available,at. ,http.//www.pcp.net.org/jounal/petpoy.html

-Holsti,ole r.(1969).**content analysis for the social sciences and humanities**. newyork.addison-wesley.

-Kerlinger,fred,n.(1975).**foundations of behavioral research** 2nd ed .newyork,holt.

-Kluckhohn,clyde&henry,a.murray,(1967).**personality formation the determinats**,in clydekluckhohn&henry.a.murray(eds).personality.newyork. alfred konopt.

-Krippendorff,Klaus.(2004).**an introrduction to its methodology**.2nd. ed.thousand oaks.

-McCall,Robert,B.(1998).**fundamental statistics for behavioral science**,7th ed, newyork,col publishing company.

-Nunnally,Jum.cand bernsteim,ira.(1976).**psychometrictheory**. newyork,Mcgraw-hill.

-Robert,philipweber.(1990).**basic content analysis**,2nd,ed,newyork,sage publication.

-stewart,Elbertw.(1978).**sociology**. newyork,macgraw-hill.

-Stone,Philip.J.(1966).**The general inquirer:approach to content analysis**,newyork,mit press.

الهوامش

(١) المحلـل الخارجـي هو المدرس عبـاس فاضل عبد الواحد، تدريسـي في كلية الاداب/ قسم علم النفس / جامعة بغداد وله خبرة في تحليل المحتوى

(*) القيمة الجدولية لمربع كاي عند مستوى دلالة ٠,٠٥ و درجة حرية ٢=٥,٩٩

Analysis of The content of values in The ancient Japanese stories for children

Prof.Dr.Khalil Ibrahim Rassol .

Abstact

This research aims at identifying the nature and types of oncient Japanese speechs and stories ,and the nature of its heroes figures and there social status . It analysis a collection of stories entitled ancient Japanese stories . Approaching to what it is addressing of values that targeting Japanese kids wich were puplished by Mohammed Adimah and Kota Karia after translating to Arabic . It dosn‘t reflect tha current Japanese community but it shows the rools of Japanese life still sticking with it‘s values of some extent .

The researcher used content analysis method with it‘s scientific quantive, and it‘s requirements , he used two famous clssification global analysis ,They are Kluckhon‘s classification , Child classification and other . They are values analysis after he made sure of their validity , reliability and suitability for The anlysis of those stories.

The result showed : In Kluckhon‘s clssificaion , the valued time dimedimension was the past , man – agreeably – nature was the first rank .

In Child classification and others took the first rank for the fairy tales and its adult heroes as they are main and main and minor figures in collection of stories of poor people in addition to that repayment was higher than punishment in those stories .

Researcher used means such as Chi-square statistics to signify The moral of The differences between ranks of two classification analysis fields .

علي الوردي: أفكار ومفاهيم
دراسة تحليلية في كتابه
«لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث»

أ.د.علي عبدالهادي المرهج(*)

المقدمة

لـم يحـظ مفكر عراقـي بمثل مـا حظي به الدكتور الوردي من إهتمام، على كلا المستويين الشـعبي والثقافـي، ورغم ذلـك فالكتابات عنه مازالت ليست بالمستوى المطلوب، فكثير منها، إما ذا طابع مقالـي وغالبا ما يكون إحتفائيا، أو ذا طابـع ثقافي عام. أما على المسـتوى الدرس الأكاديمي، فمـن وجهة نظري لم يحظ الوردي بقـدر كاف مـن الإهتمـام، ومحاولـة تفكيـك وارتبـاط آراء الـوردي وتحليلهـا فـي ضـوء متغيـرات الوضعيـن: الوضع العراقـي اليوم والصـراع الطائفي فيه، من جهة، وارتباط هذا الوضع بتحولات السياسـات الدولية والإقليمية المحيطـة، مـن جهـة أخـرى. وهـل بقي من فكر الوردي شـيء أم أشـياء في ضوء قراءته شـخصية الفـرد العراقي؟ وهل ظهـر ما يُثبت قيمة الدراسـة الإسـتبيانية في معرفة شخصية الفرد العراقي بعد أن تنكر لها الوردي؟.

من وجهـة نظري فـانّ فكر الـوردي بقي منه أشـياء وأشـياء، ولا زال فاعلا في معرفة الشـخصية العراقية وحتى العربية، ومنها على عُمق الصراع الطائفي في العراق وإسـتمراره بإسـتمرار الصـراع الإقليمـي، لا سـيما بيـن تركيـا «السـنية» ومؤيـدو سياسـتها، وإيران «الشيعية» ومؤيدو سياسـتها، وإنعكاسات هذه «الحرب الباردة»- التي بدأت بالسـخونة- على تشـتت العراقيين وضياع وطنيتهم بالولاء لهذه الجهة أو تلك. وهذا ما نسـعى لتأكيده في بحثنا هـذا. فنحـن نعتقد أن قيمة فكر الوردي ليسـت فـي جرأتـه فقـط، وإن كانت هذه سـمة مهمة للمفكـر والكاتب، ولكننا نجـد أن قيمة الوردي تكمن في صياغتـه فرضياته وصناعته لمفاهيم جديـدة وتبيئته لمفاهيم أخرى من الفكر التراثي أو الفكر الحداثي والتي أثبتت قدرتها التفسيرية على معرفـة المجتمع العراقي. والتي سـتكون واحدة من مهمات بحثنا هذا.

(*) الجامعة المستنصرية ـ كلية الآداب ـ قسم الفلسفة

إننا حينما نُريد أن نكتشف أهمية كاتب ما، يستحق أن تُطلق عليه صفة مفكر، فعلينا البحث عن منتجه المفاهيمي أولا، ومساعدة القارئ في الكشف عن المقدرة التفسيرية لهذا المنتج المفاهيمي اليوم ثانيا، وتسهيل إمكانية الإفادة من توظيفهم لمنتجه المفاهيمي بوصفه عدة منهجية للباحثين في معرفة خط سير المجتمع العراقي أو أي مجتمع آخر ثالثاً.

كان سعينا في البحث منصباً في هذه المهمة التي نعتقد أنها واحدة من الأشياء التي تدعونا لأن نتعامل مع الوردي بوصفه مفكراً. وكنا من قبل قد إشتغلنا في الكشف عن توجهات الوردي الفلسفية[1]. ويأتي هذا البحث إستكمالا لما بدأناه، لأن الكشف عن الأفكار والمنتج المفاهيمي هو بحث يصب في إظهار البعد الفلسفي وإظهار فاعلية هذه المفاهيم، لأن بُعد المفاهيم الأهم يكمن في كونها منتجاً نظرياً تصورياً، يحاول ذوو الإختصاص التطبيقي توظيفه في بحوثهم الإجرائية. لذا وكما نعتقد أن أفكار الوردي بقيت أقرب للرؤية الاستقرائية ذات البعد الاستنباطي الإفتراضي، شبيهة بمنهج التكذيب البوبري الذي يضع الكثير من الفرضيات ومن ثم السعي لتفنيدها واحدة تلو الأخرى، والفرضية الأكثر صمودا أمام النقد هي الأقرب للحقيقة. لذا أبقى الوردي على فرضياته الثنائية الثلاث «البداوة والحضارة» و»إزدواجية الشخصية» و «التناشز الاجتماعي». إعتقد أنها كانت الأكثر صمودا من فرضيات أُخر. ويمكن أن يكون هذا البعد النظري لفرضيات الوردي ومنتجه المفاهيمي الذي جعله يعتقد أنه صار بمقدوره معرفة شخصية الفرد العراقي، هو الذي دفعه إلى رفض الطريقة الإستبيانية والإحصائية في الكشف عن طبيعة العراقي، لأنه يعاني من «إزدواجية الشخصية»، فبالتالي حينما يُعطى الإستبيان الإحصائي، فإنه سيُظهر شيئاً في جوابه ويُضمر أشياء وأشياء.

الموروث والوافد (القديم والجديد)

لخص الوردي هذا النزاع المفاهيمي بأنه نزاع بين «المحافظين والمجددين» وعدَّ هذا الصراع «ظاهرة اجتماعية» في كل زمان ومكان، وإنما هي تختلف شدة وضعفا بحسب إختلاف الظروف. (ج٢، ص٥٩)[2] وطبيعة الناس العامة تكون ضد الجديد لأنه سيغير كثيرا من تقاليدهم وعاداتهم وقيمهم التي إعتادوا عليها وظنوا أنها قيما ثابتة وهي القيمة الحقيقية وغيرها خاطئ، ولربما عدًوا من يأتي بالجديد «زنديقا» و «كافرا» لأنه مبتدع لشيء جديد لم تعرفه الأمة من قبل «وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

لربما يكون موضوع الصراع بين القديم والجديد من أهم الآراء التي طرحها الوردي ونبه عليها قبل كثير من المفكرين العرب، الذين كتبوا عن: «تجديد الفكر العربي» و «التراث والتجديد» و «التراث والحداثة»، وكُتب أخرى وهذه الكتابات تبدو أغلبها حول الكشف عن قصة النزاع أو الصراع بين «السلفيين» أو «الماضويين» «التراثيين» أو «المحافظين» وبين «الحداثيين» أو «المتفرنجين» أو «التغريبيين» أو «المعاصرين». وعلى الرغم مما يبدو في هذه المفاهيم من تقابل أو تناقض، إلا أن هذا التصور ليس دقيقا لأن من الحداثيين من يستفيد من التراث، ومن التراثيين من يسعى للأفادة من الحداثة. وهناك من يرفض الحداثة وآخر يرفض التراث. وإذا أمعنا النظر

فـي هذه الثنائيات (التراث/الحداثة)، (الأصالة/المعاصرة)، الموروث/الوافد)، (القديم/الجديد) نراهـا قريبة إلى حـد كبير من فرضية الوردي الثنائيـة: (البداوة/الحضارة) التي تشـكل ثنائية أو «إزدواجية الشـخصية) التي تشترك بثنائية أخرى هي «التناشز الاجتماعي» الذي يحصل نتيجـة الصـراع بيـن دعـاة الأصالـة ودعاة المعاصـرة أو بين دعاة العـودة للقديم: للتراث أو المـوروث وبيـن دعـاة الحداثـة أو الوافد، وهـذا الصراع يظهر نتيجة إطلاع بعض أفراد المجتمع علـى التحولات التقنيـة والمعلوماتية وبين ما هو عليه مجتمعهم من ركود وسـبات. مـن هنا يبـدأ هـؤلاء المجـددون فـي الدعوة الصريحـة للتخلي عـن القيم والتقاليـد القديمة ومحاولة اللحـاق بالتقدم الذي حـدث في بلدان الغرب ليس فـي التقنية والمعلوماتية فحسـب، بل وفـي أنظمة الحكم السياسـي التـي تحولت من الإسـتبداد وحكـم الأقلية «الأوليغارشـية» إلى العقد الاجتماعي وحكم الأغلبية السياسـية. وكان لا بـد لنزعـة التجديد هذه مـن مواجهة، فشـمر المحافظون عن سـواعدهم في مواجهة الفكر الغربي بوصفـه إمتدادا للمد الكولنيالي!! من وجهة نظرهـم، فكان هناك من إنبرى لذلك التوجه ممن هم مـن رجال الدين والعامة الذين يحركهـم هـؤلاء وسـلاطين الإسـتبداد الذين يحركون رجـال الدين. وهنا بـدأ الصراع بين أصحاب «المشروطة» الدستوريين وأصحاب «المسـتبدة» الذين يؤمنـون بطاعة أولي الأمر وبالسلطة المطلقة للحاكم.

كان الـوردي ذكيا حينمـا مر على ذكر هذا الصـراع بين المحافظيـن والمجدديـن أو بين دعـاة «المسـتبدة» ودعـاة «المشـروطة» في تركيـا وإيران فـي كتابه «لمحـات اجتماعية» وإن كان مسـهبا في رواية كثيـر من الأحداث حتـى كاد الكتـاب أن يكـون «تاريـخ العراق الحديث والبلدان المجاورة» مع بعض اللمحات الاجتماعيـة التي نثرها الوردي بين ثنايا أجزاء الكتاب والتي ليس فيها كبير زيادة على ما كتبه في كتبه السابقة لا سيما «مهزلة العقل البشري» و «وعـاظ السـلاطين» و «دراسـة في طبيعة المجتمع العراقي». وسـتكون مهمة أخرى من مهـام بحثنا هذا، والتي هي لملمة أفكار الوردي ومفاهيمـه الفكرية وجمعها في كتابه «لمحات» كي تكون بين يدي من أراد الإستغناء عن قراءة سـرد الوردي للأحـداث التاريخيـة والإكتفاء بمعرفة آرائه الفكرية عموما والاجتماعية على وجه التحديد.

يقـول الوردي عن كتابـه لمحات اجتماعية «يشبه أن يكون كتاب تاريخ بيد أنه يختلف عن كتـب التاريخ المعتادة بكونـه لا يهتم بالأحداث الماضية لنفسها على منوال ما يفعل المؤرخون بل هو يهتـم بالدرجة الأولى بمـا تنطوي عليه الأحداث من دلالـة فكريـة اجتماعية». (ج١، ص٦) وقد حاول الوردي الرد على من إنتقده، كونه اهتم بالرواية التاريخية وتحول إلى مؤرخ وأهمل الجانب الاجتماعي، بحساب أن «التاريخ والإجتمـاع مترابطـان، أو هما وجهـان لعملة واحدة»(ملحق الجزء٦، القسـم ٢. ص٣٦٣)، إلا أننـا لا نجـد هـذا دفاعا بقدر ما هو تسـويغ وإعتراف من الـوردي أنه صار أقرب للتاريخ منه للاجتمـاع، فالقول إنّ التاريـخ والاجتماع وجهـان لعملة واحدة قـول لا يوجد في التاريخ مـا يُسـنده ولا فـي الاجتمـاع ما يدعمـه، فأن يستفيد المؤرخ من أحداث اجتماعية لا يعني أنه صـار عالم اجتماع، والعكـس صحيح، ولربما كان لتأثـر الوردي في ابن خلدون حضوره في

توجــه مثل هــذا، لأن ابن خلــدون كتب تأريخا وكتــب في علــم العمران الذي هــو اليوم أقرب لعلم الاجتماع، ولكن الذي ينبغي الإلتفات له أن ابن خلدون قد فصل رؤيته لفلسفة التاريخ وعلم العمران في المقدمة، فقد ضمن آراءه في هذين العلميــن في مقدمة كتابه فــي التاريخ، أما باقي الكتاب فإننا نجده كتابا في التاريخ.

المهــم ما يعنينا من ذلك كله أن هذه الثنائيات التــي برزهــا الــوردي فــي قراءته للشــخصية العراقية هــي التي بدأ عندها الصــراع والنزاع أكثر وضوحاً وتميزاً لاسـيما ظاهـرة «البداوة والحضارة» وتفريق الوردي بين أخلاق البداوة وأخــلاق التحضر، فالبداوة تمجـد قيم العصبية والثأر والنهب والدخالة وقتل المرأة لغسل العار. أما عند الحضر فقد كان هناك حضور ومقبولية لحكم القانــون والانفتاح علــى المدنية وطرائق الحياة فيها. ولغزو البدو المستمر للعراق تغلغلت قيم البداوة، وصارت فرضيات الوردي الثلاثة، لا سـيما بعد المد الاستعماري على بلدان الوطن العربــي والعــراق فــي ضمنهم، صــارت أكثر حضوراً ووضوحاً في شخصية الفرد العراقي، الذي شــاهد قوة الترســانة العســكرية من بندقية ومدفــع وآليات أخرى فــي مقابل «المگوار» أو «التوثية» أو «السيف» حتى، فهي آلات ليس لها قيمــة في مقابل ما وصل إليــه الغرب، وإن كان الوردي لا يتنكر لما فعله رجال ثورة العشــرين فــي آلاتهــم التقليدية هــذه في مواجهــة المحتل الإنجليزي، ولكن ينبغي علينا ألا نتصور بأن هذه الآلات التقليديــة هي وســائل ناجعة في مواجهة الأعداء اليوم (بداية القرن الواحد والعشرين) بما لديهم من قوة ومن ترســانة عسكرية مهولة. من هنا جاءت فرضيات الوردي الثلاثة.

فرضيات الوردي في تفسير طبيعة المجتمع العراقي:

١ـ صــراع البــداوة والحضــارة: أخــذ هــذه الفرضية من (ابن خلدون) الذي كان الوردي من أشد المعجبين به، لا سيما في «مقدمته»، حتى أنه ألف كتاباً مستقلا عنه بعنوان (منطق ابن خلدون في ضــوء حضارته). يعتقد الــوردي أن العراق مُحاط بأكبر صحراء، وهذا الأمر هو الذي جعل العراق عرضة لمد البداوة، وقد سيطر المد البدوي على العراق منذ سقوط الدولة العباسية وإستمر ما ينوف على ســتة القــرون. (ج١، ص٣١٢) وهو «مجتمع تسوده القيم البدوية بكلا جانبيها السلبي والإيجابــي». فأنــت قد تجــد فيه إســتفحال القيم العصبيــة والغزو والنهب والإتــاوة والثأر، وفي الوقت نفسه، تجد فيه قيم الضيافة والنخوة والدخالة والتسيار (ج٣، ص٤١٦)

تأثــر المجتمع العراقي فــي «المد البدوي» كون الصحراء التي تتاخم العراق هي من أعظم منابع البداوة في العالم وليس هناك حاجز طبيعي يحجــز بينهــا وبينه، ولذا كانــت القبائل البدوية على إســتعداد دائم لدخول العراق والسكنى فيه. (ج١، ص)١٩. هــذا التأثر من قيــم البداوة من جهة ووجود قيم حضرية أصيلة في العراق كون بغــداد كانت حاضرة الدنيا، وتأثر العراقيين في المدنيــة الغربية من جهة أخرى، جعل العراقي يعيــش صراعاً فكريــاً بين المــوروث والوافد والأصيــل والمعاصر، الأمر الــذي تحول إلى سلوك اجتماعي «إزدواج الشخصية» و»تناشز اجتماعــي». وكلاهمــا يحصــل مــن معانــاة العراقييــن من «بدونة» المدينة ومن شــعورهم بأهميــة القيــم المدنيــة وقيمتها لا ســيما ونحن نعيش التســارع التقنــي والمعلوماتي الذي تنبه عليه (آلفن توفلر) في كتبه «صدمة المســتقبل»

و»الموجة الثالثة» و»تحول السلطة». وكان المفكر الاجتماعي الأمريكي (وليم أوكبورن ١٨٨٦-١٩٩٥) كبير التأثير في مفكرنا علي الوردي، فقد طرح أوكبورن في كتابه (التغيير الاجتماعي) فكرة (التخلف الثقافي cultural lag) ويستعملها الوردي تحت مسمى "الفجوة الثقافية" وبعضهم يضع مقابل إنجليزي آخر لها هو (cultural gap). كان (أوكبورن) يُشير إلى ما يُحدثه التطور التقاني والثقافي من تغيير في السلوك الاجتماعي[٣]. وهي الفكرة نفسها التي ذهب إليها توفلر في كتاباته.

٢- التناشز الاجتماعي: إستعار الوردي هذه الفرضية كما ذكرنا سابقا من عالم الاجتماع (أوكبورن). وهو نوع من التحول الاجتماعي يحصل نتيجة التسارع والتغيير في الحياة الحديثة، على الصعد كلها، التقنية والعلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية، مع وجود جماعات تعيش معزولة في مجتمع منغلق، فيؤدي هذا إلى «التناشز الاجتماعي»، أي حدوث صراع أو توتر وتناقض بين سلوكيَن اجتماعيين داخل الشخصية الواحدة ومن ثم داخل المجتمع الواحد.

أنواع التناشز:

أ- تناشز الحقوق والواجبات: فقد اختلفت طبيعة الحقوق والواجبات في العصر الحديث، وظهور مفاهيم جديدة مثل: الوطن ليحل محل القبيلة أو العشيرة، الديمقراطية لتحل محل الشورى...وغير ذلك ومشكلة الفرد العراقي أنه دائم المطالبة بحقوقه، ودائم النقد للحكومة، إلا أنه ينسى أو يتناسى ما عليه من واجبات، أهمها طاعة القوانين التي تغاضى عن الإلتزام بها أغلب العراقيين وإلى يومنا هذا.

ب. تناشز المدارس والوظائف: هو البون الذي سيحصل بين سعة الدوائر الحكومية وعدد الخريجين، ولا بد أن يأتي يوم تتوقف فيه الدوائر عن إستيعاب أي موظف جديد إلا بنطاق ضيق. وفي حال فشل الخريج في الحصول على وظيفة أو في حال حصوله، فإن المشكلة باقية.

ج. تناشز الرجل والمرأة: يأتي هذا النوع من التناشز بسبب القيم الجديدة التي نشرتها الحضارة الجديدة، فاختلاف نظام الزواج وقدرة المرأة في التعبير عن نفسها. بدأ الرجل يسعى لإظهار القناعة بهذه القيم على مستوى التحدث، ولكن الكثير منهم حينما يُحب فتاة مثلاً فإذا إستجابت له وأطاعته، نسيَ وعوده لها وحضرت كل القيم والتقاليد التي يدعي بأنها تقاليد بالية.

د. تناشز الدين والجيل الجديد: يحصل هذا التناشز الاجتماعي بسبب التحول القيمي في طريقة تعامل الحياة الثقافية القديمة مع رجال الدين من تقديس له بوصفه العارف بكل شيء، يقابل ذلك سعي الحياة الثقافية الحديثة إلى التخصص العلمي والثقافي، الأمر الذي أضعف من قيمة رجال الدين في المجتمعات الحديثة وأحدث فجوة بين الجيل الجديد والجيل القديم سببها:

١. الموقف الرافض لرجال الدين والمتزمت تجاه الحضارة الحديثة، من أفكار ونظم وأزياء.

٢. إنشغال رجال الدين وإستغراقهم في المباحث الفقهية وفي مسائل الحلال والحرام أكثر من إنشغالهم في مشكلات الحياة الحديثة.

٣. إعتماد رجال الدين على المنطق الأرسطي، الذي هو برأي الوردي منطق المترفين، لا يصلح لإكتشاف الحقائق أو التثبت منها.

٤ـ سكوت رجال الدين عن إنتقاد الناس المفرط في التعبير عن الطقوس والشعائر الدينية التي لا ينسجم الكثير منها مع تطور طريقة الحياة الحضارية الحديثة. (ج١، ص٢٩٧ـ٣١٩) وهذا التشخيص الذي وضعه الوردي لا زال بالامكان قبوله وتوظيفه في فهم عقلية رجال الدين وإستمرارهم في بقائهم على ما هم عليه، على الرغم من كل المتغيرات والتحولات العالمية التقنية والمعلوماتية في القرن الحادي والعشرين، بل استعمالهم لهذه الثورة المعلوماتية للترويج لأفكار مثل هذه.

هـ. الشعر والبداوة والتناشز الاجتماعي: يعتقد الوردي أن ولعنا المفرط بالشعر هو تراث بدوي نشأ فينا منذ أيام الجاهلية حينما كانت القبيلة تحتفل بنبوغ الشاعر مثلما تحتفل بقوة الفارس الشجاع. فالبدو دائما محاربون غازون أو مغزوون يحتاجون للحماسة والفخر لرفع الهمم عند المقاتلين. ومن مظاهر البداوة في الشعر هي مقولة «أكذب الشعر أعذبه» لأن الشاعر في الحياة الجاهلية لا يبالي بالحقائق بمقدار ما يبالي بنصرة قبيلته، فقبيلته هي المحقة دائما. كذلك عدَ الوردي الشعر من مظاهر التناشز الاجتماعي، فنحن نسير في مضمار الحياة الحديثة ولكننا نُصر في الوقت نفسه على المحافظة على تراثنا الشعري الذي هو على طرفي نقيض مع نظم الحضارة ومقتضياتها. (ج١، ص٣٢١ـ ص٣٢٤) ولم ينتقد الوردي الشعر فحسب، بل إنتقد النحو الذي يجد أن مشكلته تكمن في «أنه ذو قواعد كثيرة ومعقدة دون أن تكون لها فائدة عملية....فيجب علينا أن نبدأ بتقليص القواعد النحوية في سبيل التخلص منها تدريجيا». (ج٤، ص٦).

٣ـ إزدواج الشخصية: هي فرضية تبناها الوردي من عالم الاجتماع (روبرت ماكيفر Robert Maciver ١٨٨٢-١٩٧٠). من أهم كتب ماكيفر المترجمة للعربية هو كتاب "تكوين الدولة" يقصد بها هو أن يسلك الإنسان سلوكاً متناقضاً من دون أن يشعر بهذا التناقض في سلوكه أو يعترف به. وهو ينشأ من جراء وقوع الإنسان تحت تأثير نظامين متناقضين من القيم والمفاهيم، فهو يتأثر في أحد النظامين تارة، وفي الآخر تارة أخرى. ويعتقد الوردي أن هذا الإزدواج في الشخصية يبدو أكثر وضوحاً عند الناس الذين ينشأون في بيئة دينية متزمتة يكثر فيها الوعظ. واليوم صار هذا الإزدواج منتشراً بين أوسط المتعلمين، ويأخذ مثالاً على ذلك إنتشار "الوساطة" في دوائر الدولة على الرغم من إنتقاد الكثير لها، لكن من يحتاج "الوساطة" وحققها له أحدهم، سيكون الوساطة محل إحترام وتقدير، وحينما تكون الواسطة لغيرنا نُسرع إلى إنتقاد هذه الظاهرة. (ج١، ص٣١٥)

التدين والسلطان والإنسان

«ان النفس البشرية تهوى الأيمان بدين فإذا فقدت ديناً جاءها من السماء إلتمست لها ديناً يأتيها من الأرض[٤] فـ «النفس البشرية تحتاج إلى التدين كما يحتاج البدن إلى الغذاء»(ج٢، ص٣٤١) وكلما كانت هناك مخاطر وتهديدات لا يعرف لها تفسيراً أو مشاكل لا يستطيع حلها، سنجده يلجأ دائما للمجهول وللغيب، وللتعبير عن مديونيته وتدينه، نجده يلجأ للطقوس والشعائر من أجل أن تُنقذه من الأخطار المُحدقة به.

وكما هو معروف فأن الوردي ينطلق في رؤيته لكل قضية في ضوء مرجعيته

الاجتماعيــة، ونظرتــه للديــن تنطلــق من هذه الرؤية، فهو يرى في الدين إنه ظاهرة اجتماعية عامــة موجودة في الشــعوب كلها حتى اشــدها بدائيــة، فطلما كان للإنســان مهــددا بالأخطار ومحاطــاً بالمشــاكل دائماً، فهــو اذاً بحاجة الى عقائد وطقوس دينية تســاعده فــي مواجهة تلك الأخطار والمشاكل وتبعث في نفسه الطمأنينة، ومعنــى هــذا أن التقديس ليس أمــراً طارئاً في حيــاة المجتماعات، بــل حاجة ملحــة تقتضيها طبيعة الانسان.

إن الانســان حينمــا يرى المــوت لا بد من أن يبحــث عن طريقة للمواجهــة، ومن طرائق المواجهة هو اللجوء الى عقيدة وطقوس تعطيه الأمــل بحياة أخــرى ثانية بعد المــوت. (ينظر: ج٥، القسم الثاني، ص٣٩٤)

يرتبط مفهوم الدين عنــد الوردي بالنظرية الاجتماعيــة القائمة على الدمج بيــن قيم الخير وقيــم الشــر، أي النســبية القائلــة بــأن الحقيقة متغيــرة في ضوء المصلحة، فما هو خير يمكن أن يكون شراً في وقت آخر حينما يتعارض مع مصلحتنا، والعكس صحيح، لذلك فالقيم متغيرة عند الشــخص نفسه ومن شخص الى آخر ومن مجتمع الى آخر، وهذا التصنيف للإنســان على أنــه إما أن يكون خيراً أو شــريراً، تقســيم غير واقعي لأن الإنسان بإعتقاد الوردي «مزيج من الشــر والخير»[٥]، فطالمــا كان « الفرد مقياس الأشــياء جميعاً « كما ذهب الــى ذلك أصحاب الفلســفة السفســطائية الذين لهم الأثر الكبير في فكر الوردي، فبالتالي يكون كل ما يلائم مقياس الإنسان فهو خير وكل ما لا يلائمه فهو شر.

لذلــك يمكــن القــول إنّ الــوردي ينظر الى الديــن في ضوء نظريته المرادفة بين المصلحة والحقيقــة التي تقتــرب من فلســفة وليم جيمس وموقفه من الدين، بمعنى أن الرسل أو الأنبياء أو المصلحين حينما جاءوا برسالاتهم أو بدعاواهم إنمــا كان حضورهم وتأثيرهــم في المجتمع في ضــوء المصلحة. وواحدة من هذه المصالح هو إحســاس المتدين بالطمأنينة والراحة ازاء فكرة الاعتقاد بوجود إله، هذا أمر، والأمر الآخر أن الديــن كما هو معروف جــاء لنصرة الضعفاء، والرســالات الســماوية والديانــات الوضعيــة جميعها إنما جاءت ونُصرت من الضعفاء لأنها كانت تهدف الى خلاصهم من ســلطة المترفين لذلــك نجــد في المقابــل أن المترفيــن كانوا في صراع مع المجددين الأنبياء.

إن الدين عند الوردي يقوم بوظيفة اجتماعية كبــرى حينما يكافح مــن أجل العدالــة وتحقيق المســاواة، وهو في الوقت نفسه يحقق نوعاً من أنواع التوازن الاجتماعي، لاســيما حينما يفتح الباب أمام الصراع بين الفئات المغلوبة والفئات الغالبــة، لأنه بذلك يُحرك الحياة، وهذا الصراع هــو الأمــل بتحقيق عالــم متوازن، لهــذا يعتقد الوردي بأن «الدين لا يقوم إلا بالكفاح والتدافع الاجتماعي»[٦]، وهذا الكفاح والتدافع هو طريق تحقيــق العدل الاجتماعي الذي هــو غاية الدين وهدفه، وهذا ما يســوغ النزعــة الثورية للدين، لذلك نجد الوردي يواشــج بين موقف نتشــه من الديــن بأنه « ثورة العبيد» وموقف ماركس بأن الدين «أفيون الشــعوب»، فيقــول الوردي : « أن الديــن ثورة وأفيون فــي آن واحد، فهو عند المترفيــن والأنبياء ثورة، وكل دين يبدأ على يد نبي ثورة ثم يســتحوذ عليــه المترفون بعد ذلك ويحولونــه الى أفيون»[٧] وهذا ما جعل علامتنا يعتقد بأن الثورة تفسد بعد مدة من نجاحها.

وفي هذا المجال يُميز الوردي بين ما أسماه «**الدين النبـوي**» أو الدين الثـوري و «**الدين الكهاني**». فـي المرحلـة الأولى يأتـي بالدين «نبي» من أجل إصلاح أحوال المجتمع الفاسدة على وجه من الوجوه، وكل نبي يواجه في بدايته مقاومة شـديدة من المجتمع، لأنه يُحارب قيمهم وعاداتهـم التي تربوا عليها وإعتقدوا بها، فليس من السـهل التخلي عنها، وتظل الدعوة الجديدة في حـرب متصلة مع أعدائها مـدة من الزمن، فـي حـال إنتصارهـا سـيكثر أتباعهـا، وكلما إزدادت إنتصاراتها كلما زاد عدد الداخلين فيها وإشتدت حماستهم لها إيمانا بها. ويعتنق الدعوة الجديـدة فريقـان: فريق بدافع الإيمـان واحقية الديـن الجديد. وفريق يعتنقهـا بدافع الإنتهازية والمصلحة الشـخصية، وهـؤلاء هم كُثر يكون أغلبهـم مـن الداخلين فـي الدعوة بعـد تحقيقها الإنتصارات.

أما الديـن الكهاني، فهو الديـن الذي ليس لـه مؤسـس، بل هو ينشـأ تلقائياً حيـث يبتدعه العامة تدريجياً حسـب تطور حاجاتهم النفسـية والاجتماعيـة. ومن الممكـن أن يتحول «الدين النبـوي» «الثـوري» إلى «ديـن كهاني» عبر خلـط عادات الناس القديمـة وقيمهم القديمة في الديـن الجديـد الذي دخلـوا فيه إما حماسـة أو بسبب إنتصاراته، فما كان له إلا أن يؤمنوا بهذا الدين، ولكنهم ما أن تنتهي حقبة التأسيس الأولى ويغيب المؤسـس للدين، حتى يسعى الكثير من الجماعـات الداخلة فيه الـى الهيمنة على مقاليد السـلطة، وهنـا سـتكون العـودة إلـى عاداتهم التـي إعتـادوا عليه فـي التغالـب والتصارع، ويتحـول «الدين النبوي» إلى مجرد ممارسـة طقوسـية وعبادية ويغيب عنه الجانب الثوري. (ينظر: ج٢، ص٣٤٢-٣٤٣)

السبب في هذا التحول هم أصحاب المصالح (المترفين) الذين تسلقوا على اكتاف الثوار، فضلا على دور كثير من رجال الدين من الذين يسايرون العامـة فيمـا يعملـون إذ جعلوا مـن الدين وكأنه دين طقـوس وعقائد وتعبد لا ديـن تغيير وثورة وأصلاح، ولهذا فـأن أنحراف الدين عن طبيعته الثورية الأصلاحية ليس لعيب في الدين بل لعيب في السلاطين ورجال الدين الذين جاروا السلاطين في ترفهم وتعسفهم وجاروا العامة في خرافاتهم، «الأمر الذي جعل الدين وكانه مهنة يرتزق منها، فهو مضطر الى مداراة مصدر رزقه سـواء كان ذلك من الحكام أو العوام»[٨].

الموقف من الأسلام

ينظر الـوردي الـى الإسـلام بوصفه دين العدل والمسـاواة، ودين الضعفاء والمغلوبين، بل جاء من أجل نشـر الفضيلة بين الأمم، وهو ثورة كبـرى على صعيـد القيم الإنسـانية فهو بمثابـة قلب لقيـم الجزيرة العربيـة التي كانت تعيش على الغلبة والقتل، لذلك يرى الوردي أن الأسلام « بدأ في أول أمره نظاماً شورياً، لاسيما مع النبي محمد(ص) والخلفاء الراشدين(رض) ،فالمسـلمون الأولـون كانـوا يكافحـون الظلم والتـرف والتعالـي»[٩]. وقد أسـتطاع النبي أن ينتقل بهـذا المجتمع من حال الفرقة والتشـرذم إلى حال الوحدة والعدل.

لقد بعث النبي محمد(ص)-كما يرى الوردي- تدافعاً اجتماعياً حـرك الأذهان وأغنى الحضارة « لقـد كان محمد ثائراً وبقي ثائراً حتى مات»[١٠] بمعنى أنه كان مصلحاً وبقي مصلحاً حتى مات، ومـن الممكـن عدّهُ مـن أهم دعـاة الاصلاح في العالم، مع اختلاف وجهـات النظر لأن المصلح هو الذي» يأتي بالفكرة البسـيطة جداً ولكنه يقلب

بهـا وجه العالم، لأنــه ياتي بها عمليــة تؤثر في حياة الناس وتدفعهم نحو الحركة الاجتماعية التي تؤدي دورها في صياغة التاريخ»[١١]. فالنبي ليس فيلســوفاً طوباوياً يعيش حلماً بعيــداً عن الواقع - وإن كان لنا رأي في موقف الوردي من الفلاسفة المثاليين سيأتي لاحقاً - المهم أن الوردي ينظر إلى النبي أو المصلح على أنه جزء من المجتمع يعيش الواقــع بظواهره وتحولاتــه الاجتماعية ويحاول التعبيــر عبــر أحــداث ديناميكية تحــرك الوعي الاجتماعــي وتنبيه الفرد على ضرورة الإصلاح والتغييــر من أجل تحقيــق المجتمــع المتوازن، وهــذا ما كان يعيه النبي محمــد(ص) لأنه « كان ثائــراً مجــدداً يدعو الــى التقــدم الاجتماعي في أقصــى معانيه وهو مجدد هذه الأمة وهو المؤمن بالتجديــد»[١٢]، وهو الذي قال « أن الله يبعث عند رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» فهو المؤمن بإمكانية الإنسان على التغيير وقابلية الدين للتجديد والتطور والاستمرارية، كي يكون ديناً اصلاحياً، وحتــى يتلائم مــع التطور الحضــاري والأزمنة المختلفة. وهــذا ما تقتضيه طبيعة الدين الثورية، لأن الدين بحســب حديث النبي هذا « لايمنع من قيام حركات دينية جديــدة بين حين وآخر تحاول العودة الــى ثورة الدين من حيــث محاربة الظلم والخرافات»(ج٥، الملحق المستقل، ص٣٩٩)، وهذا يقتضي دعوة من يتبنى الدين نمط عيش في الحيــاة إلى ضرورة التخلص من الركود والثبات الذي يصيب المعتقدات ويجعلها وكأنها مقدسات لا يمكن المســاس بها، ما يجعل الدين يبدو وكأنه جــاء للمحافظة على مجموعة مــن القيم والتقاليد والمعتقدات التي ليســت من أصــل الدين، الأمر الــذي جعل النبي يدعو الى ضرورة التخلص من الجمود والقول بأهمية التجديد والأصلاح، وكأنه كان يعلم بتكلسنا الفكري يوما ما، ولعله كان يأمل من المسلمين إستيعاب فحوى الرسالة الإسلامية القائمة على ضرورة الايمان بالتطور والتقدم.

الموقف من الطائفية

ما يلفــت النظــر أن الوردي تنبــه على أثر الطائفية على المجتمع منذ بواكير كتاباته فقد عد الطائفية نمطاً مُعيناً مــن العصبية[١٣] لأنها تقوم على أســاس مــن الإنتماء الاجتماعــي أكثر مما تقوم على أساس من الدين والحرص على سلامة تعاليمه[١٤]، لذلك نجد الوردي ينتقد بشكل مستمر كل مــن ينتمي إلى جهة ما إنتمــاء ادبولوجياً أو عصبياً ويعده سبباً من أسباب تدهور الأمم، وكان سبباً في الصراع الإسلامي الإسلامي لاسيما بين الســنة والشــيعة ، وهو لا ينكر ذلك الصراع بل يعود به الى ما بعد الخلافة الراشدية حينما سيطر المترفــون على مقاليــد الحكم. الأمــر الذي حدا الــوردي الى الاعتقاد بأن هذه الســيطرة حولت الدين الإسلامي من دين يحمي الضعفاء الى دين يحمي المترفين، فتحول الى أداة بيد الأرستقراطية القرشية لتحقيق مطامحها ومطامعها والأستحواذ على الســلطة حتى « أصبح ديــن محمد ألعوبة بيد الســلاطين ونســي الناس أن محمداً كان من ألــد أعداء الســلاطين»[١٥] وبــدلاً من أن يصبح الدين دين عدل ومســاواة بين الناس، أصبح دين طقوس وشــعائر بل أصبح «دينــاً طبقياً يحافظ علــى اموال الاغنياء ويحتقر غير العرب ويأمر بالجزية ثم يطلق لفظ الموالي أي العبيد على غير المسلمين»[١٦] وكأن النجاح الذي حققه المسلمون الأولون مع الثــورة المحمدية أصبح مقبرة لهذه الثورة.

بدأ الصراع الإســلامي الإســلامي، حينما شــعر المســتضعفون أن حقوقهم التــي اعادها لهــم النبــي محمد قــد سُــلبت حينما ســيطرت

الأرستقراطية القرشية على الثورة النبوية، وكأنه جاء رسولا للقرشيين من دون غيرهم، فأصبح الإسلام بعد أن كان يعيش حربا مع القرشيين أصبح حكراً لهم لا سيما حينما إستغلت هذه الطبقة حب الخليفة الراشدي الثالث لآل بيته ومحاولة الاستحواذ على السلطة[١٧]، حتى أصبح الأمويون هم من يُسيَر أمور المسلمين وشاعت النظرية الكلامية القائلة بالجبرية، وأن الله هو المريد وهو الذي يحدد للإنسان أفعاله، وانه (الإنسان) مجبور على كل فعل أو عمل يقوم به، وهو في الوقت نفسه مجبور على طاعة أولي الأمر وأن الله هو الذي يختار الحاكم ويفضله على باقي المسلمين فهو من له الحق بالتصرف بأموالهم وأمورهم وكأن الحكم قميص يُلبسه الله لمن يريد.

أفاض الوردي في قراءته للتاريخ الاسلامي وحاول أن يوضح أسباب الخلاف الإسلامي الإسلامي معتقداً أنه متعلق بالميول الغريزية لدى الإنسان والقائمة على أساس الغلبة والإستئثار والتعصب لمعتقداته وميوله لأنه (الإنسان) لا يقبل أن يخرج من «قوقعته الفكرية» أو «إطاره الفكري» الذي أطر به نفسه والذي يدفعه بشكل مستمر للإعجاب بنفسه وتفضيلها على الآخرين، وهذه هي طبيعة المجتمع القبلي إذ « ينشأ فيه الفرد في تقاليد وعقائد وقوالب فكرية ثابته نسبيا وهو يقع تحت تأثير تلك القوالب ويتبناها وينظر الى الدنيا من خلالها من حيث لايشعر»[١٨] وهذا ما كان واضحاً في الشخصية العراقية التي تتميز بشدة النزاعات العصبية والطائفية لأنها كانت نتاج الصراع بين البداوة والحضارة من جهة، ونتاج الصراع الحضاري الاسلامي من جهة آخرى، فالعراق كان أرضاً للصراع بين قيم البداوة وقيم الحضارة، الأمر الذي جعل الوردي يقول بـ «إزدواجية الشخصية» العراقية ويحكم عليها بأنها تعيش ازدواجية اجتماعية[١٩].

ما زاد الصراع قوة هو أن العراق كان أرضاً للصراع بين دولتين اسلاميتين، كل واحدة منهما تمثل طائفة مهمة من طوائف الاسلام، الدولة الفارسية وتمثل الطائفة الشيعية، أما الثانية فهي الدولة العثمانية والتي تمثل الطائفة السنية، «الأمر الذي أدى الى إستمرار الصراع الطائفي في العراق إلى درجة لا تطاق، لذلك يعتقد الوردي أن الصراع بين السنة والشيعة خرج من كونه نزاعاً حول المبادىء العامة وصار نزاعاً على الرئاسة[٢٠]، فلم يكن الشيعة (روافض) في أول أمرهم، وكذلك لم يكن السنة (نواصب) إنما هو التطرف ... فإذا أراد الشيعة وأهل السنة في هذا العصر أن يتوحدا فليرجعوا إلى شعارهم القديم الذي إتخذه(الامام الحسين (عليه السلام)) و (زيد بن علي) و (أبو حنيفة)، أي شعار الثورة على الظلم في شتى صوره، لا فرق في ذلك بين ظالم شيعي أو ظالم سني[٢١].

المشكلة أن الناس في العراق قد نسوا أن إمام السنة أبو حنيفة وإمام الشيعة موسي الكاظم قد ماتا في سجن الخلفاء العباسيين»[٢٢]. ونسوا «أن التشيع كان ثورة اجتماعية في سبيل العدل والمساواة وقد انشطر الى شطرين مع الدولة العباسية، فأصبح هناك تشيع عباسي وتشيع علوي، وحينما جاء الصفويون خدروا مذهب التشيع وروضوه فأزالوا عنه النزعة الثورية التي كانت لاصقة به»[٢٣]، وحينما دعا مذهب التشيع الى مبدأ العصمة إنما كان وراء ذلك مغزى اجتماعياً « فهو عبارة عن انتقاد غير مباشر لما كان عليه سلاطين الإسلام من شغل

وتفسخ»[٢٤]، فقد كان هذا المبدأ يحمل في طياته نقداً حقيقياً للسلطة التي خرجت عن مقتضيات الدعوة المحمدية، وفي الوقت نفسه دعوة لإحقاق الحق ونشر العدالة والبحث عن إنسان عادل يتجاوز ظلم السلاطين ويملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلات جوراً.

الأمر الذي تجدر الاشارة إليه ان الوردي حينما تنبه على الصراع الطائفي لاسيما في العراق لم يقف كثيراً عند أسبابه الخارجية المرتبطة بالصراع الإقليمي، على الرغم من تنبيهه على مخاطرها وشرح المنظومة الإجتماعية والدينية التي تتحرك على وفقها هذه الدول ومدى تأثيرها في المجتمع العراقي، إلا إنه ركز كثيراً في نقد العراقيين أنفسهم الذين إنساقوا وراء هذا الصراع « ولم يكونوا يعتبروا الايرانين أو الاتراك أجانب هدفهم احتلال البلاد والإنتفاع بخيراتها، وإنما كان كل فريق منهم ينظر الى إلدولة التي تنتمي الى مذهبه كأنها حامية للدين ومنقذة للرعية «. (ج١، ص١٥)

لا يخفى علينا موقف الوردي الناقد لتوظيف الدين من الكثير من رجال الدين لمصالحهم الخاصة أو بسبب أوامر سلطانية، تجعل مهمة رجل الدين ليس التعريف بالبعد الأخلاقي والإنساني للدين، وإنما تتحول مهمتهم إلى «وعاظ السلاطين» كما عنون الوردي أحد كتبه. وهنا سيكون «دين ضد دين» بعبارة علي شريعتي، و «إسلام ضد إسلام» بعبارة الصادق النيهوم. ففي هذه الحال لا يكون الدين كما أراد له الأنبياء طريقاً للخلاص وسبيلاً لنجاة البشرية وتحقيق السعادة الإنسانية، بل سيكون وسيلة بيد «وعاظ السلاطين» لتسويغ أفعال المستبدين من سلاطين الأرض. لذلك نجد الوردي يذكر مجموعة من الحوادث التي كان فيها رجال الدين أداة بيد المستبد، ومن هذه الحوادث حينما فتح إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا مدينة عكا عام ١٨٣٢م، وكيف جمع السلطان محمود رجال الدين، وسألهم عن مصير العامل المارق الذي خرج عن أوامر الخليفة، ويقصد هنا ابراهيم باشا بوصف أن حكم محمد علي باشا يدين بالولاء والتبعية للباب العالي، وبالطبع كان جواب رجال الدين « يُجرد من سائر رتبه ...ويُلقى به لوحوش البرية...وغير ذلك. وفي القضية نفسها حول فتح عكا، جمع الطرف الآخر، أي محمد علي باشا علماء الأزهر، فوضعوا ردا شرعيا على الحُكم الذي أصدره مشايخ أستنبول. (ينظر: ج٢، ص٣٢-٣٣). وهذا مثال يُظهر إمكانية توظيف الدين وسعي كل فريق من المسلمين لأخذ ما ينفعه من الأدلة الشرعية لغلبة فريق الخصم ، وبالتالي السعي لإستخدام الدين في المنازعات والمجادلات «الكلامية» التي تؤدي بدورها إلى إزدياد التفرقة والتنابذ. وحول القضية نفسها يروي الوردي مثالاً آخر حول تبني عدد من أئمة ذلك الزمان فكرة أن «قتال البغاة أفضل من قتال الكفار»، في مقابل ذلك ألف أبو الثناء الآلوسي كتابا بعنوان «التبيان في شرح البرهان في إطاعة السلطان» إستجابة لطلب علي رضا باشا (ج٢، ص١١٢-١١٣).

وفي دراسته للتشيع، وقف الوردي على فكرة مهمة تطورت فيما بعد على يد علي شريعتي، فقد ميز الوردي بين التشيع حينما يكون ذا طابع شعبي معارض، وبين التشيع حينما يرتبط بالدولة ويتحول إلى مؤسسة حكومية، فهو بطابعه الأول يحمل رمزية إنسانية عالية بوصفه نزعة للدفاع عن قيم آل البيت ونزعتهم الإنسانية ومحاولة

الترويــج لهــا والدفاع عنها ودفــع المريدين إلى إتباع نهجهم. لكن التشــيع بارتباطه بالمؤسســة الحكومية وبالســلطة ســيكون أداة لتغييب العقل ولعب الســلاطين ووعاظهم بمشــاعر الجمهور للعــزف علــى وتر محبــة آل البيــت، ولكن من دون إســتحضار البعــد القيمــي فــي الســلوك والتفكير لهذه الشــخصيات المهمــة في التاريخ الإنســاني، فحينما تحل ذكرى فاجعة عاشوراء تُقام المجالس الحسينية وتُنصب المواكب، ولكن مــا يؤخذ على كثير مــن أصحابها هو تركيزهم في البُعد الطقوســي الشــعائري باللطم والعويل والتطبيــر في بعــض الأحيان، «وقــد أصبحت المواكب كمجالس التعزية رمزاً للوجاهة، الأمر الذي ساعد في إنتشــارها، فالرجل الذي يترأس موكباً أو يمشــي أمامه أو ينوح فهو يشعر بشيء من الشــموخ والأبهة من جــراء ما يُحيط به من جماهير تنظر إليه»(ج٢، ص١١٩)، وما أن تتم أيام محرم وذكرى عاشــوراء والأربعينية حتى نجد الكثير من الشــيعة يعــودون إلى حياتهم في النــزاع والصراع والتغالب، وكأنهــم لم يأخذوا العبرة من عاشــوراء ســوى البــكاء أو التباكي. ونســي الكثير منهم أو تناســوا أن مهمة الحسين (ع) كانــت «الإصــلاح» في أمته ودينــه خُلقياً وسياسياً واجتماعياً عبر العمل الصالح ومحاربة فســاد العبــاد وسياســة الإســتعباد. هــذه الفكرة صارت أكثر جلاء ووضوحاً مع علي شــريعتي في كتابه «التشــيع الصفوي والتشــيع العلوي». فالنــاس صنفان، حينما يأتي الدين الثوري فمنهم من يتبع النبي مؤمناً به راغبا في الأصلاح ومنهم من يتبعــه بدافع الأنتهازية وطلباً للدنيا، وهؤلاء يصلون الى مواقع الحكم ، متخذين من الدين أداة لتحقيــق مصالحهم الدنيوية، الأمــر الذي يحول الدين النبوي الثوري الى دين كهاني أفيوني[٢٥]،

«فإذا منعنا الشــعوب عنه لجأت إلى منحدر آخر للإســتعانة على مواجهــة الحيــاة وأخطارها». (ج٥، الملحق المستقل، ص٣٩٤)

يؤكد الوردي أن الشــاه اســماعيل هو الذي فــرض التشــيع علــى الإيرانيين، ولعله أســاء للتشــيع ونفعه في الوقت نفســه. فمــن جهة هو ساعد في نشر التشيع على نطاق واسع وزاد من تعداد الشــيعة، ومن جهة أخرى تحويله التشيع إلى مذهب حكومي، الأمر الذي أضعف نزعته الشعبية، كما يرى الوردي. (ج١، ص٦٠-٦١)

وكانــت بغداد في عــام ١٦٢٤م في قبضة الصفويين، وكان السلطان مراد الرابع قد تولى حكــم الدولــة العليــة العثمانية. وقد ســعى إلى إســترجاع بغداد لســيطرة الدولة العثماني بدفع من رجال الديــن والصوفية الذين صاح أحدهم على الســلطان مراد في الجامع الذي يُصلي فيه «أنت تُخفي نفســك بين حرسك وحريمك لاهيا بالأنــس والطرب...أمــا علمــت أن الروافض هدموا قبر الشيخ عبدالقادر؟». (ج١، ص٨٣)

ولا خلاص لهذا البلد بإعتقاد الوردي من هذا الصراع الطائفي إلا بالتعليم، الذي يجعل الإنسان أكثر وعياً بأنظمة الحكم السياســي، فُيدرك معنى الحكومــة الديمقراطية وأهمية إعتمــاد «طريقة التصويت والإنتخاب المباشر التي تسمح للمجددين من أبناء الأمة أن يحققوا رغبتهم»[٢٦] وهو السبيل للخلاص مــن العنف «لأن الحكومة الديمقراطية تنبعث من صميم الشعب»[٢٧] ولا بأس من وجود صراع بين إتجاهين داخــل المجتمع، كأن يكون هناك إتجاه يمثل المحافظين وآخر يمثل المجددين، والديمقراطية تحافظ على وجود الإتجاهين، بل أن وجودهما مع بعض يحافظ على النظام والتوازن فــي المجتمــع، فالمحافــظ يكبح جمــاح المجدد،

والمجدد يكسر ثبات المحافظ، وعلى الرغم من أن النصر ـ لربما ـ يكون في يوم ما للمجددين، ولكن ربما يكون المجددون يوماً ما محافظين، فإنهم والحال هذه يحتاجون الى مجددين لأن هؤلاء هم من تقوم على أكتافهم الديمقراطية.

مفاهيم الوردي في ضوء فرضياته

حاول الوردي في مجموع كتاباته أن يؤسس ـ من وجهة نظرنا ـ لمعجم مفاهيمي وإن كان ليس كبيراً ـ هذا ليس ضده من وجهة نظرنا ـ لأنه وصفاً مفاهيماً مهماً يستطيع توظيفها لصالح فرضياته الثلاث، بل وتعطيه وتعطينا مقدرة تفسيرية للخوض في لجاج الشخصية العراقية المثيرة للانتباه كما هو واضح اليوم في الصراع العالمي والإقليمي عليه وإنعكاساته في الصراع العرقي والطائفي الذي نشب في العراق بحسب وجهة نظر الوردي منذ أمد بعيد، فيقول «طالما شهدت بغداد في العصر العباسي معارك بين المحلات السنية والشيعية يسقط فيها الكثير من القتلى، وتحرق البيوت والأسواق، وتنتهك حرمة المراقد المقدسة. ولكن هذا الصراع بلغ أوجه عندما حدث التنازع على العراق بين الدولتين الإيرانية والعثمانية حيث صار أهل العراق لا يفهمون من شؤون حياتهم العامة سوى أخبار هذه الدولة أو تلك، وكل فريق يدعو الله أن ينصر إحداهما ويخذل الأخرى». (ج١، ص١٤ـ١٥)

الإنسان: ينظر الوردي إلى الإنسان على وفق تأكيد النظرية التطورية أن الأصل في الإنسان «أنه حيوان قبل أن يكون إنسانا»، ولربما على وفق نظرية هوبز «أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان»، ينبني على ذلك ان النزعة الحيوانية الجوهرية في الإنسان غالباً ما تحضر قياساً بحضور العقل الذي هو من مكملاتها بوصفه أكثر وعياً من الحيوان، ولكن الفلاسفة القدماء كما يرى الوردي «قد بالغوا في تقدير العقل وإعتبروه موهبة عُليا خلقها الله في الإنسان لكي يجعله قادراً على تمييز الخير من الشر، ويُرشده إلى الحق». (ج٢، ص٣٢٣) و«أن الفلاسفة أنفسهم لم يستطيعوا التخلص من معوقات التفكير الصحيح، ولو كانوا قد تخلصوا لوصلوا للإتفاق» !! (ج٦، القسم الثاني، ص٣٦٦) وعلامتا التعجب مني، لغرابة رأي الوردي هذا، لأن دعوة الفلاسفة لاستعمال العقل والثقة به أوصلت الإنسان إلى تحقيق الثورة الصناعية والإيمان بمقدرة الإنسان على التغيير من خلال العقل وبناء القدرة النقدية التي جعلت دول الغرب دولاً عظمى علمياً وسياسياً وإقتصادياً. والوردي نفسه هو نتاج دراسة في أجواء الغرب وسط دعوات الفلاسفة الغرب للثقة بالعقل وهو مُدرك بالتأكيد لذلك، وهو باعتقادنا لم يصل إلى ما وصل إليه من مقدرة تحليلية ونقد لمجتمع هيمنت عليه الرؤية الوجدانية والإيمان بالأبعاد الغيبية والأسطورية لولا أجواء الثقة بالعقل التي عاش فيها في أثناء دراسته في أمريكا. فضلا على ذلك، فإننا نجد الوردي غير محق في إعتراضه على الفلاسفة أنهم لماذا لم يتفقوا هم أنفسهم بعضهم مع بعضهم الآخر؟ لأن هذا إعتراض باطل يخالف طبيعة أنهم بشر ويعيشون في بيئات مختلفة وهذا أمر يُقر به الوردي بصفته عالم إجتماع، وإذا لم يصلوا إلى إتفاق فهذا لا يعني بُطلان دعواهم للثقة بالعقل، ولا يعني أنهم في إختلافهم أنهم على خطأ، لأن في الإختلاف إثراء للمعنى وكسب لمعرفة تجعلك أقرب إلى إدراك الحق، وإنكار وجود حق ما في قضية ما بإطلاق، كما هو بين من كتابات الوردي، يجعل المجتمع في فوضى لا أمل في

إصلاحــه، وهذا مما يؤخذ على الوردي، فســعي الأنبيــاء والمصلحين والمجددين والفلاســفة إلى الإصلاح ودعواتهم للعمل على «مثال» سبق في «العدل» أو «الخير» أو «الســعادة»، لا يعني أن هؤلاء كلهم حالمون يعيشون في أبراج عاجية كما يذهب الوردي، فالثورة الفرنسية كانت حُلم فلاسفة التنوير الذين كانوا يضعون ثقتهم بالعقل وهكذا هي الثورة البريطانية وحروب الإســتقلال الأمريكية والثــورة الروســية، ومــا كان ســعي «غاندي» لتحرير الهند سوى حُلم على غرار مثال سبق في سعي الأمم لتحرير بلدانها، وبعبارة أستاذنا مدني صالــح «المثال هو المتمنى ما أن يتحقق المتمنى حتى يصبــح واقعاً « فلا فرق بين المثال والواقع سوى الطموح والأمل لتحقيق المثال وتحويله إلى واقعٍ مُعاش.

سعى الوردي إلى تأكيد بُطلان الرأي القائل: إن العقــل البشــري قــادر علــى إدراك الحقيقة وعلــى تمييــز الخير من الشــر أو الصادق من الباطل. وإن الإنسان يتأثر في البيئة الإجتماعية التــي يعيش فيها وفي موروثه من القيم والعقائد والأفــكار، فيجدهــا هي الصحيحة، والإنســان عند الــوردي ميــال لتحقيق مصلحتــه وكل ما يصــب لصالــح مصلحته فهو حقيقــي، فيحاول أن يبحث عن المســوغات العقلية التي تُســند أو تؤيد موقفه. والإنســان بطبعه يُدافع عما يُحب، «فإذا أحب شــخصاً أو شــيئاً تحيز فــي تفكيره نحــوه، فصار يُبالغ في ذكر محاســنه» (ينظر: ج٢،ص٣٢٣-٣٥٢)، فالإنســان عنــد الوردي كائن حيواني يســتعمل العقــل لتحقيق مصلحته الشــخصية، مُتحيــز، يدافــع عما يُحــب وينتقد من يكــره، يتحرك على وفــق أهوائه ورغباته التــي تُحددهــا البيئــة الاجتماعية التــي يعيش فيهــا، وكأنــه مســلوب الإرادة، يعيش «جبرية إجتماعية» لا حول له ولا قوة. وهذه من وجهة نظري مــن المآخذ علــى الــوردي، لأن كثيراً من الناس قد إســتطاعوا الإنســلاخ من قوقعتهم الفكرية وصناعة قيم جديــدة بأطر جديدة، وإن قال الوردي إن الإنسان يخرج من قوقعة قديمة ليقع في قوقعة أخرى، فيمكن القول له إن وقوع كثيــر من الناس تحت تأثيــر البيئة الاجتماعية، لا يعني وقوع جميعهم، لأن ســياق الكلام الذي صاغــه الوردي يدفــع باتجاه بنــاء وجهة نظر مثل هذه، وإن كان هناك مصلحون ومخلصون وفلاســفة إســتطاعوا صناعة قيم جديدة، أما أن يكون هناك أناس قد تأثروا في هؤلاء المغُيرين وحافظــوا على قيم صنعوهــا لزمانهم، وتعامل معهــا «المتحيــزون» أو»الايديولوجيون» أو «الدوجمائيوين»على أنها عقائد ثابتة، فالمشكلة ليســت في مــن إســتطاع التغيير، مثــل النبي، الإمــام والفيلســوف والمصلح، وإنما المشــكلة فــي أن الكثير من الناس يســتصعبون إشــغال عقولهم في ما ينبغي أن يستدل عليه هو بنفسه، فيســير على من إعتقد أنــه عرف علوم الأولين والآخرين، فلماذا يُتعب نفســه بالتفكير، إذا كان هناك من أخذ هذه المهمة على عاتقه، ونسي أن هؤلاء «المصلحين» هم كلهم دعاة نقد وتغيير.

التنازع البشري: من طبيعة البشر التنازع، وهــو مــا يحكم وجــوده فــي الإنســان الأصل الحيواني لوجوده بحســب ما يعتقد التطوريون ويذهــب إلى ذلــك الوردي، ولكنــه لا يُنكر في الوقت نفســه ميــل الإنســان للتعــاون وهذا ما يحكم وجوده كون الإنسان كائناً حيوانياً عاقلاً، والعقــل روَض على إدراك أنــه من الممكن أن يُحقــق مصلحتــه ليس فــي التنازع فقــط وإنما فــي التعاون. ســبب التنازع عند البشــر هو أن حاجاتهم غير محدودة. (ج٢،ص٣٤٧-٣٤٩)

الأنانية والغيرية: يعتقد الوردي أن الأنانية صفة أصيلة في الإنسان، فهو دائم التفضيل لنفسه على الآخرين. ولكن هذا لا يمنع من وجود أُناس يُضحون بأنفسهم من أجل غيرهم، كما تفعل الأم تجاه إبنها، والبدوي تجاه قبيلته. وهذه الـ (غيرية) يفهمها الوردي على أنها «ليست غيرية بمعناها الحقيقي، بل هي أنانية تبدو كأنها غيرية. بعبارة أخرى أن الغيرية في الإنسان ليست سوى صورة من صور الأنانية أو مُستمدة منها»(ج٢، ص٣٣٩) ولا أجد ما يجعلني أقبل وجهة النظر هذه، فكما يُقال «الجود بالنفس أقصى غاية الجود» فالأم إذا حُسب على أن إبنها يمثلها، وضحت بنفسها من أجله، والبدوي الذي يُضحي من أجل شرف قبيلته، والمواطن الذي يُضحي في سبيل وطنه، هؤلاء على إختلاف دوافعهم، هم كلهم ضحوا بأنفسهم، وهناك آخرون يمرون في مواقف هي المواقف نفسها التي ضحى بها هؤلاء بأنفسهم، ولكنهم لا يُضحون، فكيف نصف أنانية هؤلاء، فهناك أم لا تُضحي من أجل ولدها، بل ربما تقوم بقتله في بعض الأحيان، وهناك بدوي يبيع قبيلته لقبيلة أخرى ويُكيد بها، أو لا يُضحي بنفسه من أجلها، كم إنسان باع وطنه وبلده لمصلحةٍ شخصية أو مادية أو لقناعة آيديولوجية لأن آيديولوجيا البلد الآخر تنسجم عقائديا مع آيديولوجيته القومية أو الدينية أو الطائفية أو الأممية، فماذا نقول عن أنانية هؤلاء في مُقابل أنانية المضحَين. والغريب أننا نجد الوردي يقول: «إن الشهداء في الدين قليلون نسبياً، ذلك لأن أكثر الناس غير مصدقين بالآخرة تصديقاً حقيقياً من أعماق نفوسهم، ولو كانوا مُصدقين حقاً لتهافتوا على الموت أكثر من تهافتهم على مناصب الدنيا ومغرياتها». (ج٢، ص٣٤٠) وكذلك لا أجد ما يؤيد قول الوردي هذا لا في الماضي ولا في الحاضر، وما يُثير الإستغراب أنه متأثر بابن خلدون الذي أكد أن الدين خلق عصبية جديدة بديلة عن العصبية القبلية، والعصبية القبلية تدفع الإنسان للتضحية بنفسه، من أجل مفاهيم العزة والشجاعة والكرامة، فكيف بالعصبية الدينية التي تحتفظ بهذه المفاهيم وتُضيف لها مفاهيم مثل: الخلاص والنجاة والسعادة الأخروية، وإلا بما نصف حروب المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، وحتى في الفتوحات الإسلامية, رغم إنتقاد البعض لها، والوردي نفسه في جزء آخر من كتابه (لمحات) يشهد للثوار التوابين الذين أخذوا بثأر الإمام الحُسين بقوله: «ضربوا مثلاً رائعاً في الوفاء والشهامة يندر نظيره، فهم قد صمموا على الموت منذ بداية خروجهم، ولم يطلبوا من خروجهم أي مكسب دنيوي وظلوا مصرين على الموت». (ج٢، ص٤٧٥) وبماذا نصف ما سُمي بالحروب الصليبية، وبماذا نصف حرب الثلاثين بين الكاثوليك والبروتستانت التي قُتل فيها الملايين، وبماذا نصف اليوم حروب القاعدة وداعش وقوة الرد المتبناة من الحشد الشعبي والحشد العشائري، حتى وإن وجد في هذه الحروب من أراد الإستفادة لمصالح شخصية، لكنها في الأعم الأغلب تحمل قناعة وإيمان بأهمية «الشهادة» والحصول على السعادة الأخروية ونيل رضا الله، وهي بالتالي ليست سوى تضحية من أجل الدين أو المذهب. أما أن يكون هناك ممن يتهافتون على الحكم والمناصب، فهذا يعني أن الناس ليسوا سواء، فهناك الشهداء والمضحون وهناك الصادقون، وهناك «المتمجدون» وهم كُثر، الذين يبحثون عن مجدهم الشخصي حتى وإن كانت التضحية ببيع الوطن والعرض والارض، وحرق

الأخضـر واليابـس، لا لشـيء إلا للحفاظ على مناصب الدنيا ومغرياتها.

الشـعور بالنفس: و «هو ما يُشعر الإنسان دائمـاً نحو الإرتفاع في نظـر الغير والحصول على إعجاب الناس وتقديرهم» (ج٢، ص٣٢٦) وهو شـعور برأي الـوردي يتملك أغلب الناس إن لـم يكن جميعهـم، ولا أجدنـي مقتنعا كثيرا بهذا الرأي، فالإنسـان كثير الزهو بنفسه ولكن ليس شـرطا «كي يكون محترما في مُجتمعه» (المصدر السـابق نفسـه) فكثير من الناس يجد فـي إذلال الآخر مـا يجعله محباً نفسـه مزهوا بها، والوردي يجد أن الشعور بالنفس هو شعور يتملك الإنسـان من دون الحيوان، «فالحيوان لا يسـتحي ولا يُبالي بأفراد نوعـه كيف ينظرون له...»، والشـعور بالنفس يتكامل برأي الوردي بمرور الأيام وباسـتمرارية الاحتكاك بالوسـط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد.

تغلف النفس: هو غلاف فكري وهمي يخلقه الفرد ليحجب عنه ما يقـول الناس في ذمه، ولهذ يبقى الإنسـان مغروراً مزهواً بنفسـه فلا يعرف قيمته الحقيقية الموجودة فـي أذهان الناس عنه» (ج٢، ص٣٣١) وهذا ما لا أجده أيضاً ينطبق على كثيـر من الناس ممن يزهون بأنفسـهم، فبعضهم مدرك لحقيقة نفسـه الوضيعة، فلا يزهو بها أمام من يعرفه إلا إذا كان مُدركاً أن من يعرفه ويعرف حجمـه الحقيقي كثير الحياء، فهنا لربما يسـتغل حيـاء ذلك الشـخص، وأنا أعـرف أُناس كثيري الزهو بأنفسهم أمام أُناساً آخرين، ووضيعين غاية الوضاعة أمام أُناس أخر أكبر منهم قيمة أو علما أو قـوة، وهنـا يكون الغـلاف الوهمي غلاف لا يحجب دائما الحقيقة، بل يحجب عمن يستطيع أن يحجـب عنهم حقيقته. وإن كان الوردي يميز بين أصحـاب الغلاف، فليـس كل الأفراد على درجة واحـدة من حيث الثخانة...فمنهم من يكون غلافه ثخينا جـداً... «الفطيـر» وفيهم مـن يكون على النقيض من ذلك ذا غلاف رقيق يكاد يكون شفافا... وهـو «الناضج» وبين هـذا وذاك درجات (ج٢، ص٣٣٢) ولا أعـرف إمكانيـة التمييز بين هذه الدرجات حتى بين أقل درجاته «الفطير» وأعلى درجاته «الناضج» فالمقياس يبقى شخصياً، فهناك أشخاص كُثر يمتلكون حب كثير من الناس العامة وتأييدهم وينظـرون لهم على أنهـم «مفكرون» و»مصلحون، وهم بلا شـك يحسـبهم هؤلاء من درجة «الناضج»، ولكن تقييمهم في أوساط أكثر وعياً وتعقـلاً وثقافةً، هم من درجـة «الفطير»، ونجد هؤلاء المثقفين والمحسـوبين على النُخب، يجدون في محبة الناس لهكذا أشـخاص سـذاجة كبيرة قد تؤدي بالبلد إلى التهلكة. والعكس صحيح، فكثير من الناس ينظرون إلى نخب فكرية وثقافية معينـة في قمة العطاء الفكري والثقافي على أنهم من الموهومين بانفسهم، وحتى الوردي قال عنهم أنهم يعيشون في «أبراج عاجية» المجتمع في وادٍ وهم في وادٍ آخر، يعيشـون داخل أخيلتهم ووسط منظوماتهـم الفكرية المتخيلة، أمثـال «إفلاطون وأرسـطو والفارابـي»، فهل هؤلاء مـن درجة «الناضـج» ام من درجة «الفطيـر». هنا يكون المجتمع قد شـارك في تحديـد نوعية «الغلاف» لشـخص ما، ولربما كان دوره في تغليف نفسـه أقل بكثير من دور الناس في صناعة هذا الغلاف الموهوم أو المُتخيل.

الشخصية الدونكوشيتية: إصطـلاح إشتقه الوردي من رواية «دون كيشوت» لسرفانتس، و»دون كيشوت» هذا هو شخص كان يعيش في القرون الوسطى، يطمح أن يكون فارساً شجاعاً لا يُشـق له غبـار، لكنـه كان ضعيف الجسـم ومسـكيناً، وقد وجد حصانـا هزيلا فإمتطاه، ثم

وجد درعاً مهرئاً فلبسه، فخرج إلى الناس، هل من مبارز؟! وصار يبارز طواحين الهواء ظناً منه أنهي يُبارز العمالقة ويقتل قطيعاً من الغنم ظناً منه أنه يُقاتل جيشاً عرمرماً. المهم ما يريد قوله الوردي أن هناك شخصيات معينة تعيش أسلوب حياة فيه نسبتان متعايشتان في شخصه، نسبة من فضاء العقل وأخرى من فضاء الجنون. وهذه هي «الشخصية الدونكشيوتية» التي لا يستطيع الناس دفعها إلى منطقة الجنون، كما لا تستطيع سحبه لمنطقة العقل، فتبقى في الوسط. (ينظر: ج٢، ص٣٣٥-٣٣٦)

التنويم الاجتماعي: هو خضوع الانسان لنوع من التنويم يشبه «التنويم المغناطيسي». فالمجتمع يسلط على الإنسان منذ طفولته الباكرة إيحاءً مكرراً في مختلف شؤون العقائد والقيم والاعتبارات الاجتماعية وهو بذلك يضع تفكير الإنسان في قوالب معينة يصعب الخروج منها.(ج١، ص٨ وأيضا: ج٢، ص٣٣٦، المعطيات نفسها).

القوقعة الجديدة: اعتقاد الإنسان بتبنيه قيم وعقائد جديدة حينما ينتقل من البيئة الاجتماعية القديمة التي كان يعيش فيها. دخوله هذا في عالم جديد ومفتوح سيخلق لديه صراعاً فكرياً داخلياً، فيبدأ الخروج من القوالب القديمة لكنه من الممكن أن يدخل في قوقعة جديدة أخرى. (ج١، ص٩)

الحماسة الجمعية: وهي فاعلية اجتماعية لها محاسنها ولها مساوءها، فهي من جهة تثير الجماهير وتبث فيهم نزعة الفداء والتضحية ولكنها من الجهة الأخرى تحجب عنهم الرؤية الموضوعية. (ج١، ص١٠)

مبدأ الشفاعة: وهو وسيلة للفوز الأخروي عن طريق إقامة الشعائر والطقوس الدينية ومحاولة الحصول على شفاعة المقربين عند الله، وغالبا ما تبدو هذه الوسيلة عند عامة الناس وكأنها تغفر الذنوب والخطايا استجابة من الله للشفعاء، فيقيمون المواكب والمآتم وفي الوقت نفسه يُشيدون المساجد ويتوسلون بالأضرحة، إعتقادا منهم أن الله سيغفر ذنوبهم بشفاعة أوليائه. الأمر الذي يدفع عادة إلى عدم التمسك كثيرا بالقيم الخلقية والجمالية في الدين لأنهم يتصورون الله كالسلطان لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق المقربين منه من ذوي الجاه والمقامات الرفيعة. (ج١، ص١٦-١٧ وأيضا: ج٢، ص٣٤٣، المعطيات نفسها)

العصبية الطائفية: هي عصبية تقوم على أساس الإنتماء الاجتماعي أكثر مما تقوم على أساس من الدين والحرص على سلامة تعاليمه، فالعصبية لا تغيب عند أهل الحضر في العراق، فللعشائر مستوى واحد من العصبية هي العصبية القبلية، بينما عند الحضر هناك عصبيات، عصبية للمحلة التي يسكنها، وهذه العصبية للمحلة قد تتحول إل عصبية بلدية أي للبلدة أو المدينة، وهنا مستوى آخر هو العصبية الطائفية. (ج١، ص٢٤)

ظاهرة الشقاوة: هي ظاهرة اجتماعية أساسها وجود جماعة من الرجال يمتهنون اللصوصية وفرض الأتاوات «الخاوة» على الناس البسطاء بالقوة، تنتشر في مختلف المحلات والمدن العراقية، وهي محط نقد داخلي ولكن الناس يهابون الشقاوة، بل وفي كثير من الأحيان يصفونه بالبطل، لأنه كثيرا ما يحافظ على قيم محلته ويتمسك بها ويحمي جاره، ولكنه يمتلك سلوكا إجراميا ضد الحكومة و أحيانا ضد أناس من محلات أخرى.(ج١، ص٢٥)

الغنيمة: وتعني ميل الفرد لأخذ مال الغير، وهي من عاداة البدو المتأصلة، مرتبطة عندهم

بشـجاعة صاحبهـا ومقدرتـه علـى الغزو ولا يمتنع عن النهب سوى الجبان. وقد تغلغلت هذه القيمة البدوية عند الحضر، بسـبب غزو البداوة للحضارة في العراق.(ج٣،ص٢١٥)

الــولاء للنفس: وهي قيمــة بدوية جعلت من البدوي لا يوالي سوى نفسه وعشيرته، وإن أظهر ولاء لحكومــة أو كان حليفاً، فهو ولاء مزيف ولا يسـتمر، «إذ هم لا يخجلون أن يُبدلوا ولاءهم من جانــب إلى آخر، أو ينهبوا من كان حليفم بالأمس، فهذا أمر قد إعتادوا عليه ولا يجدون فيه ما يُعيبهم». (ج٣،ص٢١٧) والمشـكلة ليسـت في وجود هذه القيمة عنـد البدو، ولكن المشـكلة في تغلغلها في نفوس أهل الحضر في العراق كما يرى الوردي، ويضرب مثالا على ذلك تغيير كثير من الشخصيات ولاءها نحو المحتل البريطاني للعراق بعد ان كان ولاؤهم كبيرا للعثمانيين. (راجع رواياته عن تقلب الشـعراء ومن بينهم الزهاوي وأناس آخرون مثل ياسـين الهاشـمي، في ج٣، ص٤٢٨ وما بعدها) وأعتقـد أننا نرى في كلام الـوردي في حياتنا في العراق اليوم ما يؤيد ذلك.

القلميون: كلمة مشـتقة من القلم، أي الذين يصنعـون الأفكار وينشـرونها بين الناس. وفي مقدورهم أن يجعلوا الأبيض أسـود، والأسـود أبيض، فإذا اسـترضاهم الحاكم واجتذب قلوبهم بجوائـزه ومجاملاتـه صار فـي نظرهم أعدل خلق الله طراً وأفضلهم وأزكاهم، أما إذا أهملهم وأغضبهـم فالويل لـه عندئذٍ «مـن الله والناس أجمعين». (ج١، ص٢٦٣)

الجــدال الطائفــي: هو حـوار يعتمـد فيه المتحاورون على البحث عن أدلة ينقض بها أدلة الفريـق المغاير له. هذ الجـدال يبقى يدور في ما كان يُعرف قديما باسم «تكافؤ الأدلة». يعتمد هذا الجدال على قدرة المجادل ولباقته وسعة معرفته أكثـر مما يعتمـد على سـلامة رأيـه. وإذا كان المتجـادلان متكافئين في القدرة واللباقة اسـتمر الجدل بينهما إلى ما شـاء الله من دون أن يتمكن أحدهما من إقناع الآخر. (ج١، ص١٣٩)

الحرية الفردية: هي المحور الذي تدور عليه أخلاق الحضارة الحديثة ومؤداها أن الفرد حر في أن يفعل ما يشـاء ما دام لا يتعرض لحرية غيره. (ج١، ص٣١٩) ورغـم ما يُظهره هذا النص من ميل لدى الوردي إلى تطبيق فكرة الحرية الفردية فـي المجتمع، إلا أن الـوردي لا يميل إلى إنتقال المجتمعـات المتخلفـة إلى تطبيـق الديمقراطية والحريـة الفرديـة فيها لأنها عاشـت مدة طويلة تحت سـطوة الإستبداد وعانت كثيرا من التخلف وتدهـورت بنيتهـا الإقتصادية وفسـدت أخلاق أهلها، وإختل نظامها الاجتماعي وفرق التعصب طوائفهـا ومذاهبها، فكيف لها أنت تنتقل بين ليلة وضحاها إلى الديمقراطية؟ وهل يستطيع أبناؤها إسـتيعاب هذا التحول من الإسـتبداد المطلق إلى الحرية الفردية التي تستدعيها الديمقراطية. لذلك فمـا يمكن أن يتوقعه الناس من الذين صعدوا إلى الحكـم عند طريـق الإنتخاب ومبـدأ الفصل بين السـلطات كبيرا، وهذا ما كان يُشير فيه الوردي إلـى الصـراع فـي الدولـة العثمانية بيـن دعاة «المشروطة» «الدسـتور» ودعاة «المستبدة»، وحينما وصـل دعاة «المشـروطة» إلى الحكم، «صار كل فرد يتخيل أن الحكومة ستحل مشاكله كلها وسـترفع عنه كل ضيـم، وتُغدق عليه النعم الوافـرة»، ولكـن بعد مـرور الأيـام، وحينما لم تسـتطع الحكومة حـل كثير من مشـاكله، ولأن طبيعة الناس التذمر من الحكومة، فقد فكر الكثير منهم للعودة لحكم «الاستبداد» أو التفكير بإنقلاب جديد. (ينظر:ج٣، ص١٥٧-١٥٨) قس على ذلك

الوضع العراقي اليوم وطبيعة سلوكه مع الحكومة.

في الديمقراطية «يستطيع الانسان أن يخرج من قوقعته الفكرية الى عالم واسع يكون فيه التنازع والتعاون صنوين لايفترقان»[٢٨].

والحكومة العادلة هي التي «تطمئن لها قلوب الأكثرية من رعاياها ولا يهم بعد ذلك ان تغضب فئة صغيرة ولعل غضب هذه الفئة انما يزيد العدل قوة وضوحاً»[٢٩] وهذه هي طبيعة الحكم الديمقراطي مع مشروطية ان تتحقق الثقة بين الحكومة والشعب.

الخاتمة

يمكننا القول في ختام بحثنا هذا، أننا بذلنا ما في وسعنا لتعريف القارئ بأهمية نتاج الوردي الفكري والمفاهيمي، وحاولنا في ثنايا البحث قراءة بعض المفاهيم والأفكار قراءة معاصرة، في ضوء التحولات العراقية المعاصرة، ومحاولة فتح القدرة التفسيرية لكثير من المفاهيم والأفكار ومحاولة نقلها من مجالها التداولي في فكر الوردي إلى مجال أوسع، مثل قياسنا لثنائية (البداوة/الحضارة) على وفق قضية التراث والحداثة، وما تُنتجه التفكير في ثنائية مثل هذه، من «إزدواجية شخصية» في الفكر وفي السلوك عند كثير من الناس، ومنهم المفكرون، الذين نجد الكثير منهم إما يدمج بين هذه وتلك على مستوى السلوك والفكر، أو يُنظر لهذه ويعيش بتلك، والعكس يحصل كذلك، الأمر الذي يؤدي بشكل أواخر إلى حدوث «تناشز إجتماعي» تجد فيه الناس وكثيراً من المفكرين، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون. هذه هي «إشكالية» «التراث والحداثة» أو «الأصالة والمعاصرة» التي إشتغل عليها كثير من المفكرين العرب المعاصرين مثل زكي نجيب محمود وحسن حنفي ومحمد عابد الجابري في مشروعه «نقد العقل العربي»، إلا أن هؤلاء وغيرهم لامسوا القضية في مستواها النظري، بينما يمكننا القول إن الوردي حاول أن ينتج مفاهيما نظرية، لكنها في الوقت نفسه تُمكن الباحث من توظيفها إجرائياً، وهي وإن كانت تطبق على المجتمع العراقي، إلا أن هذا لا يعني أن كثيرا من المفاهيم الوردية ـ نسبة للوردي ـ يُمكن توظيفها في قراءة طبيعة سلوك بعض الجماعات والمجتمعات غير المجتمع العراقي، وهذا ما بدا واضحا في قراءة شريعتي للدين والتشيع في كتابيه: «دين ضد دين» والتشيع الصفوي والتشيع العلوي» وكلا الكتابين من وجهة نظري هما يدوران في فلك كتابات الوردي الذي سبق شريعتي بسنوات طوال في البحث في هذا الموضوع. كما نجد صدى لكتابات الوردي في كتابات الباحث البحريني محمد جابر الأنصاري، فقد كتب كتابا بعنوان «لمحات من الخليج العربي»، والملاحظ من عنوان كتابه هو تأثره في كتاب الوردي «لمحات إجتماعية» موضوع بحثنا. وهنا صدى لما كتبه الوردي في كتاب «إسلام ضد إسلام» للمفكر الليبي الصادق النيهوم.

أخيراً: أنهي الخاتمة بقول للدكتورة لاهاي عبدالحسين: «**الوردي «بارسونز» العراق من حيث القدرة على تقديم مفاهيم وصنعها ونحتها وتطويرها**»[٣٠].

الهوامش

(١) علـي عبد الهـادي المرهج: الجهد الفلسـفي للعلامة علي حسـين الـوردي، ضمـن موسـوعة الأبحاث الفلسـفية للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، كتاب: «الفلسـفة العربية المعاصرة، إشراف، د.إسماعيل مهنانـة، نشـر مشـترك، دار الضفـاف، الرياض، ومنشورات الإختلاف، الجزائر، دار أوما، العراق، ط١، ٢٠١٤، ص١٨٥-٢٠٦.

(٢) علـي الوردي: لمحات اجتماعيـة من تاريخ العراق الحديث، دار الراشـد، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٥. ملحوظـة مهمـة: هي أننا سـنعتمد الإشـارة لكتاب الـوردي هذا داخل متـن البحث بهـذه الصيغة (ج، ص) ونقصد به رقم الجزء ومن ثم الصفحة، إتخذنا هـذه الطريقـة لتجنـب التكـرار فـي الهوامش لأنه مصدرنا الأساسي في البحث.

(٣) يُنظر: ويكيبديا الحرة الإنجليزية على النت

(٤) علي الوردي : وعاظ السـلاطين ،دار كوفان ، لندن ،ط٢ ١٩٩٥ ص ٢٦١.

(٥) علي الوردي: وعاظ السلاطين ،ص٢٦١.

(٦) علي الوردي: مهزلة العقل البشري، مطبعة الرابطة بغداد، ط١ ١٩٥٤، ص٢٥٠.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٣٩.

(٨) المصدر نفسه، ص٣٩٩.

(٩) ينظر علي الوردي: مهزلة العقل البشـري ، مصدر سابق ،ص٢٣١.

(١٠) المصدر نفسه، ص٢٥٠.

(١١) المصدر نفسه، ص٩٤.

(١٢) علي الوردي: وعاظ السلاطين ص١٠٤.

(١٣) التعصـب كمـا يـرى الـوردي، يعنـي الميل الى التمسـك بالمعتقـدات والعـادات والقيـم والأعراف التي نشـأ عليها الفـرد منذ الطفولـة ويتصور بأنها أفضـل المعتقدات حتى وإن كانـت مليئة بالخرافات والأباطيـل: ينظر الـوردي: في الطبيعة البشـرية، إعده وحرره: سعد البزاز، مؤسسة المجين، ايران.

(١٤) يعـدّ الـوردي الطائفيـة نوعاً من الانتمـاء القبلي إلى مذهب أو شـخص معين و الفـرد الطائفي حين يتعصـب لمذهبه لا يهتم بما في المذهب من مبادىء خلقية أو روحيـة فذلك أمر خارج عن نطاق تفكيره ما يهتم به كله هو التعصب من ولاء لجماعته وعداء لغيرهم أنه بعبارة أخرى ينظر إلى طائفته كما ينظر البدوي الى قبيلته.

(١٥) علي الوردي: وعاظ السلاطين ص٢٧١.

(١٦) المصدر نفسه، ص٢١٠.

(١٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٢١٤ وما بعدها

(١٨) ينظـر: علـي الـوردي: خوارق اللاشـعور ، دار الوراق ، لنـدن ، ط٢ ١٩٩٦ ص٤٥ وكذلك وعاظ السلاطين ،ص ١٩٨.

(١٩) ينظر: علي الوردي: دراسـة فـي طبيعة المجتمع العراقي ، مطبعة العاني ، بغداد ط١ ١٩٦٥ ص١٢.

(٢٠) علي الوردي: وعاظ السلاطين ،ص٢٤٧ .

(٢١) المصدر نفسه، ص٢٤٦-٢٤٧

(٢٢) المصدر نفسه، ص٢٤٩.

(٢٣) المصدر نفسـه، ص٢٤٨، ينظر الفكرة نفسـها عند الدكتور علي شريعتي في كتابه التشيع العلوي والتشيع الصفوي وكأنه طور بحث الدكتور علي الوردي.

(٢٤) المصدر نفسه، ص٢٥١.

(٢٥) يسـميه الدكتور علي شـريعتي الديـن الأفيوني لا سـيما حيـن يكون الديـن أداة لإخضـاع الناس للذل والهـوان والتخلف والدين الثوري هـو الذي يواجه الطاغـوت والمترفيـن ويدعو الناس الـى النهوض والتمـرد علـى جبهـة المترفيـن .وهنا نحـن نعتقد باطلاع شـريعتي وقراءته للـوردي على الرغم من عدم الأشـارة اليه فـي طرحه لهذه الافـكار التي لا تختلف عا طرحه الوردي ،ينظر علي شريعتي: دين ضـد دين دار الامير، بيـروت ط١ ٢٠٠٣ ،ص٤٠ وما بعدها.

(٢٦) علي الوردي، وعاظ السلاطين ، ص١٠٢

(٢٧) المصدر نفسه ص٢٦٦

(٢٨) ينظـر علـي الـوردي ، مهزلـة العقـل البشـري ،ص١٥٦ ،أيضـاً وعاظ السـلاطين ص٢٦٨ نفس المعطيات.

(٢٩) ينظـر علـي الـوردي : مهزلـة العقـل البشـري ص٢٨١.

(٣٠) لاهاي عبدالحسين: الوردي من منظور نقدي، ضمن كتاب: علي الوردي-منظورات مختلفة، تحرير وتقديم ا.د. لاهاي عبدالحسين و ا.د.محمود عبدالواحد القيسي، دار الرفديـن ـ بيـروت، لبنـان، دار أومـا الناصرية وبغداد، العراق، ط١، ٢٠١٦، ص٢٨.

Ali Al Wardi: Ideas and concept
Analysis study in his book
«Social aspects of Iraqi Modern History»

Dr.Ali Abdul Hade Al Merhj
Mustansiriah University
College of Arts
Dept. of Philosophy

Abstract

Never would have got iraqi thinker the attention like alwardi he got in popular and cultural level. despite that the writing about him its not worthy .many of them either be a celebratory or general cultural nature . I want talk about academic lesson level in my opinion or as far as I know .alwardi did not get enough attention and attempt to deconstruct and analyze views of alwardi in the light of the world and Iraqi situations variant today and do you think alwardi thought left thing or things in light of his reading to the Iraqi personality . and are back to prove the value of the study questionnaire to know the Iraqi personality after denying for it? in my opinion about al wardi thought its stayed him stuff and things and he still effective to know the Iraqi and Arabic personality and this is what we are trying to confirm it in our search that we think the value of alwardi thought not only in his daring ,inspite of the importance of this trait to the thinker and writer. Alwardi value lies in its manufacture of new concepts .when we want detect the importance of the writer or what we call him as a thinker, first, we should look for his conceptual product . second,detect interpretative capacity of this conceptual product today . third, be sure of the benefit to the researchers who come after him and employed for his conceptual producet as methodolical instrument to knowing Iraqi society trend or any other community. our striving on this mission that we think its one of things that make us treat with alwardi as a thinker we

have operated to detect about alwardi philosophical orientations this research comes to complement what we started by . because the detect about opinion and conceptual producet is a search that it show the philosophical dimension that works on most important concepts and dimension concepts lies in being a conceptual theoretical product and the specialists tries to implement to employ the concept. so believe that alwardi ideas stayed closer to induction vision its like induction dimension on the other hand its like disbelieving method of al poppary .that put a lot of hypotheses and then pursue its one by one . most hypotheses resilient to face the criticism is closer to the truth ,so we find alwardi stayed three hypotheses he think it's the most resilient than others . could this be the theoretical dimension for alwardy hypotheses and his conceptual producer that made him think that he can know the iraqi personality that what made him refuse the statistical questionnaire method to know the Iraqi personality because he suffering from a double profile . so when something appears in the questionnaire reply and hides things and things.

علاقة الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للمدينة بالرفاهية والجريمة..دراسة نظرية

أ.م.د. عبد الرزاق احمد سعيد(*)

ملخص البحث

تؤكد الاتجاهات الحديثة في الدراسات الحضرية أن المدينة نظام من العلاقات المترابطة بين الفعاليات والنشاطات الاقتصادية و الاجتماعية و الإدارية والثقافية والترفيهية التي تقدمها لسكانها.

إن ما يصيب الفرد من تقدم أو تراجع هو نتيجة عن نمط الحياة في المدينة، لذا ينبغي إن تكون المدينة مثالية وذات خصائص حضارية عصرية توفر الرفاهية لسكانها وتبعدهم عن الممارسات غير النظامية كأنحراف السلوك الاجتماعي وممارسة العنف والجريمة من خلال تجاوز القانون،أي إن المدينة لا بد من أن تكون ذات نظام حضري يجعلها أكثر قبولا لدى من يقيم فيها وتمنحه الأمان والاطمئنان وتوفر له الحماية والاستقرار, وفيها تطبق القوانين التي تنظم الحياة لكي يشعر الفرد فيها بالانتماء إليها ويعمل على ديمومة نشاطها ويحرص على الحفاظ على ممتلكاتها بعدّها ملكاً للجميع.

إن اتساع سوق العمل في المدن الكبرى وما ينتج عنه من اتساع فرص العمل فيها يجعلها أكثر قدرة اقتصادية على جذب الأموال و الأيدي العاملة والمستثمرين إليها فتزداد دخول أفرادها ويزدهر اقتصادها وهذا بدوره ينعكس على تحقيق الرفاهية لمجتمع المدينة ويعمل على تطورها.

مقابل ذلك فان انخفاض مستوى الموارد والتلوث البيئي والاكتظاظ السكاني وحدوث البطالة وتردي الخدمات،جميعها تؤدي إلى حدوث أمراض الجوع والجريمة والتعاسة فضلا على أن تردي أوضاع التنشئة الاجتماعية الأسرية يساعد في تحفيز الرذيلة وانتشارها وارتفاع نسبة الجرائم بأنواعها المختلفة ومنها التسول والسرقات بغية الحصول على الأموال بأسهل الطرائق.

(*) وزارة التربية/ مركز البحوث والدراسات التربوية

إن حدوث الاستغلال المادي والاضطهاد الديني والعرقي والثقافي بين مجتمع المدينة له أثار سلبية تؤدي إلى عرقلة عجلة التقدم الاجتماعي والحضاري لمجتمع المدينة وبالتالي تصبح المدينة بؤرة محتملة للعديد من الأمراض الاجتماعية ومنها ظاهرة الجريمة والعنف الأسري والانحراف السلوكي والتي تؤثر بدورها في مستقبل المدينة

الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للمدينة وعلاقتها بالرفاهية والجريمة

مقدمة:

تعد المدينة نظاما حضاريا قائما بنفسه، إذ أنها تمثل ظاهرة بشرية تكونت عبر مراحل زمنية متباينة، لذا فإنها تعد نظاما مفتوحا Opened system,يتأثر في ما يطرأ عليه من متغيرات اقتصادية واجتماعية تأتيه من الخارج، فالنظام المفتوح تتفاعل عناصره مع مكونات بيئته الحضرية وان القوة المنبعثة من خارج حدود المدينة تمارس تأثيرات مهمة في إحداث التغيير نحو الرفاهية أو العنف والجريمة بين مجتمع المدينة.

تؤكد الاتجاهات الحديثة في الدراسات الحضرية للمدن، أن المدينة ما هي إلا نظام من العلاقات المترابطة بين الفعاليات والنشاطات الاقتصادية والاجتماعية و الإدارية والثقافية والدينية والترفيهية, فما يصيب الفرد من تقدم أو تأخر ينعكس ذلك تلقائيا على نمط الحياة الحضرية فيها،لذا على النظام الحضري للمدينة أن يكون فعالا وذا خصائص حضارية عصرية تحقق الرفاهية والتقدم لسكانها، وأن تتميز المدينة بإبعاد تخطيطية يجعلها أكثر قبولا واستيعابا إلى من يقيم فيها أو يفد إليها، تمنحه الثقة و الأمان وتوفر له الحماية وفيها تطبق قوانين تنظيم الحياة،كي يشعر الفرد بالانتماء إليها ويعمل على ديمومة نشاطها ويحرص على الحفاظ على ممتلكاتها لأنها ملك الجميع, ويعمل على تحقيق الرفاهية و إبعاد المجتمع عن أساليب العنف والجريمة.....

مشكلة البحث:

تعدّ المدينة المكان الذي يمارس فيه السكان نشاطاتهم الحضرية على درجة عالية من التنظيم الذي يوفره القانون كسلطة لممارسة الديمقراطية وتحقيق العدالة الاجتماعية من دون تمييز ما يخلق مجتمعا متجانسا يحقق وجوده الإنساني من اجل تحرير الأفكار والطاقات الكامنة بين الأفراد لخدمة المجتمع. إلا إن التغيرات الحضرية الجديدة بين مجتمع المدينة خاصة الاقتصادية والاجتماعية لها دور كبير في حدوث ظاهرتي الرفاهية والجريمة وان تعرّف خصوصية هذه المتغيرات تعد حلولا عاجلة لتحقيق الرفاهية والتقدم و إبعاد مجتمع المدينة عن ظاهرة العنف والجريمة وانحراف السلوك الاجتماعي.

هدف البحث:

التحضر عملية صهر الثقافات والعادات والقيم الاجتماعية المتباينة الوافدة إلى المدينة من مختلف المناطق المحيطة بها، ما ينجم فيه قيم وثقافة موحدة تمثل خصوصية لسكانها ويشترك فيها الجميع، فيتغير سلوكهم ونمط حياتهم من جراء هذه العملية التي يطلق

عليها بالحضرية, urbanization وهي تغيير نوعي في نظرة السكان للحياة ضمن منظماتهم الاجتماعية والاقتصادية و القيمية التي تمخضت عن وجودهم في المدينة وقاموا بممارستها.

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على ابرز المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية لسكان المدينة من خلال الحركات الدائرية المرتبطة بعضها مع بعضها الآخر وهي النفوذ المتمثل بسيطرة المدينة بفعالياتها ونشاطاتها على مناطق واسعة تقع خارج المدينة، هجرة السكان إليها من المناطق الريفية المجاورة والمدن الأخرى القريبة منها للحصول على فرص عمل جديدة،وسائل النقل والاتصال وشحن وتسويقها البضائع.

إن الطاقة المحركة التي تحرك النظام الحضري للمدينة تمثل في الحاجات الحيوية الاقتصادية والاجتماعية التي لها دور كبير في تحقيق الرفاهية أو أساليب العنف والجريمة وانحراف السلوك الاجتماعي بين مجتمع المدينة.

المبحث الأول
المدينة عوامل نشوئها

تؤدي العلاقات المكانية بين الظاهرات الجغرافية دورا واضحا في إضفاء إمكانيات تسهم في نشوء المدن وتطورها العمراني، وقد تكون هذه العلاقات في بداية تكوين المدينة مسوغة، إلا أنها لا تكون كذلك فيما بعد، لان المدينة بوصفها كائناً تحتاج في كل مرحلة من مراحل نموها الحضري متطلبات جديدة على المستويين التقني والبشري ترافق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تحصل في المدينة، وعليها جاءت أراء ووجهات نظر مختلفة تفسر عوامل المدينة منها:

- العلاقات المكانية الطبيعية: تسهم هذه العلاقات بشكل كبير في نشوء المدينة، فهي تمثل المكان الملائم الذي يمد الساكنين بأسباب البقاء والديمومة منها الموقع الجغرافي ومصادر المياه،وعليه فقد اعتمدت أفكار الجغرافيين في دراسة المدينة لاسيما عند نشوئها على عاملي الموضع والموقع. فالموضع محدد بالمكان الذي تقوم عليه المدينة بشكل مباشر أي يمثل المساحة المعمورة من المدينة، في حين يمثل الموقع مساحة أوسع من الموضع إذ يضم مجموعة من المواضع في ضمن مساحته.فالموقع يجعل من المدينة مركزا يرتبط بعلاقات إقليمية قد تكون قريبة منه أو بعيدة عنه، وهنا يسهم كل من الموضع والموقع في نشوء المدينة وتطورها الحضري. كما هو الحال عند اختيار موقع مدينة بغداد على الجانب الأيمن من نهر دجلة، إذ جاء موقعها وسطا بين السهل والهضبة، ورابطا بين تجارة الشرق والغرب، ويقع وسطا في أرجاء الدولة العباسية، ما عزز من أهميتها وزاد من نموها العمراني والسكاني في دعم الموضع والموقع الذي تتمتع فيه.[1]

- العلاقات الاقتصادية ما بين المدينة و إقليمها الجغرافي: تسهم هذه العلاقات في نمو المدينة وتطورها العمراني عبر مراحل زمنية متعاقبة، وينجم عنها أحداث تغييرات في هيكلية النظام الاقتصادي للمدينة، حيث نشوء الأسواق الوقتية و الدائمية لتلبية الحاجات اليومية لسكان المدينة و تأخذ التجمعات السكانية

بتأسيس مدينتهم على وفق المتطلبات الحضرية الجديدة[٢].

- **العلاقات الدينية:** تسهم هذه العلاقات في زيادة الروابط بين سكان المدينة وتعمل على تفصيل أهمية العامل الطبيعي والاقتصادي في نشوء المدينة وتطورها العمراني،إذ إن الجانب الديني له بعد اقتصادي غير مباشر كونه يمثل عامل جذب الناس إليه لاسيما أولئك الذين يؤمنون به.[٣]

- **طرق النقل والمواصلات:-** لطرق النقل والمواصلات تأثير مباشر في نشوء المدينة وتطورها العمراني،إذ إن التطور التدريجي في الإنتاج الزراعي والصناعي وزيادة إعداد السكان، زاد الطلب على المنتجات الزراعية والصناعية والحرفية في أماكن الإنتاج ومناطق الاستهلاك، لذا وجدت لذلك طرقا ومسالك تجارية اتخذها الناس للوصول إلى أماكن الاستهلاك، فظهرت الأسواق التجارية وفئة التجار والبائعين، وكان الطريق هو وسيلة الربط بين الجميع اذ أسهم بدرجة كبيرة في نشوء المدينة وتطورها الحضري عبر مراحل التأريخ.[٤]

المدينة وظاهرة التحضر:

إن نمو المدن وتوسعها العمراني وزيادة أحجامها السكانية عبارة عن عملية مستمرة يصعب السيطرة عليها ويترتب عليها تبعات كثيرة. فإذا ما قامت الأماكن المركزية في المدينة بأداء ما هو اقل من خدمة المناطق المحيطة بها، فإنها من المحتمل أن تكبر فتصبح مدينة كبيرة أو ولاية، ولكي يحصل النمو الحضري فلابد للاقتصاد الحضري من أن يتحفز عن طريق الطلب الفوري لبضائع المكان المركزي للمدينة وخدماته.

بدا سكان العالم بصفة عامة وسكان المدن بصفة خاصة يتضاعف في منتصف القرن التاسع عشر، وما أن حل القرن العشرين حتى ظهرت العديد من المدن ذات النمو الحضري الكبير وسميت بالمدن المليونية، و أصبحت المدينة فيما بعد تشكل ظاهرة بشرية تستحق الدراسة والاهتمام من الجغرافيين والمخططين المحدثين، لما طرأ عليها من تغييرات إيجابية وسلبية مصاحبة لهذا التضخم السكاني الكبير.

قدر عدد سكان العالم سنة ١٦٥٠ بحدود ٥٠٠ مليون نسمة، وارتفع ليصل سنة ١٨٥٠ إلى مليار نسمة ثم أصبح سنة ١٩٤٠ بحدود المليارين، وقد تضاعف إلى أربعة مليارات نسمة سنة ١٩٧٥، أي بعد مرور ٣٥ سنة، ما لبث إن زاد على أكثر من سبعة مليارات نسمة عام ٢٠١٥. [٥]

إن ظاهرة التحضر urbanization هي بمثابة نمو السكان الذين يعيشون في المناطق الحضرية عن طريق هجرة السكان إليها، وان مضت مدة زمنية على ساكني المدينة التي تمثل مكانا لصهر الثقافات والعادات والقيم الاجتماعية المتباينة الوافدة إليها من مناطق مختلفة تحيط بالمدينة.

هذه الظاهرة الحضرية تؤدي إلى إيجاد قيم اجتماعية وثقافة حضرية جديدة وموحدة تمثل خصوصية سكان المدينة ويشترك فيها الجميع فتتغير نتيجة لذلك أنماط سلوكهم وحياتهم اليومية من حيث نظرتهم للحياة في ضمن منظوماتهم الاجتماعية والاقتصادية

والقيميــة التي نجمت عن وجودهــم في المدينة وممارستهم اياها بشكل يومي يعمل على تماسك وحدتهــم الاجتماعية ويوظفها في خدمة المدينة وتطورها العمراني.....

الخصائص الاقتصادية للمدينة:

عندما يزداد عدد سـكان المدينة سواء عن طريـق الزيادة الطبيعيـة أو عن طريق الهجرة إليهـا من المناطق الريفيـة المجاورة لها أو من المـدن القريبة منها. يزداد فيهـا عدد الأغنياء، ذلك نتيجة لاتساع سـوق العمل الذي يستوعب الزيادة السـكانية للمدينـة الكبرى وخاصة مدن العواصـم التـي لهـا القـدرة الاقتصادية على جذب الأمـوال والأيدي العاملة والمسـتثمرين إليها،عندئـذ تظهـر لها القدرة على تقديم سـلع وبضائع وخدمـات تفوق تنوعـاً ونوعية وكماً عما تقدمه المدن الصغيرة لسكانها.

في هذه الحالـة الاقتصادية الجديدة يزدهر إقتصادها ويرتفع مسـتوى مدخولات سـاكنيها وينعكس ذلك بدوره على تحقيق رفاهية مجتمع المدينـة لوجود بيئة حضريـة جديدة ومتطورة لابـد لهـا أن تواكـب التغيـرات الاقتصاديـة الحديثـة، فتقام الأسـواق التجارية الكبيرة على هيـأة أسـواق تجاريـة متخصصـة أو مولات تجارية متنوعة، كما تنشـا الفنادق الراقية ذات الطوابق المتعـددة فضلا على إقامة المتنزهات الواسـعة والمناطق الترفيهية ومراكز التسـلية والرياضة والملاعب على اختلافها كما تسـود المسـارح ودور العـرض السـينمائية ودور عرض الأزياء وغيرها، هذه الخدمات جميعها تظهـر في بيئة حضرية نظيفة تسـهم في تربية الذوق العام الاجتماعي، كما تسـاعد في تحقيق مزيـد من التنافس بين المشـاريع الاسـتثمارية وزيادة نسبة الابتكارات العلمية الحديثة، يحدث هذا التنافـس الايجابي لمصلحة سـكان المدينة وبالتالي زيادة الرفاهية الاقتصادية للمدينة.[٦]

إلا إن مـا يحدث كله هو من اجل الحصول علـى المزيد من الأربـاح لمزيد مـن الرفاهية الاقتصاديـة, هنـا الجميع مـن سـكان المدينة ينشـد مـن وراء كل خطـوة يخطوهـا تحقيـق الربح،فيظهر إسـتغلال الأخر، وتصبح الأمور الماديـة فوق كل الاعتبار، لذا قيل إن الحضارة تؤدي إلى الجفاف، لأنها تعزز مبدأً الفردانية " مصلحة الفرد أن تكون أخلاقيا فوق كل اعتبار" لذا فان الرفاهية الاقتصادية التي تمنحها المدينة لسكانها لا يتمتعون بها جميعهم بالمقدار نفسه.

الخصائص الاجتماعية للمدينة :

المدينـة عـادة تشـكل بيئـة بشـرية تبعـا للعوامـل الاجتماعيـة السـائدة فيها، لذا تنقسـم بيئاتهـا الاجتماعيـة تبعـا لمؤشـر المسـتوى الاجتماعـي – الاقتصادي (مسـتوى الدخل)، فنجد فيها بيئـات ضعيفة (فقيرة) وبيئات نزوح (متوسطة)،وبيئات طموح (راقية).

ومـن خـلال ذلـك تبـرز ظاهـرة العزل الاجتماعي لسـكان المدينـة، إذ تجد في ضمن خارطة الاسـتعمال السـكني فـي المدينة أحياء راقية في خصائصها العمرانية يسكنها الأثرياء ذوو الدخـل المرتفع تتمتع بكل خصائص الحي السـكني المرفه من حيث تقديـم الخدمات على اختلاف مستوياتها.

فـي حيـن تظهـر فـي الجانب الأخـر من المدينة أحياء يسـكنها ذوي الدخل المتوسـطة، مقابل ذلك تظهر أيضا أحياء يسكنها الفقراء من ذوو الدخول الواطئة، تتصف بخصائص الحي

السـكني المتدني اجتماعيـا وعمرانيا من حيث بيئة متداعية وسـكن يفتقر إلى ابسـط مقومات العيش الإنساني من حيث المساحة الضيقة التي تفتقر إلى المسـاحة الخضـراء فتكون مزدحمة لكثرة سـكانها الذي لا يتفق مع المسـاحة الكلية لهذه الأحياء الفقيرة.(٧)

إن حجم الأسرة الكبير في مثل هذه الأحياء الفقيـرة يؤدي إلى انخفـاض قيمة الدخل الفعلي للأسرة، فينخفض مستواها المعيشي، ما يترتب علـى ذلك وجـود مناخ أسـري داخـل المدينة منقسم على قسمين :

الأول فـي الأحيـاء الراقيـة نوعـا ما نجد تماسكاً للأسـرة وفيها استقرار ودفء ورفاهية لان الوضع الاقتصادي ومستوى الدخل المريح يسـاعد في ذلك إذ تتوافر الخدمات العامة على مستويات راقية و تظهر فيها الأسواق التجارية الواسعة والكبيرة والتي بدورها تعرض وأجود البضائـع التجاريـة واغلاهـا، كمـا ان الدور السـكنية تبنـى وفق احـدث تصاميـم التخطيط الحضري في بناء الدور السـكنية التي تتضمن مناطق خضراء ومسـابح وباركات للسـيارات وغيرها.

أما الثاني في الأحياء الفقيرة يسـود التفكك الأسـري «ليس بشـكل مطلـق وإنما نسـبي» وتظهر هنا الاضطرابات الأسـرية والانفصال الأسري نتيجة لانخفاض مستوى الدخول.(٨)

إن ضيـق الحيـز المكانـي فـي مثـل هذه الأحيـاء السـكانية الفقيرة وانخفاض مسـتوى الدخول لساكنيها، فضلا على تداعيات الحروب والكـوارث الطبيعية, تؤثر جميعها في سـلوك الإنسـان، إذ تتغيـر مـن السـلوك السـوي إلى السـلوك الشاذ ومن السلوك المسالم إلى السلوك العدواني المتربص.

كما إن ضعف التنشـئة الاجتماعية الأسرية سـاعد ذلك في تحفيز وانتشار الرذيلة وارتفاع نسـبة الجرائم بأنواعها المختلفة لاسيما ظاهرة السـرقات بغية الحصول على الأموال بأسـهل الطرائق الملتوية.(٩)

إن قلـة التوعيـة الأسـرية والسـلطوية من الأسـباب التـي أدت إلى حـدوث انحراف اجتماعي لأعضاء الأسـرة مثل هذا في الأحياء السـكانية الفقيرة هذه، إذ إن فشـل الإنسـان في مراحـل التعليم وانتشـار الجهـل و الأمية بين صفوفه مع انعدام وجود مؤسسـات حكومية أو أهلية ذات طابـع خيري قادرة على تقديم الدعم والرعاية الاجتماعية له، سـيكون حتماً عنصراً سـلبياً غير قادر على أداء دوره الفعال في تقدم مجتمعـه وتطويره، ذلـك لأنه فقـد الهدف في الحيـاة، أي أصبح لـه الاسـتعداد الكامل لتقبل كل مـا هو غيـر مألوف اجتماعيـاً وكل ما هو منحـرف عـن السـلوك الاجتماعـي السـوي وخارج عن القانون، لاسـيما وان خطر تفشـي البطالة وارتفاع نسـبتها في المجتمع تعزز من ذلك وتشكل خطرا على مجتمع المدينة، إذ تبقى المدينة وسكانها يعيشون حالة من التردي وعدم الأمان والاطمئنان والانكفاء على انفسهم، إذ إن القيم الاجتماعية السائدة في مجتمعهم الحضري سـتكون ضعيفة وغير قادرة على أداء وظائفها الاجتماعية بشـكل جيد وسليم في ضمن مجتمع حضـري يغلب عليه الصـراع الاجتماعي بين الطبقـات، فضـلا على وجـود المنافسـة غير الشـريفة في أمور الحياة، فضـلا على الإيقاع السـريع الذي تتطـور فيه الحياة فـي المجتمع

المدني المعاصر.[١٠]

وخير مثال ما تعيشه معظم مدننا في العراق ومنها العاصمة بغداد، التي اتسعت مساحتها وزاد عدد سكانها، الذي يربو اليوم إلى أكثر من ٨ مليون نسمة، إذ توسعت مساحتها على حساب الأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة والتي كانت يوما ما تعدّ سلة الغذاء لسكان العاصمة، فضلا على تجريف مساحات كبيرة من البساتين المحيطة بالمدينة وتحويلها إلى استعمالات سكنية والتي كانت مناطق خضراء تعدّ متنفساً لهواء المدينة النقي. إن الكثير من سكان مدينة بغداد يعيشون تحت خط الفقر، باعتماد ٢,٥ دولار/ يوم حسب القيمة التعادلية للقوة الشرائية للفرد, لذا فان دليل الفقر " خط الفقر الوطني " يصبح في بغداد ١٣٪ من الفقراء يتمركزون في محافظة بغداد ومعظمهم يتمركزون في الإحياء الفقيرة والعشوائية المنتشرة عند مداخل مدينة بغداد وأطرافها.

المبحث الثاني

نظريات حدوث ظاهرة الجريمة في مجتمع المدينة

هناك نظريتان يتضح من خلالهما التفسير الوافي للظواهر الاجتماعية السلبية التي تظهر في مجتمع المدينة الحضري :

النظرية الأولى: والتي مفادها أن المدينة تتسم من خلال مراحل نموها و تطورها العمراني والسكاني بظهور العديد من الأمراض منها بشرية واجتماعية و أخرى اقتصادية تتمثل بما يأتي :

- انخفاض مستوى الموارد الطبيعية لسوء استغلالها من أفراد المجتمع المدني

- التلوث البيئي الناجم عن سوء استغلال الإنسان للموارد البيئية بشكل غير نظامي ومدروس إذ يؤدي ذلك إلى حدوث الإخلال في النظام الايكولوجي للبيئة.

- الاكتظاظ السكاني خاصة في الأحياء الفقيرة، إذ تعيش معظم الأسر تحت خط الفقر تسودها علاقات اجتماعية غير متوازنة, تسهم في تعطيل عجلة التنمية الاقتصادية وهذا ناجم عن عدم الموازنة بين استثمار الموارد الاقتصادية والزيادة الطبيعية للسكان والتي تؤدي إلى حدوث الفجوة الكبيرة في تفاوت مستوى الدخول بين سكان المدينة وانتشار ظاهرة البطالة التي تؤدي بدورها إلى انحراف السلوك الاجتماعي لبعض سكان المدينة.

- انتشار أمراض الجوع والجريمة والتعاسة بين سكان المدينة نتيجة لنقص فرص العمل بسبب انخفاض فرص الاستثمار سواء في القطاع الحكومي أم الخاص و بالتالي انخفاض مستوى الدخل الفردي الذي يؤثر بدوره في انخفاض مستوى الأداء الوظيفي لأفراد المجتمع الحضري.[١١] لاحظ الشكل (١)

النظرية الثانية التي مفادها إن المدينة اليوم تتسم بأربعة أمراض تودي إلى حدوث الزيادة الطبيعية بشكل لا يوازي استغلال الموارد الطبيعية المتوافرة فضلا على حدوث أمراض سوء التغذية و الأمراض المزمنة، كذلك انتشار مجتمع الجريمة وانحراف السلوك الاجتماعي المتوازن في المجتمع وظهور ما يسمى بأطفال الشوارع الذين يجوبون الساحات العامة والشوارع الرئيسة في المدينة للحصول

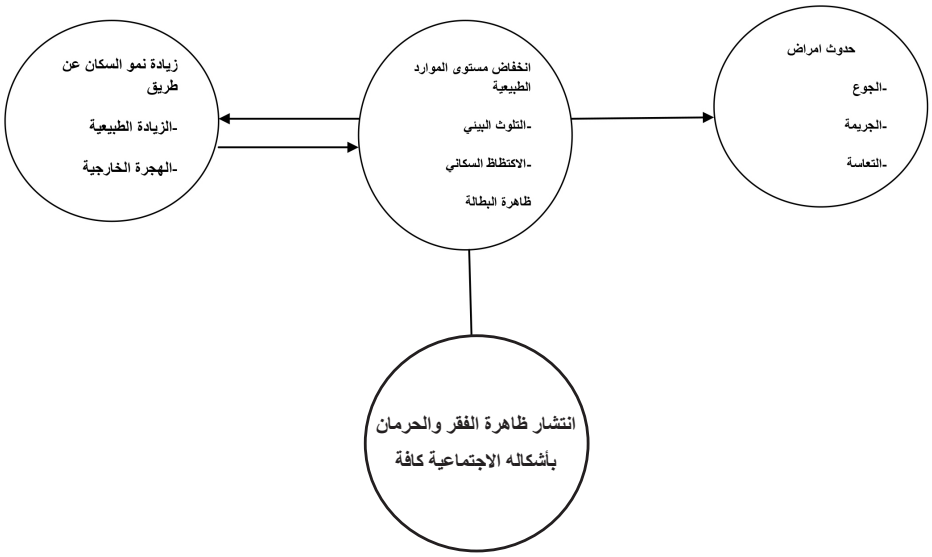

شكل (١) العلاقة ما بين الأمراض الاجتماعية والاقتصادية وظاهرة الفقر المجتمعي

المصدر/ الشكل اعتمادا على مضمون النظرية الاولى

على الأموال من المارة أو أصحاب السيارات عند إشارات المرور وهم دون السن القانونية التي تسمح لهم بالابتعاد عن البيت و الأسرة والمجتمع وهذا بدوره يؤدي إلى الضياع والتفكك الأسري مستقبلاً.

كما إن انخفاض مستوى الدخل الفردي وحدوث ظاهرة التعاسة لأبناء المجتمع يؤدي إلى حدوث أمراض إجتماعية لها تداعيات خطيرة على أبناء مجتمع المدينة فضلاً على حدوث ظاهرة البطالة الاجتماعية للعديد من شرائح المجتمع من الخريجين العاطلين عن العمل والذين قد يمارسون أعمالا لا تليق بهم ولكن قد تضطرهم الحاجة إلى ممارسة تلك الأعمال. وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة نسبة الفقر الاجتماعي بين سكان المدينة، كما إن حدوث ظاهرة الاستغلال المادي والاضطهاد الديني والعرقي والثقافي في مجتمع سكان المدينة له أثار سلبية تؤدي إلى عرقلة عملية التقدم الاجتماعي والحضاري لمجتمع المدينة وبالتالي تصبح المدينة محتملة للعديد من الأمراض الاجتماعية التي تؤثر في مستقبل المدينة [١٢]. لاحظ الشكل (٢)

عوامل تردي الأوضاع الاجتماعية بين سكان المدينة:

هناك مجموعة من العوامل التي تحكم الظواهر الإنسانية في مجتمع المدينة وتؤدي إلى تردي الأوضاع الاجتماعية منها الإقصاء والتهميش والاستبعاد عن بعض أفراد المجتمع, فضلاً عن ذلك التوتر النفسي بسبب عدم إشباع الحاجات الأساسية لأبناء مجتمع المدينة، يضاف إلى ذلك شعور سكان المدينة بعدم الراحة والاطمئنان بسبب عوامل اقتصادية أو اجتماعية أو أمنية. ناهيك عن وجود التطرف والانحرافات والتجاوزات بين صفوف وفئات

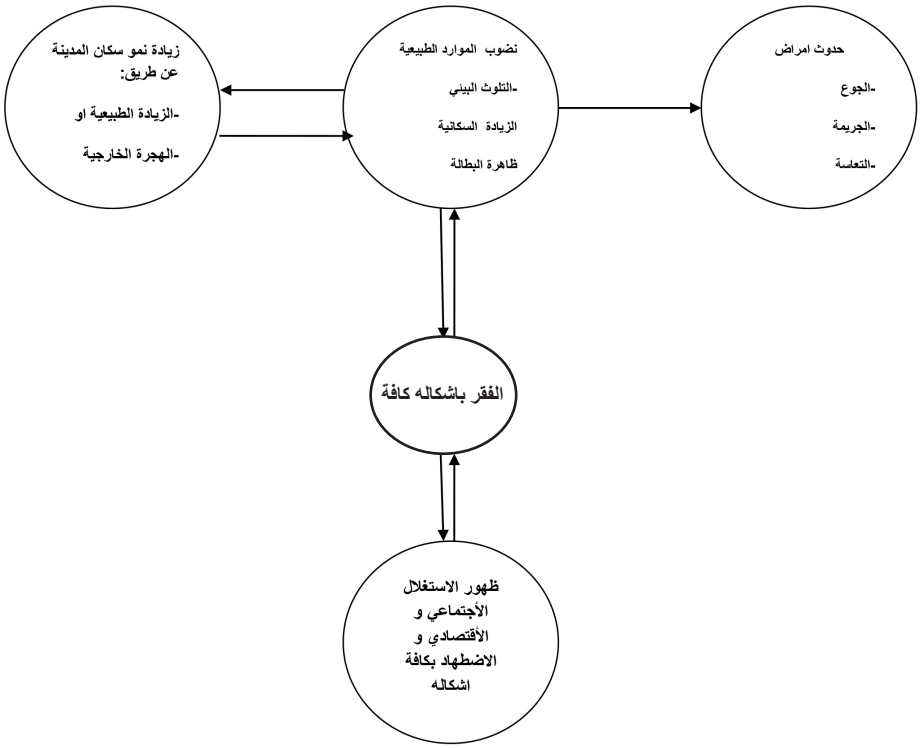

شكل (٢) العلاقة ما بين الامراض الاجتماعية والاقتصادية وظاهرة الاستغلال والاضطهاد المجتمعي

المصدر/ الشكل اعتمادا على مضمون النظرية الثانية.

مجتمع المدينة، كما إن فقدان المعايير الإنسانية التـي تحكم الظواهر الإنسـانية لمجتمع المدينة التي تؤدي إلى انهيار منظومة الأمن الإنسـاني بين أبناء مجتمع المدينة وظهور بوادر الجريمة واستشـراء البطالـة الكاملـة والناقصة ونقص الخدمات وحرمان شـرائح واسـعة منها قادت إلى الفقر والاسـتبعاد الاجتماعـي، والتي نجم عنهـا الكثير من مظاهر النزاع الاجتماعي بين صفوف أبناء مجتمع المدينة.

كمـا إن الانقسـامات العرقيـة والطائفية و المتفاوتات الاقتصادية و تآكل الطبقة الوسـطى مـن مجتمع المدينة والاختلافات السياسـية بين الكتـل و الأحـزاب والتيـارات، فضـلا علـى وجود الفوارق ما بيـن مجتمع المدينة ومجتمع الريـف، كذلـك وجود شـرائح مـن المواطنين تشـعر بالإحباط والغبـن والضرر الاجتماعي، كل ذلـك أدى إلـى زيـادة واسـتمرار معدلات البطالة وانعكاسـها على ظهور مسرح الجريمة وزعزعة الاستقرار و الأمن المجتمعي للمدينة.

تشـير بعض التقديرات شـبه الرسـمية أو اسـتمرارها الى إن عـدد المدمنين على تعاطي المخـدرات فـي بعـض مـدن العـراق تجاوز ١٠٠٠٠ مدمن، حيث يتوافر بيع تلك المواد من تجار التفـكك الاجتماعي و بأسـعار تقل كثيرا

عن أسعار الدول المجاورة، وهذا بدوره يشجع على ظهور الجرائم المنظمة في مجتمع المدينة وبالتالي تفقد المدينة الأمن و الأمان لساكنيها محدثة ما يسمى بالهجرة إلى أماكن حيث الأمن و الأمان.[١٣]

إن ما يطلق عليه اليوم اسم ثقافة الفقر poverty culture- هي طريقة حياة تسترشد بقيم تنتقل من جيل لأخر، لتؤلف أساس تكيف الفقراء بما يحيط بهم. وتبعا لهذه المرتكزات نجد أن بعض المناطق تختلف من حيث أنماط الجرائم التي تقع فيها وهو ما يعبر عن الأثر المختلف للعوامل الثقافية. ففي بعض المناطق الفقيرة في المدينة والتي يطلق عليها المناطق المتخلفة slums، تظهر أنماط معينة من الجرائم كانت ترتكب في ظل قوة الضوابط الاجتماعية بدرجة محدودة،لكن حين تنهارتلك الضوابط أو تضعف تظهر على السطح كممارسة شبه علنية، في هذه المناطق من المدينة معظم شاغلي دورها من العزاب وهم عادة يستأجرون غرفا خاصة ويتصفون بخصائص اجتماعية معينة من النواحي العمرية والمهنية والثقافية. لذا فان السلوك الاجتماعي المنحرف هو الطابع المميز في مثل هذه المناطق التي تشكل أحزمة الفقر و الجريمة حول المدينة. إن إنهيار سلطة الضبط الاجتماعي لمجتمع المدينة أو ضعفها أو وقوع حوادث معينة، أدى إلى ظهور أفعال إجرامية كانت تُجرى بمنتهى السرية، وهذه الأفعال السلوكية ذات الطابع الإجرامي تمتلك عقائد وفلسفات تسويغية مستمدة أصلاً من الثقافات الفرعية في جانب منها في الأقل.

المبحث الثالث

أحزمة الفقر والحرمان في المدينة

إن مظاهر الحرمان التي تعاني منه العديد من المناطق الحضرية الفقيرة من مجتمع المدينة يؤدي إلى بروز ظاهرة زيادة نسب الأطفال الموجودين في الشوارع. فالعديد من هؤلاء الأطفال ينحدرون من أسر فقيرة، تقطن الأحياء الفقيرة من المدينة، البعض منها رب اسرتها أم تعمل خارج المنزل لساعات طويلة من اليوم و بأجور زهيدة كالخدمات المنزلية أو بائعات متجولات أو القيام بفرز مخلفات أماكن وجود النفايات في المدينة وبيعها إلى معامل خاصة بتدوير تلك المخلفات و إعادة صناعتها من جديد.

ولعل الاستقراء الأولي لخلفيات هذه الأسر يظهر أنهم من المهاجرين الذين يقطنون المناطق الحضرية التي يطلق عليها أحزمة الفقر اوجيوب الفقر في المدينة، والذي يشكل أحداهم التحديات للسياسات التنموية للمجتمع.

إن المشكلة اليوم ليست في ما تعانيه المناطق الريفية من تفاوت مع المناطق الحضرية، بل هو قاع المدينة الذي يكتظ بأفواج بشرية مثقلة بتحديات مصيرية ألقت بالعديد من أطفالها إلى شوارع المدينة ليقضوا اغلب وقتهم في تلك الشوارع و الأماكن العامة من المدينة حول أكواخهم أو أماكن عمل أمهاتهم، بعيدين عن البيئة الحضرية المناسبة لأعمارهم والتي توفر لهم كل ما يحتاجه الطفل في هذه المرحلة من حياته من خدمات تعليمية وصحية وترفيهية واجتماعية، فضلا على ذلك فان هؤلاء الأطفال قد يتعرضون لمخاطر الاستغلال والانسياق

وراء ظاهـرة الانحـراف والسـرقة ومـن ثـم ارتياد مسرح الجريمة، إذ إن وجود مناخ الفقر والعنف والاضطهاد والحرمان من ابسط حقوق الحياة يؤدي إلى زيادة نسـبة معدلات الجريمة في مجتمع المدينة.

إن ظاهـرة النزوح الداخلي مـن المناطق الريفية إلى المدينـة أو من المدن المجاورة، قد أدت إلى تضخم سـكان المدينة ونشوء ما يسمى بأحزمة الفقر أو مناطق العشـوائيات الحضرية عنـد ضواحـي المدينة وهـذا أدى بـدوره إلى تشـويه المنظـر المورفولوجـي للمدينـة. هذه المناطق شـكلت عوامل توتـر لمجتمع المدينة بسـبب ظروفها الاقتصادية وتـردي أوضاعها الخدمية وكثافتها السـكانية فضلاً على ظروفها البيئية غيـر الصحية نتيجة لانتشـار الأوبئة و الأمراض فيها.

إن ظهور هـذه المناطق في ضمن مجتمع المدينـة أدى إلـى حصـول اختلاف في سـوق العمـل بفعـل عوامـل النـزوح الكبيـر للقوى العاملـة بعيداً عن مراكز عملهـا ومن ثم تزايد نسبة البطالة وتدهور مستويات الدخل مع تزايد الظروف المعيشـة السيئة لساكني تلك المناطق والتـي تـؤدي إلى زيادة نسـبة معدلات حدوث الجرائم في مجتمع المدينة.

ومن خـلال ذلك يمكن إيجـاد وصف عام لسكان تلك التجمعات السكانية التي يطلق عليها بأحزمة الفقر حول المدينة أو سكان المجتمعات المأزومة والذين يعانون من :

- أعبـاء ثقيلة على العائلـة والمجتمع المحلي في المدينة.
- حرمان وظروف تنشـئة سـيئة فضلا على الفقـر والجـوع وعـدم إعطـاء الأولويـة لخدمات التعليم والصحة و الإسكان.
- تـردي أوضـاع التنميـة الاجتماعيـة و الإدارية لمجتمع المدينة وبالتالي زيادة نسبة الإصابـة بالأمـراض المزمنـة والاعتلال وحدوث الوفيات في ضمن ضغوط نفسـية واجتماعية قاسية.[١٤]

المشـاكل العامة للمناطق المأزومة من المدينة :

أظهرت الدراسـات الديموغرافية الميدانية التي أجريـت على مناطق الأحيـاء الفقيرة في المدينة، وجود العديد من المشكلات العامة التي تعانـي منها هـذه المناطق،و التي تـم تصنيفها إلـى مشـاكل اجتماعية تتعلق بتدني المسـتوى الحضـاري وكثرة حـالات الطـلاق والزواج بأكثـر من واحـدة وارتفاع عدد أفراد الأسـرة ليصـل إلى أكثـر من ٦ أفراد في المتوسـط, و تدهور في القيـم والتقاليد وانعدام الأمن وزيادة معدلات الجريمة والانحراف السلوكي مع تدني مسـتوى الوعـي الثقافي والتعليمـي لأبناء هذه المناطق.

وبتحليل عناصر المشـكلة سيتضح لنا جليا أن الشـخص الذي نشا تنشـئة فقيرة ومحرومة سيصبح في يوما ما شخصا غير سوي لا يحترم القانون الذي لم يضمن له الحقوق الإنسانية.هذه المناطق الفقيرة مـن المدينة تعمل على تخريج أشـخاص جهـلاء لا يملكـون عقـلاً أو وعيـاً أو فكـرة أو أخلاقاً، يمارسـون أعمـال العنف كلهـا ويخرجون عن القانـون وينتهكون حرية الآخرين.

فئـة الشـباب في هذه المناطـق من المدينة

يتصفون بظاهرة التقليد العشوائي لغيرهم من الشباب, كان يتحدثون بكلمات غير متناسقة تخلط ما بين مصطلحات المثقفين و ألفاظ طلبة الحارات والمناطق الشعبية في مظهر عام متخبط،يحاولون من خلاله بلوغ مظهر الشباب الجامعيين والتنصل من بيئاتهم الاجتماعية الفقيرة ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتدني.وتؤكد الدراسات الديموغرافية، أن فئة الشباب هي أكثر فئات تلك المناطق ارتكابا لجرائم العنف والخروج على القانون، لما تتميز به هذه الفئة من قوة ورعونة بحكم التركيب الجسماني والنفسي لها. وقد كان للبطالة وعدم توفير فرص عمل لائقة بهم نصيب وافر من تلك الانحرافات الاجتماعية في سلوكهم تجاه الآخرين، فضلاً على انتشار ظاهرة الأمية وزيادة نسبة أعداد أطفال الشوارع، كانت أيضاً من أسباب العنف السائد في مجتمع المناطق الفقيرة من المدينة.

- إن الحالة المعيشية لسكان هذه المناطق تتصف بتدني مستوى الدخل بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة مع ارتفاع الأسعار، وهذا مما جعل من الصعوبة على رب الأسرة، توفير فرص التعلم لأبنائه إذ حرمهم من نعمة التعليم ليخرجهم إلى الشوارع كي يعملوا بإعمال لا تليق بهم من اجل مواصلة الحياة وديمومتها.

- إن معظم المساكن في هذه المناطق الفقيرة من المدينة تتصف بصغر مساحتها وارتفاع الكثافة السكانية فيها إذ تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من عائلتين في وحدة سكنية تشترك بدوره مياه واحدة وحمام واحد، ما خلق ظروف اجتماعية سيئة لهذه المناطق التي يصل عدد سكانها أحيانا إلى أكثر من ٢٠٠٠٠ نسمة يفتقرون إلى ابسط مقومات الحياة الإنسانية والتي قادتهم إلى الانحراف في السلوك الاجتماعي وزيادة معدلات الجريمة.

- تتسم المناطق الفقيرة في المدينة بظهور أنماط من العلاقات الاجتماعية والسلوكيات المرتبطة بها نتيجة طريقة المعيشة في الغرف وتلاحمها مع أخرى، وما ينتج عنها من مؤشرات نفسية واجتماعية وانعدام ظاهرة الخصوصية وغياب الحياء في العلاقات الخاصة ومناقشة الأمور الخاصة أمام الجميع من أبناء المنطقة وجيرانها ما ينجم عن ذلك ارتفاع نسبة المشاكل بين الأزواج و الأبناء وسيطرة طابع العنف والقوة والقسوة داخل الأسرة الواحدة أو مع اسر أخرى مجاورة فضلا على الشعور بالإحباط والعدوانية ونمو الشخصيات غير السوية داخل مجتمع المدينة وبالتالي لها انعكاسات سلبية على زيادة و تائر العنف والجريمة.

- أما أطفال المناطق الفقيرة من المدينة فهم كما بينا يعيشون حياة قاسية نتيجة ظروف متخلفة وبيئة متدهورة تفتقر للإمكانيات ووسط صراعات أسرية وتفكك وعدم استقرار، ما يفقد الطفل ابسط احتياجاته من الرعاية والحنان والحماية من الانحرافات السلوكية والوقوع في كماشة الجريمة والعنف وبالتالي إصابته بأمراض جسدية ونفسية و الإحساس بالإهمال الذي يؤدي إلى فقد الولاء والانتماء للأسرة والمجتمع.

- إن إنتشار بعض الأمراض السلوكية داخل الأسرة في هذه المجتمعات ومنها أساليب الضرب. والسباب واستخدام الألفاظ القاسية والجارحة التي يتبادلها الأبناء ويقضون معظم

أوقاتهم في شوارع المدينة، ما ينجم عن ذلك تعرضهم للانحرافات السلوكية ومنها تعاطي التدخين والمخدرات والحبوب المخدرة والسرقات المنظمة وتهديد الأمن والاستقرار لغيرهم من سكان المدينة.

- أما المرأة في تلك المناطق الفقيرة من المدينة، فهي اشد معاناة من الرجل، بسبب ظاهرة الفقر الشديد لأنها اقل حظا في حق التعليم و التأهيل والتدريب، فضلا على عملها في مجالات غير حيوية أم رسمية سواء في المعامل الصغيرة، ذات الأجور الزهيدة، أو داخل المنازل كمربيات أو عاملات تنظيف أو خدمة أو بائعات على الأرصفة أو مداخل الشوارع المزدحمة من المدينة على هيأة بسطيات "اقتصاديات الظل" و أحيانا يمارسن عمل الاستجداء من المارة عن تقاطع الطرق بحمل أطفالهن الرضع, حيث إشارات المرور الضوئية، أو من أصحاب المركبات مما تجود عليهن من الأموال، والتي أصبحت ظاهرة اجتماعية واسعة وكبيرة ومخجلة في الوقت نفسه تهدد النسيج الاجتماعي للمدينة وتعمل على نمو السلوك الاجتماعي المنحرف باتجاه العنف والجريمة.(١٥)

مما تقدم كله فان سكان المناطق الفقيرة من المدينة أو ما يطلق عليهم اليوم سكان المجتمعات المتأزمة والتي تمثل أحزمة الفقر سواء داخل المدينة أو عند أطرافها يعانون العديد من المشاكل والصعوبات الحياتية والتي لها الدور الكبير في انخفاض مستوى الرفاهية وارتفاع مستوى العنف والجريمة بين أبنائها. والشكل (٣) يوضح ذلك.

الاستنتاجات

١. تعد المدينة نظاماً حضرياً قائما بنفسه يطلق عليه النظام المفتوح opened system يتأثر بعوامل خارجية تعمل على إحداث تغيرات إجتماعية و إقتصادية عبر مراحل زمنية متباينة.

٢. النظام الحضري للمدينة يعمل في ضمن حلقات دائرية تتمثل بمنطقة نفوذ المدينة وهجرة السكان إليها مع استخدام وسائط النقل والاتصالات فضلاً على عملية شحن البضائع التجارية، وان الطاقة المحركة لهذا النظام الحيوي للمدينة تتمثل بالحاجات الحيوية للسكان فضلا على الحاجات الاجتماعية للمجتمع المدني.

٣. ترتبط ظاهرة الرفاهية لمجتمع المدينة بجملة من المتغيرات، في مقدمتها زيادة حجم المدينة أي زيادة عدد سكانها سواء عن طريق الزيادة الطبيعية أم عن طريق الهجرة إليها من المناطق الريفية المجاورة لها أو من المدن القريبة منها، وذلك لتوافر فرص العمل فيها إذ يتسع سوق العمل لهذه الزيادة السكانية، فتصبح لدى المدينة القدرة الاقتصادية على جذب الاستثمارات المالية و الأيدي العاملة، فتكون لها القدرة الكافية على تقديم سلع وبضائع وخدمات تفوق تنوعا ونوعية وكماً على ما تقدمه المدن الصغيرة الأخرى لسكانها وبذلك تزداد دخول ساكنيها ويزدهر اقتصادها وينعكس بدوره على تحقيق رفاهية مجتمع المدينة.

٤. المدينة عادة تشكل بيئة حضرية تبعاً للعوامل الاجتماعية السائدة فيها، لذا تنقسم بيئاتها الاجتماعية تبعاً لمؤشر المستوى

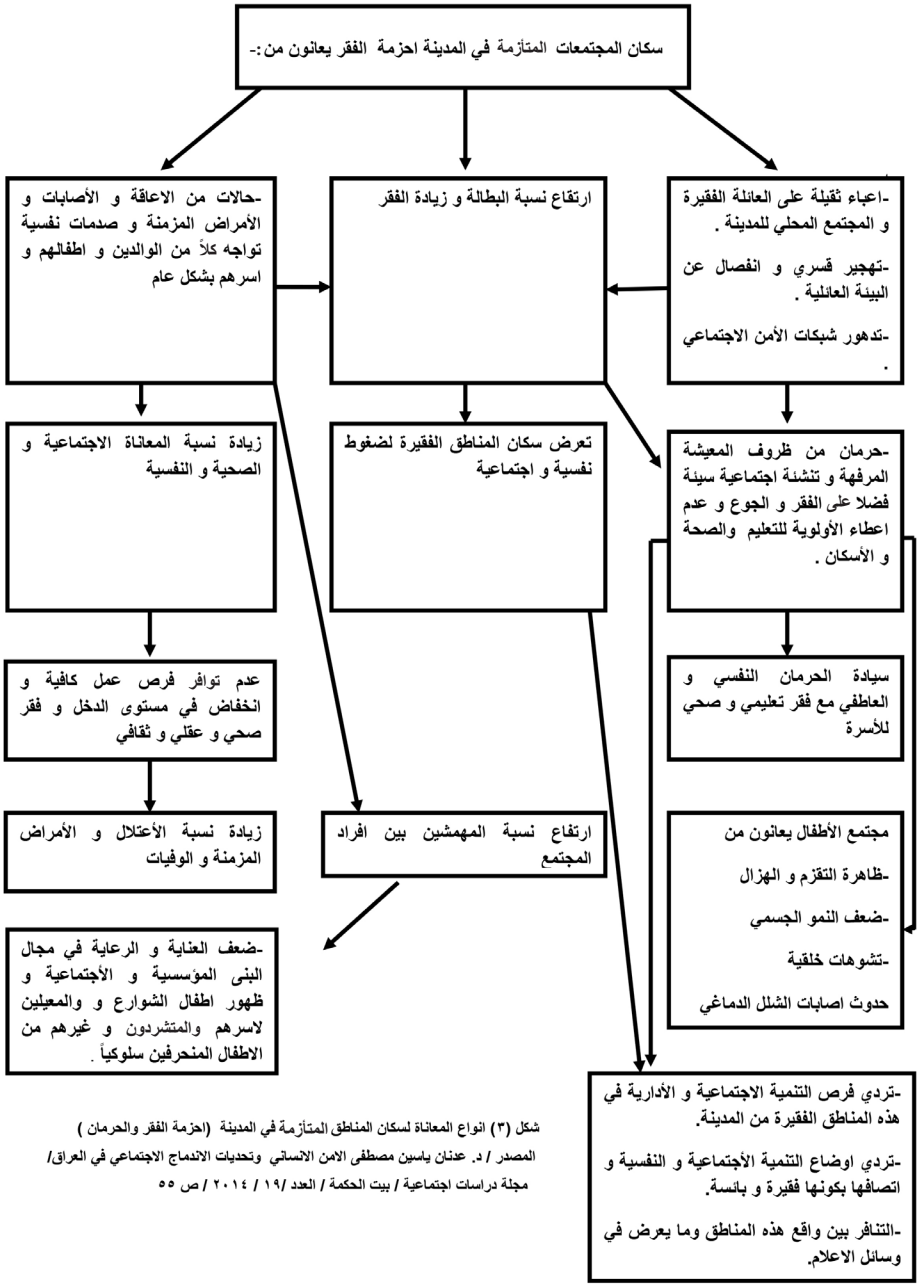

شكل (٣) انواع المعاناة لسكان المناطق المتأزمة في المدينة (احزمة الفقر والحرمان)
المصدر / د. عدنان ياسين مصطفى الامن الانساني وتحديات الاندماج الاجتماعي في العراق/ مجلة دراسات اجتماعية / بيت الحكمة / العدد /١٩ / ٢٠١٤ / ص ٥٥

الاجتماعي – الاقتصادي، فتظهر فيها بيئات طموح راقية وبيئات نزوح متوسطة وبيئات فقيرة ضعيفة. ومن هنا تبرز ظاهرة العزل الاجتماعي لسكان المدينة من حيث الخصائص العمرانية ومستوى الدخل فضلاً على مستوى الخدمات العامة والوسائل الترفيهية وغيرها.

٥. أمـا فيما يخـص بـروز ظاهـرة الجريمة والانحراف السـلوكي بين مجتمـع المدينة فتعـود إلـى ظهـور العديد مـن الأمراض الاجتماعيـة والاقتصاديـة التـي ترتبـط بانخفاض مسـتوى الموارد الطبيعة لسـوء اسـتغلالها مـن أفـراد المجتمـع المدنـي وحـدوث ظاهرة التلوث البيئـي التي تعمل على الإخـلال في النظام الايكولوجي للبيئة الحياتيـة، فضـلاً على الاكتظاظ السـكاني خاصة فـي الأحياء الفقيرة، إذ تعيش معظم الأسـر تحت مسـتوى خط الفقر وتسـودها علاقـات اجتماعية غير متوازنة ينجم عنها ظاهـرة البطالـة والتي تـؤدي بدورها إلى انتشـار أمراض الجوع والتعاسة والجريمة وانحراف السـلوك الاجتماعي بين سـكان المدينة.

الهوامش والمصادر

(١) أ.د. خالـص حسـني الاشـعب / إقليـم المدينة بين التخطيط الإقليمي والتنمية الشاملة – وزارة التعليم العالـي والبحـث العلمـي – جامعـة بغـداد – بيت الحكمة- ١٩٩٠ ص.١٨١

(٢) المصدر نفسه ص ١٧١.

(٣) د. صلاح حميد الجنابي / جغرافية الحضر- أسـس وتطبيقات – وزارة التعليـم العالي والبحث العلمي – جامعة الموصل – كلية التربية / قسـم الجغرافية – الموصل /١٩٨٧/ص ٣١٩.

(٤) المصـدر السـابق/ أ.د. خالص حسـني الاشـعب / ص٢٤٧.

(٥) أ.د. محمد خميـس الزوكة/جغرافية النقل/ الجامعة الإسـكندرية- كليـة الآداب – دار المعرفة الجامعة ١٩٨٨/ص٤٩-٥٢.

(٦) د.فؤاد بن غضبان – المدن المسـتدامة والمشروع الحضـري – نحـو تخطيـط اسـتراتيجي مسـتدام –دار صفـاء للنشـر والتوزيـع / عمـان/الأردن / ط١/٢٠١٤/ص٦٧.

(٧) المصدر نفسه ص٦٩.

(٨) المصدر نفسه ص ٨١.

(٩) أحمد علي إسـماعيل – دراسات في جغرافية المدن /ط٢/ القاهرة/١٩٨٢/ص ٢٨٢-٢٨٣.

(١٠) عبـد الإلـه أبـو العباس- إسـحق يعقـوب قطب / الاتجاهـات المعاصرة في الدراسـات الحضرية – الكويت -١٩٨٠ص ١١٠.

(١١) د. عبـد الرزاق عبـاس حسـين – جغرافية المدن – جامعـة بغداد- كلية التربية – قسـم الجغرافية – بغداد- ١٩٧١ ص٩٧.

(١٢) المصدر نفسه ص٩٨.

(١٣) د. عدنـان ياسـين مصطفـى- الأمـن الإنسـاني وتحديـات الاندماج الاجتماعي في العراق – تحليل سوسـيولوجي/ مجلـة دراسـات اجتماعيـة / بيت الحكمة/ العدد /١٩/٢٠٠٨/ص ٤٢.

(١٤) أ.د. عبـاس فاضـل السـعدي /جغرافيـة الفقر في العـراق- مجلة دراسـات اجتماعية – بيت الحكمة/ العدد/٣١/٢٠١٣/ص٣٤-٣٥.

(١٥)المصدر السابق –د. عدنان ياسين مصطفى ص٥٥.

Economic and social characteristics of the city and its relationship with welfare and crime : The Ministry of Education / Educational Research and Studies Center

Prof. Dr. Abdul Razak Ahmad Said 2015

Abstract :-

It confirms recent trends in urban studies of cities that the city is only a system of interconnected relationships between events and social and economic activities and the administrative, cultural and entertainment offered by the city for its inhabitants.

What affects the individual's progress or decline is reflected automatically on the lifestyle in the city, so the city should be perfect and with cultural characteristics of modern provide well-being of its population and keep them from irregular practices deviation social behavior and violence and crime through respect for the law, that is, that the city does not must be of an urban system makes it more acceptable to the residence and provide him with security and confidence and provide him with protection, stability, and the applicable laws governing life in order capita feel of belonging to it and works on the sustainability of its activities and is keen to maintain the property because it belongs to all.

The breadth of the labor market in major cities as a result of providing employment opportunities which makes it more economical's ability to attract money and manpower and becoming more and more investors to enter its members and its economy is booming and this in turn is reflected in the well-being of the community and the city is working on its development.

By contrast, the low level of natural resources and environmental pollution and overpopulation and the occurrence of the phenomenon of unemployment and deterioration of services, all of which lead to hunger, crime and misery diseases as well as the deterioration of the socialization of family situations helped to stimulate the spread of vice and the high rate of crimes of various kinds, especially the phenomenon of begging and theft in order to obtain money the easiest methods.

The occurrence of the phenomenon of physical exploitation of religious, ethnic, cultural and persecution among the city's society has negative effects lead to obstruct the wheel of social and cultural progress of the community the city and thus the city become a possible focus for many social ills, including the phenomenon of crime, domestic violence and delinquency behavior, which in turn affect the future of the city.

تقرير نـدوة:

علـم اللغـة الاجتماعـي .. محاولة نحو الفهم والتأصيل

مقرر الندوة: ميساء فلاح حسين(*)

فـي صبـاح يـوم الخميـس المصـادف ٢٠١٥/١١/٥ وفـي قاعـة النـدوات فـي بيت الحكمـة اقيمت النـدوة الموسـومة بـ(علم اللغة الاجتماعـي .. محاولـة نحو الفهـم والتأصيل) لقسم الدراسات اللغوية والترجمية بالتعاون مع قسـم الدراسـات الاجتماعية. وقد ترأس الندوة الاسـتاذ الدكتور عبد المنعم الحسـني ومقررية المترجم اقدم ميساء فلاح حسين وبحضور عدد من الباحثين والأكاديميين.

الباحثون المشاركون :

١. أ.د ناهـدة عبد الكريـم حافظ من جامعة بغداد / كلية الآداب/البحث بعنوان _اللغة رؤية سوسيو – أنثروبولوجية

٢. أ.م. د. رضـا الموسـوي البحث بعنوان (هوية النـوع الاجتماعي وخطاب الشـخصية المقهورة)(دراسـة لغويـة اجتماعية في بعض الترانيمات التراثية للمرأه العراقية).

٣. أ.م. د. غني ناصر حسـين القريشي من جامعـة بابل- كلية الآداب- قسـم علم الاجتماع البحـث بعنوان (الـدلالات الاجتماعيـة للتنوع اللغوي).

٤. أ.م.د .عـلاء جواد كاظم من كلية الاداب –جامعة القادسـية البحث بعنـوان (اللغة العقل الثقافة:ملاحظات أنثروبولوجية أولية في تفكيك الاسس اللغوية للعقل) .

بـدأت النـدوة ببحث **الـدلالات الاجتماعية للتنـوع اللغوي للـ أ.م. د. غني ناصر حسـين القريشـي من جامعة بابل- كلية الآداب- قسم علـم الاجتماع** موضحاً ان التنـوع اللغوي في أيـة دولة من العالم يطرح نفسـه بقـوة لِما لهذا الموضـوع من حساسـية كبـرى وخصوصية لموضوع اللغة بوصفها أداة للاتصال والتفاعل داخل المجتمع الواحد، وفي هذا السـياق برزت عديـدٌ مـن من وجهـات النظـر المختلفـة فيما

(*) بيت الحكمة/ قسم الدراسات اللغوية والترجمية

يخص التنوع اللغوي في بلد معين وهو الأمر الذي نلمسه في معظم دول العالم ومنها بلدنا العراق الذي نرى أنَّ نسيجه اللغوي متنوع بتنوع ثقافته وبوجود بعض العوامل المختلفة الأخرى ذات الدلالة الاجتماعية والمتجذرة في قوة الترابط بين اللغة والمجتمع .وحدد الباحث الإشكالية العامة التي يدور حولها هذا البحث في الآتي:ما الدلالات الاجتماعية للتعدد اللغوي في المجتمع؟ وما العلاقة بين التنوع الاجتماعي واختلاف مستوى الأداء اللغوي في المجتمع؟

وطرح بعض التساؤلات التي وجد أنَّها السبيل إلى تفكيك تلك الإشكالية والوقوف على حيثياتها وهي:

١- ما طبيعة العلاقة بين اللغة والمجتمع؟

٢- ما طبيعة العلاقة بين التنوع البنائي للمجتمع والتنوع اللغوي؟

٣- هل أنَّ اختلاف مستوى الأداء اللغوي بسبب التنوع الاجتماعي يشكل نعمة للمجتمع أم نقمة على المجتمع؟

٤- كيف يبدو وضع لغتنا العربية بين تعدد اللغات وسيطرة اللهجات المحلية؟ وما الحل؟

وقد حدَّد الباحث بعض المصطلحات والمفاهيم المستعملة في هذا البحث على النحو الآتي:تعريف اللغة Language فقد جاء في لسان العرب: اللغة اللّسُنُ.. وأصلها لُغوة على وزن فُعلة من لِغا إذا تكلم، ولغوت إذا تكلمت، والجمع لُغات ولُغُون، والنسبة: لُغُويَّ. وقيل اللُّغة من الأَسماء الناقصة وأَصلها لُغْوة من لَغا إذا تكلم واللَّغا ما لا يُعدّ من أَولاد الإبل في دية أَو غيرها لصغرها وشاة لَغْو ولَغاً لا يُعتدّ بها في المعاملة وقد أَلغَى له شاة وكلُّ ما أسقط فلم يعتد به مُلْغًى. وتعريف «اللغة» في علم اللغة الحديث على تنوع مدارسه يلتقي بتعريف ابن جني لها حول هذه الحقائق المهمة، لكنه زاد عليها حقائق أخرى كانت ثمرة لتطور هذا العلم من خلال الدراسة العلمية.

ويعرفها ابن خلدون بأنَّها عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بدَّ من أنْ تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم. وهو ما يكشف عن الوظيفة التواصلية؛ إذْ يصف اللغة على أنَّها نظام للتواصل المقصود فهي سلوك اجتماعي، كما يقرر أنَّها ملكة راسخة واستعداد فطري، وكما يشير إلى تعددية النظم اللغوية وطبيعتها العرفية.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن الوقوف على أهم الملامح المميّزة للغة:

١- الطبيعة الصوتية للغة. (فالصوت اللغوي هو الصورة الحية للغة، واللغة التي لا تُنطَق لغة ميتة، ولا تغني الكتابة عن الواقع الصوتي للغة)

٢ - الطبيعة الاجتماعية للغة. (اللغة مرآة المجتمع، ترتبط بالجماعة في تقدمها وتخلفها)

٣ - اللغة متغيرة.(التغير سِنة جارية في سائر اللغات الحية وتعكس مظاهر التغير والتحول في المجتمع: رقيَّاً كان أم انحطاطاً، تحضراً كان أم تخلفاً)

٤ - اللغة مكتسبة .(لا يولد الإنسان متكلماً بفطرته؛ بلْ يكتسب لغة المجتمع الذي نشأ فيه)

٥- اللغة نسق.(لكل لغة نسقها الخاص على المستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي)

وتناول مفهوم الدلالة والدلالة الاجتماعية

فالدلالة: هي المعنى (دلالة أي لفظ) هي: ما ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنًى

مدرك أو مُحَسّ، والتـلازم بين الكلمة ودلالتها أمـر لابد منه في اللُّغة ليتـم التفاهم بين النَّاسِ، أي أنَّ هذه الألفاظ الدالة والمعاني المدلول عنها ما هـي إلاَّ «علاقةٌ اعتباطية لا سـند لها إلاَّ ما يقـع من اتفـاق النَّاسِ، وتعارفهم على إنشـائها وفهمهـا»، وبذلـك تصبح لـدى كل جماعة لغة معينة، يسود بها التفاهم على وفق نظم خاصة، وهذا التفاهم هو ما يعـرف بـ) العرف اللغوي الدلالـي) أو (الدلالة العرفية (الناتجة عن ثبوت المعنى إزاء اللفظ الموضوع له. **اما اللهجات** في الاصطلاح العلمي الحديث عند (إبراهيم أنيس) هـي: مجموعة من الصفـات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشـترك في هـذه الصفات أفراد هذه البيئة جميعهـم، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم لهجات متعددة. **وتطرق الباحث الى الواقـع والحلول للغة العربية بين تعدد اللغات وسيطرة اللهجات المحلية.. حيث اقترح الجوانب الآتية:**

١- دراسة التعدد اللغوي والعولمة.

٢- دراسـة ميدانية للغـة العامية واللهجات ودورها في إضعاف اللغة الفصحى.

٣- دراسـة ميدانيـة لدور وسـائل الإعلام المكتوبـة والمرئيـة في نشـر التثقيـف اللغوي للمواطن.

٤- دراسـة ميدانية لدور المرأة العراقية في نشر التثقيف اللغوي بين الأطفال.

٥- دراسـة ميدانيـة عن أسـباب انخفاض مستويات التحصيل العلمي لدى طلبة الإعدادية والثانوية بمادة اللغة العربية.

وجـاء بحث **اللغة العقـل الثقافة:ملاحظات أنثروبولوجية أولية في تفكيك الاسس اللغوية للعقـل .أ.م.د .علاء جواد كاظم من كلية الاداب ـجامعة القادسـية** متناولاً الإنسان بأنه هو من أوجد اللغـة، وكل انظمة الـصيغة اللغويـة فـي تعاملـه الدائم والحر مـع المحيط الطبيعي الذي دخـل في مواجهـة ابدية معـه، واللّغـة ناتجـة في الاسـاس عـن التفاعـل بين الإنسـان البدائي والـطبيعة، ومن اللغة تتشكل عملية التجريد التي أختص بها الإنسان، من دون غيره من الكائنات الحية، وتعد هذه الملكة التصورية أساس وظائف عمليـات خلق المفاهيـم، فضلا على ذلك تتطور اللغـة بتطور الواقـع، لأن كـلّ شـعب إنما يحلّل الواقع من خلال اللّغة الـتي ينـطق بها، وعلى هذا فالشـعب يرث خبرات وتجارب سـابقيه ويترك بدوره للأجيال اللاّحقـة أساليب وطرقًا في كيفية التعامل والنظر إلى الوجود.

وتشكل علاقـة اللغـة بالفكـر وعلاقته بالثقافة اساسـا مهما للبحث والجدل في الدراسات كلها التـي ناقشـت اللغة، فاللغة كما يـرى المناطقـة أداة الفكـر ووسـيلته، وهـذا يعنـي أن زوال اللغة يعني زوال الفكـر أو في الأقل تردّيه إلى الدرجـات الدنيا، اختلـف الانثروبولوجيون في توضيـح اهمية اللغة والمهام الملقاة على عاتقها في التفسـير الانثروبولوجـي على وفق الخلفية النظريـة والتحليليـة التـي ينطلق منهـا اولئك العلماء وبحسب الاتي:

<u>الوظيفيون</u> : حدد اصحاب الاتجاه الوظيفي الفعاليـات الوظيفـة التي تؤديهـا اللغة بوصفها الجزء الاكثر اهمية وحساسـية للغة من منظور انثروبولوجـي، وقد انشـغلوا كثيرا فـي تحديد هـذه الوظيفـة وطبيعتها وتركيبتهـا وتفاعلاتها النظامية في هذا المجال. اما **<u>الثقافيون</u>** (منظرو اتجاه الثقافة والشخصية) فقد ذهبوا الى عدّ اللغة ظاهرة اجتماعية لكن اسسها ثقافية محضة، من

هنــا عدت من احد اهم الميادين المهمة التي يهتم بهــا علماء الانثروبولوجيا الثقافية الذين انصبت جهودهــم في تحليــل لغات الهنــود الحمر (في اميركا) ودراســتها كما فعل بواز وبندكت وميد .**والبنيويون** :اســتلهم عالم الإنسان «كلود ليفي-ستروس» ألسنيته من «رومان جاكوبسون»، كان ذلك عام ١٩٤٢م عندما طار «ليفي شــتراوس» ليحضــر دروســه ومحاضراته فــي نيويورك، وبذلك التاريخ ولدت البنيوية الفرنسية. وقد أدت سلسلة المحاضرات تلك دوراً عظيماً في تعريف «شتراوس» على الألسنية ووجد ضالته في ذلك المنهج تأثراً في تعاليم «دي سوسير» و«رومان جاكوبســون» بحيث تتوافق مع الأنثروبولوجيا علــى تحديد (الانثروبولوجيا اللغوية) : بوصفها الدراسة المتعددة التخصصات. فقد ظهرت ثلاثة نماذج عبر تاريخ التخصصات الفرعية:

الأول - يعــرف باســم «لغويــات الأنثروبولوجيا» والذي يركز في توثيق اللغات.

الثانــي- يعــرف باســم «الأنثروبولوجيــا اللغويــة» والــذي يتعلــق بالدراســات النظرية لاستعمال اللغة.

الثالث- يدرس القضايا المتعلقة بالمجالات الفرعيــة الأخــرى للأنثروبولوجيــا باســتخدام أدوات البحــث اللغويــة. فعلى الرغــم من أنها تطورت بصورة تسلســلية، فهــذه النماذج كلها موجودة حتى اليوم.

امــا الجابــري فقــد رأى ان اللغــة العربية هي اداة التفكير ووســيلة التعبير بالنســبة للعقل العربــي، وأذن تتحدد خصائصــه وتجلياته من هذه اللغة، اما محمد اركون فقد عدّ ان الاســلام بوصفــه ديناً فهو يحدد هويــة العقل عنده، لانه محــور تفكير هذا العقل الاول والاخير وســبب تبلوره في التأريخ.

ميز لالندLalande بين معنيين للعقل: العقل المكوِن (بكســر الــواو) والعقل المكــوَن (بفتح الواو). أما الأول فالمقصود به الفكر الشــخصي أو النشــاط الذهني الذي يقــوم به كل مفكر؛ فيما يشــير الثاني الى مجموع المعارف الســائدة في عصــر مــن العصور. واشــار الــى نوعين من الادراك ونوع ثالث يستند الى الاخيرين :

- مرحلة الادراك الحسي perception.

- مرحلــة الادراك العقلي او مرحلة تأســيس المفاهيم Conception.

اما بحث **أ.م. د. رضا الموســوي الموسوم (هوية النوع الاجتماعي وخطاب الشــخصية المقهورة)(دراســة لغوية اجتماعية في بعض الترانيمــات التراثية للمــرأه العراقية)** تناول فيه كيف حافظت الأجيــال على ثراثها وتناقلته عبــر العصور بأمانة وإخــلاص وكانت ترانيم الامهــات من بين تلك الموروثات الأصيلة التي شــاع تداولها في بقاع الأرض كلها، مع وجود بعض الاختلافات في الشــكل العــام واتفاق في المضمــون. هــذه الترنيمات هي ســجل مفتوح لحالــة المــرأة النفســية، والوضــع الاجتماعي والعائلي الذي تعيشه في تلك اللحظة التي كانت تترنم فيها، فبعض هذه الترنيمات يحمل الهموم التــي تعرضــت اليها, من مصاعــب حياتية أو عائلية، وبعض هذه الترانيم تحمل بوحا حزينا، تشكو نفيها من زوج متسلط فرض عليها كنوع مــن الاســقاط دور منتجــة الابنــاء والضحيــة المقهــورة أو من زمان جائــر أو من غياب اب او أُم او اخ...

تحـاول هذه المـرأة أن تجعل من ترنيماتها نصاً ومسـاحة مليئـة بالتحول والإيحـاء، فهي توجه خطابها نحو آخر من دون أن تنتظر جواباً حتـى لو لم يصادفها إلا الصمت، كونها تفترض وجود مستمع في ذاكرتها، فخطابها الملفوظ هذا، يمكنها من الدخول إلى النظام الدال للاشعور عبر النظام الدال للغة من خلال خطاب النفس، واللغة بوصفها نظاماً دالاً تتكـون في النفس المتكلمة؛ فإنها تحدد أسسها التي يمكن للخطاب أن يتناولها من خـلال صيغة لاشـعور النفـس هو(خطاب للآخر). والعلاقة بين النفس ولغتها تفتح منظورا ًلتمثيل آلية الكشف عن هذا الخطاب.

- فـي هـذه الورقـة قـدم الباحـث وبمنهج وصفـي تحليلـي نمـاذج مـن خطـاب للمـرأة العراقيـة فـي ترنيمـات تراثية مختـارة تظهر هوية هذا النوع الاجتماعي وقهرها الاجتماعي والنفسـي وانكسـار لغة خطابها تبعاً لمعطيات التنشـئة الاجتماعية التي نمطتها على الرضوخ والاذعـان وسـلبتها ارادة القـرار وزودتهـا بشـخصية منقـادة نادبـة تلجأ في سـلوكها الى استعمال وسائل دفاعية موظفة اللاوعي لتهرب من قلق الوجود وممارسـات القهر الاجتماعي المفروضة عليها اغلب الاحيان.

جاء بحث بعنوان **-اللغة رؤية سوسـيو-أنثروبولوجية للـــ أ.د ناهدة عبد الكريم حافظ من جامعة بغداد / كلية الآداب** متناولا دراسـة اللغـة وكيف كانت مقتصرة علـى أولئك الذين اهتمـوا بتراكيبهـا ونحوها وصرفهـا ونظامها وتاريخهـا. أي أن الاهتمام أنصـب على اللغة الرسـمية بالدرجـة الأولى و لقد تنـاول البحث موضوعات متداخلة على نحو من الأيجاز :

- إذ بـدأ بعرض لبعض المفاهيم الأساسـية مثل اللغة، ووظائفها وخصائصها.

- الرؤية السوسيو – أنثروبولوجية للغة.

- اللغة والتواصل.

وقد ناقشت الباحثة في سياق البحث العلاقة بين علم اجتماع اللغة وعلم اللغة الاجتماعي وبينهما وبين اللغـة، وكذلك علاقتهمـا بالانثروبولوجيا ففي اعتقادها أن هناك حاجة الى :

- مرجعية سوسيو - أنثروبولوجية مشتركة لقضايـا اللغـة مـن حيـث علاقتهمـا بالمجتمع والثقافة.

- دراسـات ميدانيـة تتنـاول قضايـا محددة برؤية ميكروبية.

- دراسـات مقارنـة، بيـن الجماعـات والمجتمعات المحلية العربية تحديداً.

- هناك مؤشـرات تراثية مهمـة حول اللغة ينبغـي أعادة قـراءة تفاصيلها مـن خلال رؤية معاصرة.

- تشـجيع طلبـة الدراسـات علـى أجـراء دراسات في علم اجتماع اللغة.

وعرّفـت الباحثـة اللغـة هـل هـي وسـيلة الاتصـال المحكية أم هي التراكيب النحوية؟ هل للغة علم خاص بها، أم أن حقولاً عديدة تتجاذبها بحيـث يصبح علم اللغة علمـاً مركباً تتداخل فيه حقـول الاجتماع والأنثروبولوجيـا وعلم النفس والبيولوجي فضلاً على حقـول الأدب والثقافة، بل والتاريخ والجغرافيا(*).

ففـي قواميس علم الاجتماع تجد : علم اللغة الاجتماعيـة Sociolinguistics كما تجد علم الاجتمـاع اللغوي كمـا تجد علم اجتمـاع اللغة Sociology of Language كمـا تجد اللغة الاجتماعيـة Social Language. فـإن للغة عموماً عدة خصائص أساسية هي:

أ – أن اللغـة رمزية بصورة اعتباطية فهي

تحدث علاقة ما بين رمز ما وما يدل عليه.

ب – أن للغة بناء أي أنها تنطوي على ترتيبات ورموز منمطه.

ج – أن لبناء اللغة مستويات متعددة وبالتالي يمكن تحليلها على أكثر من مستوى واحد فمثلاً في الأصوات وفي وحدات المعاني وفي الكلمات والعبارات.

د – أنها توليدية أنتاجية أي أن بأمكان مستعملي اللغة أنتاج نطق جديد بل أن احتمالات أبداع نطق جديد هو عملياً بلا حدود.

هـ - أنها تواصلية أي أنها تتيح لكل فرد أن يتواصل مع أفراد آخرين ممن يشاركهم لغتهم.

و – أنها دينامية وتتطور باستمرار.

وتناولت الباحثة الرؤية السوسيو – أنثروبولوجية للغة اذ يرى كثيرون أن الانثروبولوجيا قد تكونت في ضمن صلة ضيقة مع شقيقها علم الاجتماع.

ويذكر الدكتور حسين فهيم : أن ما يدرجه الأمريكيون تحت عبارة (الانثروبولوجيا الثقافية) يصطلح الفرنسيون على الإشارة أليه بالاثنولوجيا أو الأتنوغرافيا في بعض الأحيان وهم يدرسونها تحت مظلة علم الاجتماع أما الإنجليز فقد أختاروا تسمية أخرى هي : الانثروبولوجيا الاجتماعية.

فاللغة في الانثروبولوجيا لا تنفصل عن الثقافة. فكل لغة تعبر عن نظرة مجتمع ما وعن تصور خاص لهذا المجتمع الذي يتكلم أفراده بها بمعنى أنها تعبر وتعكس ذهنيته وتحدد ثقافته وشخصيته.

وفي الختام خرجت الندوة بتوصيات متعددة منها :

١. ضرورة البحث في علم اللغة الاجتماعي كونه من العلوم الحديثة ثنائية الجوانب وتقديم الدراسات والبحوث وتاليف الكتب عنه.

٢. ضرورة البحث في موضوع علم اللغة الاجتماعي ونماذج لغوية من التراث العراقي.

٣. اهمية البحث وتقديم الدراسات في موضوع (التأسيس لمدرسة علم اللغة الاجتماعي البغدادية).

٤. تنشيط حركة الترجمة الى اللغات الاجنبية.

٥. تفعيل دور المرأة العراقية في تثقيف المجتمع.

وجاءت مداخلات وتعقيبات الاساتذة الحضور التي ساعدت في اغناء الندوة وكان لها تاثير كبير في ابداء الاراء والافكار المرتبطة بموضوع الندوة وطالبت بأقامة الندوات حول هذا الموضوع لما فيه من تعقيدات وتفرعات شائكة وجعل هذه الندوة أرضية لها ومحاولة فهم الاساسيات لعلم اللغة الاجتماعي والمفردات اللغوية من خلال المجتمع.

وسنستعرض في هذا العدد بحثين من بحوث هذه الندوة وذلك لتطابقها مع شروط النشر في مجلة دراسات اجتماعية وهم كلاًمن:

- أ.د. ناهدة عبد الكريم حافظ ببحثها الموسوم:- (اللغة - رؤية سوسيو - انثروبولوجيا).

- أ.م.د. غني ناصر حسين ببحثه الموسوم:- (الدلالات الاجتماعية للتنوع اللغوي)

(*) في المعاجم يمكن للمرء أن يجد: علم اللغة الجغرافي وعلم اللغة التاريخي وعلم اللغة الوصفي وعلم اللغة النظري وعلم دراسة اللهجات. وعلم النفس اللغوي والانثروبولوجيا اللغوية.

اللغة .. رؤية سوسيو – أنثروبولوجية

أ.د ناهدة عبد الكريم حافظ(*)

«إن غلبة اللغة بغلبة أهلها وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم».

عبد الرحمن ابن خلدون

ملخص البحث:

ليس فيما انتجه السوسيولوجيون في العراق مادة مهمة يمكن أن تصنف في حقل علم الاجتماع اللغوي. ويبدو أن دراسة اللغة كانت مقتصرة على أولئك الذين اهتموا بتراكيبها ونحوها وصرفها ونظامها وتاريخها. أي أن الاهتمام أنصب في اللغة الرسمية بالدرجة الأولى غير أننا من خلال صفحات البحث السابقة نرجو أن نكون قد نجحنا في استطلاع أهمية علم الاجتماع اللغوي وعلم الانثروبولوجيا اللغوي.

لقد تناول البحث موضوعات متداخلة على نحو من الأيجاز :

- إذ بدأ بعرض لبعض المفاهيم الأساسية مثل اللغة، ووظائفها وخصائصها.

- الرؤية السوسيو – أنثروبولوجية للغة.

اللغة والتواصل.

وقد ناقشنا في سياق البحث العلاقة بين علم اجتماع اللغة وعلم اللغة الاجتماعي وبينهما وبين اللغة، وكذلك علاقتهما بالانثروبولوجيا، ويبدو حتى الآن أن علم الاجتماع اللغوي مازال يحتاج كثيراً من الجهد لكي تتضح حدوده، وأدواته، وأطره المرجعية. وفي اعتقادنا أن هناك حاجة الى :

- مرجعية سوسيو - أنثروبولوجية مشتركة لقضايا اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع والثقافة.

- دراسات ميدانية تتناول قضايا محددة برؤية ميكروية.

- دراسات مقارنة، وتحديداً بين الجماعات والمجتمعات المحلية العربية.

(*) جامعة بغداد : كلية الآداب

- هناك مؤشرات تراثية مهمة حول اللغة ينبغي أعادة قراءة تفاصيلها من خلال رؤية معاصرة.

- تشجيع طلبة الدراسات على أجراء دراسات في علم اجتماع اللغة.

المقدمة

ربما كان المرحوم الدكتور علي الوردي أول عالم اجتماع عراقي تصدى لدراسة اللغة – العربية تحديداً – في كتابه الشهير (أسطورة الأدب الرفيع) مؤكداً فيه قضايا خطيرة لعل من مقدمتها ما أسماه مشكلة النحو العربي بوصفه متعباً وغير مفيد (المقالة الرابعة عشرة في الكتاب المذكور) أي أن الوردي تحدث عما يسمى في علوم اللغة اليوم بأسم : اللغة الرسمية. وهو في ذلك يذكرنا بما أشار إليه (دانتي) في (الكوميديا الإلهية – ١٣٠٦) حين قال (لدينا كلام ثانوي آخر سماه الرومان النحو ... إن تعلمه وإتقانه يتطلبان قدراً كبيراً من الوقت والدراسة الجادة ... أننا ندعو للكلام العامي ... أي اللغة العامية لأنها الأنبل ولأنها اللغة الأولى التي استخدمت من قبل الجنس البشري).

بعد الوردي لا نجد دراسات في علم اجتماع اللغة. وحتى فيما نشر حول الموضوع بل نجد غلبة الأدبيات الأنثروبولوجية في حين شُغل اللغويون بالتراكيب والنظم اللغوية. وفي اعتقادنا، وفي ضوء الرؤية المرجعية لهذه الدراسة الموجزة، أن علم اللغة، هو علم تركيبي يضم فروعاً عديدة، فالإنسان بعدّه ظاهرة لغوية هو ليس (أبن البايولوجيا الموروثة)، صحيح أنها تهيىء الأمكان إلا أن المجتمع هو الذي يحول الأمكان الذي يميز الحنجرة والحبال الصوتية الى فعل وبالتالي فإن اللغة هي بنت المجتمع.

في هذه الدراسة، وجدنا أن من المفيد أن نمر بثلاثة مجالات : أولها حوارات المفاهيم. وهي الشواخص، أو النوافذ العقلية والإدراكية للغة. وثانيها اللغة والثقافة من دون الدخول في جدل مَنْ يسبق مَنْ. وثالثها: الرؤية السوسيو – أنثروبولوجية للغة. مؤكدين أن هذه الدراسة استطلاعية تسعى الى تقديم صورة عن اللغة كونها ظاهرة اجتماعية من خلال رؤية سوسيو – أنثروبولوجية.

اولاً : حوارات المفاهيم

من يدرس اللغة ؟ بأي أدروات ؟ وكيف ؟ بل ما هو المقصود باللغة هل هي وسيلة الاتصال المحكية أم هي التراكيب النحوية، أم هي الرموز ذات الصلة بالأشياء والعلاقات المتداولة في حياتنا اليومية ؟ هل للغة علم خاص بها، أم أن حقولاً عديدة تنجاذبها بحيث يصبح علم اللغة علماً مركباً تتداخل فيه حقول الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس والبايولوجي فضلاً عن حقول الأدب والثقافة، بل والتاريخ والجغرافيا[1].

في قواميس علم الاجتماع تجد : علم اللغة الاجتماعية Sociolinguistics كما تجد علم الاجتماع اللغوي كما تجد علم اجتماع اللغة Sociology of Language كما تجد اللغة الاجتماعية Social Language. وكل هذه المجالات متداخلة، تشكل رؤية متعددة الأوجه للغة كظاهرة اجتماعية.

١ ــ اللغة:

اللغة رمــوز صوتية أو حركية، أو حروف تتشــكل لتؤلف معاني وتثير تصــورات. وهي وعاء الحضارة ووسـيلة نقلهــا عبر الزمن من جيــل الى آخــر، وبالتالــي فهي قاعــدة الهوية الاجتماعيــة لأي جماعــة أنســانية. يقــال إن الأنسان اكتسب اللغة قبل حوالي (١٠٠,٠٠٠) ســنة، وبعــد ذلك، ومــع تطور الزمــن أعطت اللغة للإنســان تمييزا من الحيوانات فهناك دليل على أن مناطق معينة في الدماغ الإنســان مهيأة لاســتعمال اللغة ويسيطر نصف الدماغ الأيسر لدى نحو (٩٨٪) من الناس[٢].

يعنــي مصطلح اللغة نظام التواصل اللفظي الفريد الذي يوظفه البشر ويتسم بكونه نظاماً ذا درجــة عالية من التخصص والتطور المســتقل كما يتســم باســلوب معقــد في اســتخدام الرمز وبطبيعته التحكمية (التواضعية). وقد فرق دي سوسير بين اللغة والكلام. فاللغة تعني مجموعة من القواعد وأشكال التلفظ الممكنة التي تخضع لهذه القواعد أما الكلام فيعني مجموعة أشــكال التلفظ أو الســلوك اللغوي التي يمكن ملاحظتها فعــلاً. وقد اســتخدمت هــذه التفرقــة أحياناً في دراسة الثقافة[٣].

لقــد نظر دي سوســير الــى اللغــة بصفتها مؤسســة اجتماعيــة تمثل نســقاً مــن العلامات يعبــر عما للناس مــن أفكار وهذا النســق تبنته الســيميولوجيا (وهي العلم الذي يعني بأنســاق العلامــات كلهــا) وهي علم ينزع الى دراســة حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية. إن دروس فرديناند دي سوسير هي لحظة معرفية تأسيسية مهمة[٤].

إن الفهم الموضوعي والعلمي للغة يصعب أن يتحقــق خارج دائرة علم الاجتماع ذلك لأنها ظاهــرة اجتماعية لا توجد وتســتمر في الحياة إلا بوجــود فردين في الأقل يعرفــان ويتكلمان تلــك اللغة كذلك يتعــذر وجود حقيقي ذي معنى لمجموعات بشرية صغيرة أو كبيرة بدون رباط لغوي ييســر التواصل والتفاعل الاجتماعي بين فئاتها المختلفة[٥].

وبالرغــم مــن أننــا نلجأ الــى التواصل من خــلال الاشــارات غيــر الشــفوية في ســلوكنا لأعطــاء معنــى لتصرفاتنا أو لتفســير المعاني التي ينطوي عليها ســلوك الآخرين تجاهنا فإن الجانب الأكبر من تفاعلنا إنما يجري من خلال الــكلام أي التبادل الغرضي للحديث في ســياق غير رســمي مع الآخرين وقد استقر الرأي لدى علمــاء الاجتمــاع من زمن بعيد علــى أن اللغة تمثل محوراً جوهرياً للحياة الاجتماعية[٦]. ومن الجديــر بالذكر إن مدرســة التفاعل الرمزي قد أعطت أهمية كبيرة للتعبير عن النفس من خلال الرموز والإيماءات.

اللغة أذن نســق من الرمــوز التي تدل على أشــياء وأفعــال وأفــكار وهــي جــزء مهم من الحضارة لأن التعاون الاجتماعي يصبح صعباً بدون لغة. كما أنها وثيقة الصلة بالبيئة الطبيعية وتعكس السمات الأساسية لها فالشعب المرتحل الذي ينتقل فــي الصحارى ويعتمد في اقتصاره علــى رعي حيوان معين تكثــر في لغته الألفاظ والتراكيــب التي تدور حول الصحراء والرعي وكذا الأمر للشــعوب التي تعيش على الزراعة والصيــد[٧]. ولعلنا لا نبتعد كثيراً إذا اســتذكرنا الشــعر العــرب الجاهلي إذ ســنجد فيــه كثيراً مــن الكلمات والتعابيــر ذات الصلة بالصحراء والفروســية، ونلاحظ أن ذلك الشــعر تغير في

المراحل التالية حيث الغنى والترف والجواري فصار يصف الملوك والأمراء ويتوسع في استعراض صور حياتهم.

أن اللغة – بعدّها مجموعة رموز للتفاهم – وجدت مع الأنسان ومن خلالها وثق خبراته الأولى، بل أن اللغة، وهي رموز للتواصل والتفاهم، مكنت الإنسان من أن يميز نفسه من غيره من المخلوقات وأن يتعرف عالمه ويحدث فيه من التغيير ما يمكنه من مواصلة العيش والتطور.

٢ – وظائف اللغة :

القرآن الكريم حفظ اللغة العربية. واللغة العربية هي المعلم الحضاري البارز في الهوية العربية. ويرى علماء عديدون مثل سماتس : أن اللغة ولدت الهوية على النحو التالي : أن اللغة تجرد عالم التجربة الى كلمات والالتقاء باللغة ويجعلنا نتعالى عن التجربة الآنية البسيطة والانغماس في تيار التجربة وهكذا يمكننا تشكيل تصور الذات بدلاً من أن نكون مجرد تصور[٨]. وهذا يعني أن ثمة علاقة قوية بين اللغة وبين الذاكرة الجمعية التي تستوعب تجارب الجماعة. ولاشك من أن هذه التجارب لا تنفصل عن ثقافة الجماعة وبالتالي فإن اللغة بقدر ما تجرد التجربة الفردية وتحولها الى ذاكرة جمعية فأنها أيضاً تحمي هوية الجماعة وتميزها من (هوية الآخر) ولذلك يشهد عصرنا صراعات حقيقية للحفاظ على لغة الجماعة في أطار ما يسمى بالتعددية واحترام الحقوق الثقافية. وبالمقابل أصبحت اللغة أحدى أدوات الغزو الثقافي.

وقد عرف اللغويون والفلاسفة الغايات الأساسية للغة تقليدياً من خلال أحد البعدين الآتيين :

- التواصل مع الآخر إذ يستحيل على البشر أن يعيشوا في غزلة[٩].

- تمثل Representation الكون لأنفسنا في عقولنا أي تعلم تصنيف الأشياء باستخدام الكلمات التي توفرها لنا لغتنا.

يقول سقراط في محاورة كراتيلوس لأفلاطون إن غاية الكلمات تمييز الأشياء بعضها من بعض وتلقين بعضنا بعضاً هذه الأشياء. وتمييز الأشياء من بعضها يقصد به التمثل أما تلقين أحدنا الآخر هذه الأشياء فيعني التواصل حيث يعرف ما ينقل عن طريق المصادفة بالتمثل. ومن قبل الفين وثلاثمئة عام واللغويون والفلاسفة متمسكون بالرؤية نفسها فالتواصل يعتبر أمراً مسلماً به على نطاق واسع وأفترض العلماء أن العمل المهم الذي يجب الاضطلاع به في شأن اللغة هو فهم وظيفتها بعدّها نظاماً تمثلياً. غير أن علماء آخرين يرون استحالة فصل التمثل من التواصل[١٠] غير أن ذلك كله لا ينبغي أيضاً فالجانب أو الصفة الفردية للغة ففي سبيل المثال قام فروريد في دراسته للأعراض المرضية النفسية التي تظهر في حياتنا اليومية بتحليل العديد من الأمثلة عن زلات اللسان فهو يرى أن الأخطاء التي يقع فيها المرء خلال الحديث مثل إساءة النطق أو تحريف الكلمات أو التأتأة ليست أحداثاً عضوية أو عرضية على الأطلاق بل أنها تعبر عن مشاعر ومواقف خفية تكمن في أعماق النفس أزاء ذلك الشخص أو أمر ما[١١]. كذلك فإن للغة علاقة بالطبقات فهي أحدى أدوات تمييزها من غيرها ولعلنا في خضم صراعات عصرنا

ندرك حقيقة أن اللغة سواء من حيث علاقتها بالقومية أم الدين أم الطائفة، يقول غيرتز أن السخط الاقتصادي أو الطبقي أو الفكري يهدد بالثورة لكن السخط المستند الى العرق أو اللغة أو الثقافة يهدد بالانقسام أو المناداة بتوحيد المناطق التي يتكلم سكانها اللغة نفسها أم الأندماج أي إعادة رسم حدود الدولة وإدخال تعريف جديد لمجالها[١٢].

لقد أصبحت اللغة (حقاً) معترفاً به الجماعات الأثنية والدينية كلها والتي تؤلف أو تكون مجتمعاً معيناً ففي العراق مثلاً اعترف الدستور بحق الأكراد والتركمان في أن يستخدموا لغاتهم الوطنية. ويلاحظ أن أحد مؤشرات تحديد حدود ما يسمى بالمناطق المتنازع عليها هو لغة السكان ولذلك يزداد الأمر صعوبة في مناطق مثل كركوك حيث يتكلم الفرد اللغات العربية والكردية والتركمانية الى حد يصعب تمييزه أثنياً من خلال اللغة المحكية. وهكذا تصبح وظيفة اللغة سياسية تتلخص ليس في حفظ الهوية فقط بل وفي تحديد معالم سيادة الجماعة على أرضها أو أقليمها. وكان بيير بورديو قد أشار الى العلاقة بين طبيعة الهويات الإقليمية أو الأثنية من حيث علاقاتها باللغة. اذ أن أحدى الوظائف المهمة جداً للغة هي إعلانها باستمرار للمجتمع عن المكان السايكلولوجي الذي يشغل أعضاؤه كلهم[١٣].

أن من المهم ونحن نتكلم على وظائف اللغة أن نلاحظ حقيقة أنها مثل كائن حي يتعرض للتغيير ، توسعاً ، او انكماشاً وربما موتاً ، فهناك كثير من اللغات أندثرت ولم يعد لها وجود على صعيد التوظيف اليومي لغات مثل السومرية واليونانية القديمة والهيروغليفية مع أننا قد نتلمس لبعضها وجوداً في هذه الكلمة أو تلك. اللغة بنت الزمان والمكان منهما تأخذ مظاهرها التركيبية منطوقة أو مكتوبة ومنها تأخذ معانيها، غير أنها في تحولاتها كلها لا يمكن أن تفهم خارج نطاق الفعل الاجتماعي.

ثانياً : خصائص اللغة

مع أن اللغة (كائن) متغير، ومع أن هناك لغة بسيطة ذات دلالات مباشرة مقابل لغة ذات عمق فلسفي معقد، فإن للغة عدة خصائص أساسية هي :

أ – أن اللغة رمزية بصورة اعتباطية فهي تحدث علاقة ما بين رمز ما وما يدل عليه.

ب – أن للغة بناء أي أنها تنطوي على ترتيبات ورموز منمطة.

ج – أن لبناء اللغة مستويات متعددة وبالتالي يمكن تحليلها الى أكثر من مستوى فمثلاً في الأصوات وفي وحدات المعاني وفي الكلمات والعبارات.

د – أنها توليدية إنتاجية أي أن بأمكان متكلم اللغة أنتاج نطق جديد بل أن احتمالات أبداع نطق جديد هو عملياً بلا حدود.

هـ - أنها تواصلية أي أنها تتيح لكل فرد أن يتواصل مع أفراد آخرين يشاركهم لغتهم.

و – أنها دينامية وتتطور باستمرار[١٤].

وبقدر ما يمكن أن تتسم لغة جماعة ما بعمومية التواصل والفهم فأنها أيضاً تبدو محلية محدودة الانتشار حين تقارن مفرداتها – المحكية خصوصاً – بين عدة مجتمعات محلية فانّ لغة أهل الموصل مثلاً لا تتطابق مع لغة أهل ميسان

مـع أنهما ينتميان الى لغة عراقية واحدة. ولذلك قد يميز البعض اللغة من اللهجة. والأخيرة هي صيغـة من لغة معينة خاصة بجماعة اجتماعية أو محليـة معينة أو بشـريحة معينة من الأفراد وغالبـاً يقتصـر هـذا المصطلح علـى الصور المختلفـة عـن اللغة الفصحـى أو المكتوبة هذا على الرغم من أن تلك اللغة الرسمية قد تعد هي نفسها لهجة أخرى خاصة بطبقة وسطى متعلمة اذ أن الحـدود مـا بين ما يعد لغة مسـتقلة وبين ما يجب تصنيفه على أنه لهجة من اللغة نفسـها غالبـاً ما تكون غير واضحة لأنه التمييز بينهما أمر تعسفي(١٥).

إن أهمية دراسـة اللهجة Dialect تبلورت فيما سـمي بعلم اللهجـات Dialectology أو بجغرافيـا اللهجـات Dialect Geography. واللهجـة مـن وجهـة النظـر الأنثروبولوجيـا هـي اختلاف محلـي أو طبقي فـي اللغة وهي تختلف عـن اللغـة الأم بالتركيـب والمفردات والمصطلحات وطريقـة النطق ولكن ليس الى الدرجة التي يمكن أن تعد فيها لغة قائمة بنفسها ... ومن صفات اللهجة أنها ترتبط دائماً بمنطقة جغرافيـة كما يشـير الدكتور شـاكر مصطفى سـليم. ويرجـع إنتشـار مصطلـح اللهجـة في المعاجـم والقواميس الى العـام ١٨٨٧ على يد كل من سليم كساب وجرجس همام في معجمهم (الكنـوز الأبريزيـة في متـن اللغتيـن العربية والإنجليزية)(١٦).

اللهجة هي الوجه الشعبي المتداول، البسيط والمفهـوم الـذي لا يحتـاج حين يسـتخدم الى دراسـة أو تخصص أما اللغة نفسها فهي الوجه الرسـمي المعقـد بتراكيبه ونظمـه. اللهجة لغة الحياة اليومية فيما اللغة أداة المكاتب والدواوين.

من جانب آخر فإننا لا نتكلم بالطريقة عينها فـي حي شـعبي أو في أروقة أحـدى المدارس الكبـرى فالتعبيـر اللسـاني يختلـف بحسـب الأوسـاط الاجتماعية. في أواسط الستينيات قام وليم لابوف بدراسة طريقة تعبير الشبان السود في حي هارلم وقد أكتشـف أن اللغة الإنجليزية التـي يتكلم بها هؤلاء المراهقون مع ما فيها من التواءات قواعدية غير صحيحة لا يمكن أن تعد أنحرافاً أو أفقاراً للغـة الإنجليزية (الصحيحة) فالاختلافـات المدروسـة كانت نسـقية وسـط الجماعـة ومتماسـكة فيما بينها وشـكلت لغتهم منطقـاً خاصاً حتى لو لم تكن تتطابق مع قانون اللغـة الصحيحة. أن أحد أبرز أفكار أثنوغرافيا التواصـل هي (كفايـة التواصـل) والتي تقول أنـه لابـد من دراسـة وقائـع اللغة في سـياقها الطبيعي(١٧).

إن تعـدد جوانب مفهوم اللغة يسـوّغ وجود أكثر من حقـل علمي يُعنى بدراسـتها . فالقول إنهـا ظاهـرة اجتماعية لا يفصلهـا عن قضايا الدماغ والحنجرة والحبال الصوتية فضلاً على الجوانب النفسـية والأثنية وغيرها. والواقع أن علوم الإنسان والمجتمع نفسها، مع تعددها تظل في حالة تداخل معقد، ويظل التفسـير الأحادي لـكل منها قاصراً إذا لم يسـتفد من التفسـيرات الأخرى ليشـكل الكل ما يسـمى بالمدخل متعدد الرؤى.

ثالثاً : الرؤية السوسيو – أنثروبولوجية للغة

يـرى كثيرون أن الانثروبولوجيا قد تكونت في ضمن صلة ضيقة مع شقيقها علم الاجتماع.

ويذكر الدكتور حسـين فهيم : أن ما يدرجه

الأمريكيون تحت عبارة (الانثروبولوجيا الثقافية) يصطلح الفرنسيون على الإشارة إليه بالاثنولوجيا أو الأتنوغرافيا في بعض الأحيان وهم يدرسونها تحت مظلة علم الاجتماع أما الإنجليز فقد أختاروا تسمية أخرى هي: الانثروبولوجيا الاجتماعية ونظروا أليها بعدّها علماً قائماً بنفسه[١٨] قد يرادف مفهوم علم الاجتماع. ويختزل الدكتور شاكر مصطفى سليم ثراء التعريفات بالقول إن الانثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً[١٩].

ومع ذلك فثمة بعض الفروق.

فاللغة في الانثروبولوجيا لا تنفصل عن الثقافة. فكل لغة تعبر عن نظرة مجتمع ما وعن تصور خاص لهذا المجتمع الذي يتكلم أفراده بها بمعنى أنها تعبر وتعكس ذهنيته وتحدد ثقافته وشخصيته. إن هذا التصور أظهر أنه ذو قيمة وأهمية في مجال أنثروبولوجيويا وفلسفات اللغة غير أن النقد الذي يمكن أن نوجهه له هو أن اللغة قد تتغير لكن التصورات والذهنيات والثقافات تبقى ثابتة. والعكس صحيح أيضاً فقد تتغير الذهنيات والتصورات والرؤى وتبقى اللغة ثابتة ومن خلال هذا التصور درس عالمان أنثرولوجيان هما : كوهين وما يليت تلك العلاقات والتغيرات الموجودة في البنية اللغوية والاجتماعية والعلاقات فيما بينهما كالعلاقات الموجودة بين المفردات وعلم الأصوات والمجتمع[٢٠].

العلاقة بين علم اللغة والانثروبولوجيا أذن علاقة وثيقة على الرغم من تغير تلك العلاقة مع الوقت إذ أرتبطت الانثروبولوجيا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ارتباطاً وثيقاً بعلم اللغة المقارن حيث عنيت بدراسة اللغات الغريبة أو الدخيلة وحاولت تتبع علاقات التشابه والقربى بين اللغات وتطوراتها التاريخية والعائلات اللغوية[٢١] إن رؤية الانثروبولوجيا للغة لا تنفصل عن تصوراتها حول الثقافة. إذ ذهب رادكليف براون الى أن الثقافة هي العملية التي تنتقل بها اللغة والمعتقدات والأذواق والأفكار والمعرفة والمهارات ومختلف الاستعمالات من شخص الى شخص ومن جيل الى آخر.

وذهب كلود ليفي شتراوس الى أن الثقافة هي مجموعة أنساق رمزية تتصدرها اللغة وقواعد الزواج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين وهذه الإنسانّ كلها تهدف الى التعبير عن بعض أوجه الحقيقة الطبيعية والحقيقة الاجتماعية[٢٢]. إن حقل الانثروبولوجيا اللغوية هو خلاصة مدارس الانثروبولوجيا، بل هو السمة المميزة للانثروبولوجيا بوصفها علماً للثقافة. غير أن ذلك لم يكن بعيداً عن البناء الاجتماعي إذ طبقاً لما ذكره مالينوفسكي – الذي درس جزر تروبرياند وأسس تقاليد الأقامة الميدانية – أن اللغة هي مفتاح البناء الاجتماعي. وقد ركز مالينوفسكي في ثلاثة استعمالات للغة هي :

أ – دراسة تنظيم القبيلة وتشريح ثقافتها حيث تعطي المفردات اللغوية كثيراً من المعطيات الثابتة عن بعض الأمور مثل الزواج وتصنيف مصطلحات القرابة.

ب – ملاحظة السلوك الفعلي داخل الثقافة وتسجيل تفاصيل الحياة اليومية.

ج – تسجيل مصطلحات الأهالي والقضايا

الأثنوغرافيــة وخصائــص الفــن الســردي والفولكلور وقواعد السحر وغيرها.

وبذلــك يكــون مالينوفســكي من مؤسســي أثنوغرافيــا الــكلام. كمــا أنــه واضــع نظرية الســياق الثقافي أو موقف الســياق Situation Context. ومــن المعلــوم ان العــرب كانــوا سباقين لهذه الفكرة بقولهم (لكل مقام مقال) [٢٣]. الثقافة مــن زاوية أنثروبولوجية نســيج رمزي يصنعه الإنســان. وهي عند كليفــورد جيرتز : شــبكة رمزيــة مثل نســيج العنكبــوت يصنعها الإنســان ويعلــق بها. وقد طابــق جيرتز – كما فعل ليفي شــتراوس بين الثقافــي والرمزي بل أن الثقافة عنده – وكما ذكرنا – ليســت ســوى مجموعــة من الأنظمــة الرمزية نجــد بداخلها في الموضــع الأول : اللغة والعلاقات الزوجية والفن والعلم والدين) [٢٤].

حــدد حقــل أنثروبولوجيا اللغوية بدراســة لغات ولهجات الشعوب والقبائل البدائية ومقارنة بعضها ببعضها الآخر كما يذكر الدكتور شاكر مصطفى سليم[٢٥]. ولعل ذلك سيفسر عبارة ليفي شتراوس : أن السوســيولوجيا تصبح تخصصاً للأثنوغرافيا[٢٦]. التي تعني الدراســة الوصفية لأســلوب الحياة ومجموعــة التقاليــد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشــعبية لدى جماعــة معينة أو مجتمع معين خلال حقبة زمنية محــددة. أما الأثنولوجيا فتهتم بالدراســة التحليلية والمقارنة للمادة الأثنوغرافية[٢٧] إذ أن التداخل بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يبدو واضحاً جداً في مجال دراسة اللغة بوصفها ذات صلة حيوية بالثقافة فهي كما أشرنا وعاؤها كما أنها في الوقت نفســه أداة انتقالها – أي الثقافة – من جيل لآخر.

غير أننا سواء في الانثروبولوجيا أم في علم الاجتماع نواجه بعض الأشــكالات ففي الأولى هناك مــن يســتعمل مصطلــح الانثروبولوجيا اللغويــة Linguistic Anthrop. أو علم اللغة الاثنولوجي Ethnoliguistics أو من يستعمل Anthropological Linguistics. وفي علم الاجتماع نجد أيضاً هذا التعدد في المصطلحات إذ انّ هناك من يستعمل Social Linguistic أو Sociological Linguistics . وقــد درج بعــض الدارســين على اســتعمال المصطلحين الأخيرين كمترادفين. غيــر أن آخرين يفرقون على أســاس درجة الاهتمام أي في التركيز في الجانب اللغوي أو في الجانب الاجتماعي. ويعتقد آخــرون أن مصطلح علــم اللغة الاجتماعي هو أقرب الى اللغويين. أما علم اللغة الانثروبولوجي والانثروبولوجيا اللغوية فأنهما يســتعملان الآن كمترادفين في معنى دراســة التنوعات اللغوية واستعمالاتها من حيث علاقتها بالانماط الثقافية ومعتقــدات الإنســان بوجه عــام، إن هذا الفرع من العلوم اللغوية (بالمصطلحين المذكورين) يدرس : كيف يمكن للظواهر اللغوية أن تكشف عن هوية الفرد أو أن تنسبه الى دائرة اجتماعية دينيــة أو وظيفيــة أو قرابــة معينة كما تكشــف أيضــاً عــن ثقافته. أمــا علم اللغــة الاثنرلوجي فهو يُعنى بدراســة اللغة فــي علاقاتها بالبحوث الخاصــة بأنمــاط الســلالات البشــرية وأنماط ســلوكها. أن هذا العلــم الانثروبولوجي ينتظمه علم اللغة الاجتماعي على أساس أن هذا الأخير منســوب الى المجتمع[٢٨] وقد حاول هنرسن أن يميز بين علم اللغة الاجتماعي بوصفه دراســة للغــة في علاقتهــا بالمجتمع وبيــن علم اجتماع اللغة بوصفه دراسة المجتمع في علاقته باللغة. أي أن الأختــلاف بين العلميــن هو اختلاف في

محور الاهتمام ويستند ذلك الى الأهمية التي يوليها الدارس للغة أم للمجتمع والى مدى مهارته في تحليل البنية اللغوية أم الاجتماعية وهناك تطابق كبير بين العلمين.

ولذا فإن علم اجتماع اللغة الشامل Macro Sociology of Language – الذي يتناول علاقات المجتمع واللغة برمتها وهو ما يعد مجالاً مهماً للدراسة من منظور علم الاجتماع السياسي لأنه يثير قضايا مثل تعدد اللغات وأثره في النمو الاقتصادي وما يمكن أن تتبناه الحكومات من سياسات لغوية[٢٩].

إن علم الاجتماع والانثروبولوجيا يتبادلان كما كبيراً من الأفكار وإن كلا منهما أثرى مصادره النظرية والمنهجية بتلك التي يستعملها الآخر وبالتالي فإن تعريف اللغويات الاجتماعية يقترب اقتراباً وثيقاً من الدراسة الانثروبولوجية لاثنولوجيا الاتصال. فهو – أي اللغويات الاجتماعية – Sociolinguistics العلم الذي يدرس كيف ينقل كلام الشخص معلومات اجتماعية. وبهذا التعريف الضيق تدرس اللغويات الاجتماعية كيفية أرتباط المتغيرات اللغوية بالمتغيرات الاجتماعية – الاقتصادية. أما التعريف الأوسع لهذا العلم فيتضمن نظريات التفاعل الاجتماعي التي تفسر كيفية تأسيس الواقع الاجتماعي ونقله الى الآخرين من خلال هذا السلوك الاتصالي[٣٠].

ومع ذلك كله لا ينبغي أهمال الاختلاف في مسلك اللغويين بالمقارنة بعلماء الاجتماع. إن هذا الاختلاف يسير باتجاهين :

الاتجاه الأول :

يمكن أن يعد جزءاً من علم اللغة العام ويُعنى بدراسة تأثير العوامل لطبقات المجتمع في لغة هذه الطبقات. هذا الاتجاه يقع تحت مظلة علم اللغة العام ويتماشى مع مدارس (اللغوية الاجتماعية) ووظيفتها البحث في اللغة من منظور اجتماعي غير أن هناك من يؤكد وجود حدود بين علم اللغة وعلم اللغة الاجتماعي. فالأول ينحصر في اللغة وبنيتها وخواصها التركيبية بوصفها بناءً أو هيكلاً أو جهازاً منعزلاً عن صاحبه ومصدره دون التفات الى السياق الاجتماعي أو الثقافي. أما علماء الاجتماع فينظرون الى تلك القواعد والقوانين التي لها ارتباط بالمجتمع. أن هذه النظرة الفاصلة بين علم اللغة وعلم اللغة الاجتماعي هي نظرة المدرسة النبوية والأوربية منها بوجه خاص أي تلك التي حذت حذو بنيوية دي سوسير وثنائية تشومسكي الذي ركز في الجانب العقلي أو النفسي في دراسة اللغة من دون اهتمام بالجانب الاجتماعي.

الاتجاه الثاني :

هو ما يسلكه علماء الاجتماع. فعالم الاجتماع المهتم بالظاهرة اللغوية لا يدرس اللغة بنفسها أو لنفسها وأنما يأخذها على أنها مادة ثرية لها أهميتها في توضيح الظواهر الاجتماعية وتفسيرها بصورة أدق. والتحليل الاجتماعي للغة كان كما أشرنا موضع اهتمام الانثروبولوجيين الذين ينظرون الى اللغة بوصفها جزءاً لا يتجزأ من الثقافة. وبذلك استطاع الانثروبولوجيون أن يشيروا الى ظاهرتين مهمتين : الأولى هي اختلاف الدور الوظيفي للغة في المجموعات اللغوية المختلفة والأخرى هي في استعمال معايير لغوية متعددة في المجموعة الواحدة.

وباختصار فإن الفرقاء الثلاثة (اللغويين الاجتماعيين، والاجتماعيين اللغويين، والانثروبولوجيين اللغويين) يتفقون في نقطتين :

أ – هناك تطابق ملحوظ في فكرة التفاعل الدائم بين اللغة والمجتمع.

ب – هناك اهتمام بالكلام لا باللغة بالمعنى الذي أراده سوسير (ثنائية الكلام واللغة).

لكن الفرقاء الثلاثة يختلفون أيضاً في :

١ – درجة الاهتمام ومنطلق الدراسة، فاللغويون ينطلقون من اللغة. بينما ينطلق الانثروبولوجيون والاجتماعيون من حقولهما العلمية.

٢ – هناك اختلاف في منهج الدرس وطرائق التحليل[٣١].

أن المرجعية السوسير – أنثروبولوجية – أذن – متداخلة تضفي على اللغة ذاتها معنى يتجاوز بنيتها الشكلية وتراكيبها، لكي تحلل وتتعمق علاقتها بالمجتمع، ودورها التواصلي الثقافي.

رابعاً : اللغة والتواصل

تلتقي الانثروبولوجيا الثقافية وعلم الاجتماع عند تناولهما للغة في مفهوم الاتصال التواصل وهو عنصر أساسي في كافة جوانب الحياة الاجتماعية والنظم الثقافية وتصل أهمية الاتصال الى الحد الذي يجعله يعتبر الصيغة التي تلخص بناء الثقافة والتظيمات الاجتماعية. أن التواصل ما بين الأشخاص يكون بالكلام إذ هو وسيلته الفضلى ومن أوجه الاتصال أيضاً الاتصال غير اللغوي كالإيماءات والاشارات. وهناك الاتصال شبه اللغوي الذي يصاحب اللغة وينقل رسائل أضافية والذي يمثل محوراً من محاور الاهتمام في اللغويات الانثروبولوجية وفي أثنولوجيا الكلام في حين يدرس الاتصال غير اللفظي أو غير اللغوي في مجالات الانثروبولوجيا الرمزية[٣٢]. وفي مجال التفاعلية الرمزية فقد أهتم جوغمان مثلاً بتوثيق ما أسماه التعابير المخرجة of Expressions given وهي التعابير ذات الطابع المسرحي والقريني اللالفظي والتي من المحتمل أن لا تكون مقصودة سواء هذا الاتصال صمم عن قصد كان أم غير قصد. وطبقاً لجوفمان فأننا غالباً ما نعتمد على أفعال الناس أكثر من اعتمادنا على كلامهم فتعابير الوجه والأيماءات وسرعة ونوعية الأفعال ونوعها يمكن أن تعبر عن المشاعر بدقة أكثر من أمكانية تعبير السلوك اللفظي عنها ففي الوقت الذي يتكلم فيه الشخص فأنه يتصل في الوقت نفسه بطرائق غير لفظية[٣٣]. لقد اهتمت اللسانيات بمنطق اللغة الداخلي كما لو كانت نظاماً مغلقاً على نفسه بدل الاهتمام بأشكال التواصل في أطار نظرية التعبير والأبحاث في التفاعلات الشعبية وتحليل المحادثات اليومية. كما أن دراسة التواصلات غير الشفوية مثل الحركات والأيماءات بدأت في وقت متأخر.

لقد تطورت علمية التواصل مع الابتكارات العلمية والرقمية. وبذلك أجتاز التواصل بعدي الزمان والمكان إذا أتاح للناس التواصل (عبر البريد مثلاً) من دون أن يكونوا على علاقة مباشرة. لقد أشار علماء الاجتماع الى أن العلاقات والتواصل القائم على المواجهة يرتبط بما يسمى الجماعات الأولية التي تقوم

علاقاتها على المواجهة المباشرة – Face to – Face ومع اختراع الطباعة، والبريد، ثم الهاتف وصولاً الى المذياع والتلفاز وأخيراً شبكة التواصل الاجتماعي العنكبوتية أصبح التواصل يأخذ طابع الشبكة الكبيرة والمعقدة. نحن اليوم نعيش فيما يسمى مجتمع التواصل وهو تعبير ظهر في الثمانينيات ليحل محل (مجتمع الاستهلاك)، ثم ليأتي بعد مفهوم مجتمع المعلومة[٣٤].

تعد نظرية هابرماس في اللغة المعروفة باسم الفعل التواصلي بمثابة منطق جديد للعلوم الاجتماعية منطق يستند الى منجزات فلسفة اللغة لأن هابرماس يرى أن اللغة تمكننا من أحداث قطيعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي والفعل والممارسة .

يرى هابرماس أن من الضروري تحويل علم الاجتماع الى فرع من فروع علوم الاتصال وهو ما يجب أن يقوم على الفعل التواصلي فهو لا ينكر العوامل الاجتماعية التي تدخل أو تسهم أو تؤثر في النشاط الاجتماعي الإنساني كالأفعال الإداتية التي تحدثها التقنية إلا أنه يرى أن الفعل التواصلي يتميز بطابعه المحدد للعلاقات التواصلية التي لا يمكن بأي حال ردها أو اختزالها الى مجرد تبادل للمعلومات أو المعطيات بوساطة اللغة. إن الفعل التواصلي عند هابرماس لا يقوم على تبادل المعلومات في ضمن سياق أو ظروف اجتماعية معينة دائماً يقوم بفعل التأويل لما يحدث ويستطيع بلورة القواعد والآليات التي تسمح بالعيش الجماعي أو قيام الحياة الاجتماعية ولذا فأن الفعل التواصلي يسهم في بناء العالم الاجتماعي المعيش. اللغة ليست بمجرد نظام لغوي يخضع لبعض القواعد ولكنها في الأساس حوار وعلاقة مع الآخر[٣٥]. وقد اهتم هابرماس بالمعيشة كجانب من نظرية الفعل الاتصال ووضح أنه من خلال فعل التواصل يعمل المجتمع ويتطور بشكل فعلي وهذه العملية تنجز وتبنى من خلال معيشة الفاعلين[٣٦].

من جانب آخر فان التفاعلية الرمزية في علم الاجتماع اهتمت كثيراً بعملية الاتصال الناجمة عن الكلام المباشر أو عن التواصل غير الشفوي الذي يعتمد على الأيماءات وحركات الجسد. ويرى جدنز أنه ليس هناك إيماءات أو هيئات محددة لحركات الجسد يمكن عدّها خصائص مشتركة وعامة بين جل الناس إن لم يكن كلهم. وثمة اعتقاد بأن للجنس الذكر والأناث بعداً مهماً في تفاعلاتنا اليومية فالتفاعلات تتشكل بفعل السياق الاجتماعي الأوسع ومن هنا فإنه ليس من المستغرب أن نوعي التواصل الشفوي وغير الشفوي كليهما سيتم التعبير عنهما واستقبالهما بطرائق مختلفة ومتميزة بين الذكور والأناث. أن تعبيرات الوجه والإيماءات وحركات الجسد يمكن أن تعد رموزاً تؤدي وظائف اللغة بل هي لغة رمزية ، وقد تكون في مواقف معينة أكثر أهمية واشد تأثيراً من اللغة المحكية أو المكتوبة. وفي الأدبيات العربية الشعبية كثيراً من الكلام عن لغة العين ولغة الأصابع التي أصبحت اليوم بمثابة شعارات سياسية[٣٧].

طور بول أكمان ورفاقه نظاماً رمزيا لوصف حركة عضلات الوجه التي تعبر عن أحساس أو عن فكرة ما. وقد حاولوا بهذا الأسلوب أضفاء بعض الدقة على كثير

مـن الآراء وجهات النظـر المتناقضة المتعددة التفسـيرات اذ أن الباحثيـن لا يتفقـون بينهـم على تحديد المشـاعر وتصنيفهـا ومن المعلوم أن تشـارلز دارون الـذي وضع نظرية التطور الطبيعـي يرى أن أنماط التعبير عن المشـاعر متماثلـة عند جميـع الكائنات الحيـة كلها على الرغـم مـن أن بعـض الباحثين يخالفـون هذا الرأي. فالبحوث التي أجراها إكمان في أوساط جماعـات متعـددة وبيئات ثقافيـة مختلفة تميل الى تأكيد هذا الـرأي إذ أجرى إكمان وزملاؤه دراسة على جماعة معزولة في غينيا الجديدة لم يحـدث لأفرادها الاتصال مع أية جماعة خارج بيئتهم واسـتطاع أفراد هذه الجماعة أن يميزوا ويحـددوا تعبيـرات الوجه التي تدل على سـتة أنواع من المشـاعر وهي : السعادة – الحزن – الغضب – الاشمئزاز – الخوف – والدهشة. مع أن هذه التعبيرات عرضت على أفراد الجماعة المذكورة على شـكل صور التقطت لأفراد من جماعات أخـرى بعيدة عنهم. وقد فسـر إكمان ذلك بأن تعبيـرات الوجه هي نزعة غريزية أو فطرية. ولكن ربمـا تكون بعض تلك الحركات والأيماءات فطرية إلا أن أكثر أسـاليب التعبير بالحـركات تحددهـا الثقافـات والجماعـات. فالطريقة التي تتحرك فيها عضلات الوجه عند الابتسـام وطول مدة الابتسامة واتساعها تتنوع تنوعاً واسـعاً بين الثقافات هناك أيضاً حركات وألفـاظ منمطة ثقافياً مثل رفع اليد في السـلام، أو تحريـك الرأس بالأيجاب أو السـلب كما أن هنـاك ألفاظاً تضعها الثقافة في فئة (الممنوع أو العيب) ومنها ألفاظ الشتيمة.

أن للإيمـاءات والرمـوز غيـر اللفظيـة وحركات الجسـد وظيفتها المهمـة وخصوصاً فـي تواصل واتصـال أفراد من صنـف أو فئة معينة كالصم والبكم مثـلاً. فلو راقبنا مجموعة من هؤلاء سنجد أنهم يتواصلون فيما بينهم عن طريق حركات اليد والوجه مع بعض الأصوات أي أن هـذه الحركات هي عبارة عن (رسـالة) أو (خطـاب) فيه درجة عاليـة من الاتفاق على معانيها. أن الحـركات منمطة وتحظى معانيها بالاتفاق وتيسر بالتالي حياة أولئك في مجتمع قد لا يفهم أفراده كثيراً من تلك الحركات.

وهنـاك لغات يصنعهـا الناس لكـي تؤدي وظيفة في مجال معيـن. وبعض هذه الوظائف تواصليـة مثل (لغـة برايـل) للمكفوفين والتي تمكنهم من التواصل بعضهم مع بعضهم الآخر ومع مجتمعهم ومن ثم يمكن الحديث عن (لغات فرعيـة) يصنعهـا الناس لتجـاوز الضعف في قدراتهم اللغوية الاعتيادية.

إن مـن المسـتحيل تخيل مجتمـع ليس بين أفراده لغـة محكية أو حركية للتواصل والتفاهم إذ فـي حالة كهذه لابـد من أن نفترض أيضاً أن هـذا المجتمع بدون ثقافة. ولذلك يمكن القول إن الفهم الحـق للغة يكمن فـي وظيفتها الاتصالية فاللغة تقوم أساسـاً بنقل المعلومات بطريقة ما. أي أنها رسـالة بين مرسل ومسـتقبل والرسالة أمـا أن تكـون صوتاً من خلال الهواء (سـلكي أولاً سلكي) وأما كتابة بوساطة علامات مكتوبة فاللغـة علـى وفق هـذا هي صـورة من صور الاتصال[٣٨].

إن عبارة (لا سـويل) الشـهيرة توضح هذه المكانة للغة في عملية الاتصال والتواصل : من قال ؟ ماذا ؟ لمن ؟ بأي قناة ؟ بأي تأثير ؟

إن مفردة (ماذا) هي المضمون أو الرسـالة (اللغة – أياً كانت رموزنا).

إن كلمة اتصال تستلزم توافر عنصري التفكير والتفاهم بين المتكلم والسامع أو بين المرسل والمتلقي وهذا التداخل بين التفكير والتفاهم يستلزم ويفترض الاتفاق على (الأداة) أو (العلامة) ويزيد أتجاه في علمي الاجتماع والنفس مجموعة عناصر أخرى لاستكمال حدود العلاقة فيدخل علماء هذا الاتجاه دوافع الاتصال والى التفاهم التفكير ويشيرون الى الأغراض التي يتجه إليها الإنسان والتي يسعى الى تحقيقها عن طريق التفاهم والاتصال والتفكير فالإنسان يفكر قبل أن يتفاهم مع غيره وهو يفكر في أثناء أتصاله مع غيره ويفكر في أثناء اتصاله وفي أثناء تفاهمه كما يفكر بعد تفاهمه مع الآخر وهو بالتالي لا يفكر في فراغ وإنما يفكر بعلامات ورموز وهو لابد من يتفق مع غيره على أنواع العلامات والرموز حتى يتحقق التفاهم ويتم الاتصال[٣٩]. ومن هنا ندرك العلامة ما بين السيميولوجيا[٤٠] وبين اللغة. إذ طبقاً لسوسير فأن اللغة هي نسق من العلامات يعبر عما للأنسان من أفكار ... غير أن اللغة تبقى أهم الأنساق على الأطلاق. ويرى سوسير أن اللسانيات ليست سوى فصلاً أساسياً من فصول علم السيميولوجيا[٤١].

نحن نعيش في عالم من الرموز والعلامات وأهمها الرموز اللغوية التي من خلالها نتواصل ونتفاعل، يل ومن خلالها نفكر. وبذلك تصبح دراسة اللغة جزءاً من اهتمامات علم الاجتماع.

الخاتمة

ليس فيما انتجه السوسيولوجيون في العراق مادة مهمة يمكن أن تصنف في حقل علم الاجتماع اللغوي. ويبدو أن دراسة اللغة كانت مقتصرة على أولئك الذين اهتموا بتراكيبها ونحوها وصرفها ونظامها وتاريخها. أي أن الاهتمام أنصب في اللغة الرسمية بالدرجة الأولى غير أننا من خلال صفحات البحث السابقة نرجو أن نكون قد نجحنا في استطلاع أهمية علم الاجتماع اللغوي وعلم الانثروبولوجيا اللغوي.

لقد تناول البحث موضوعات متداخلة على نحو من الأيجاز :

- إذ بدأ بعرض لبعض المفاهيم الأساسية مثل اللغة، ووظائفها وخصائصها.
- الرؤية السوسيو – أنثروبولوجية للغة.
- اللغة والتواصل.

وقد ناقشنا في سياق البحث العلاقة بين علم اجتماع اللغة وعلم اللغة الاجتماعي وبينهما وبين اللغة، وكذلك علاقتهما بالانثروبولوجيا، ويبدو حتى الآن أن علم الاجتماع اللغوي مازال يحتاج كثيراً من الجهد لكي تتضح حدوده، وأدواته، وأطره المرجعية. وفي اعتقادنا أن هناك حاجة الى :

- مرجعية سوسيو - أنثروبولوجية مشتركة لقضايا اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع والثقافة.
- دراسات ميدانية تتناول قضايا محددة برؤية ميكروية.
- دراسات مقارنة، وتحديداً بين الجماعات والمجتمعات المحلية العربية.

- هنـاك مؤشـرات تراثية مهمة حـول اللغة ينبغي أعادة قراءة تفاصيلها من خلال رؤية معاصرة.
- تشجيع طلبة الدراسات على أجراء دراسات في علم اجتماع اللغة.

المصادر:

١. أبو النور حمدي، يورجين هابرماس، الأخلاق والتواصل، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٩.

٢. أرفنـج زايتلـن، النظريـة المعاصـرة في علم الاجتمـاع، ترجمـة : الدكتور محمـود عودة، الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٩.

٣. أروة محمد ربيع الخيري، علم النفس المعرفي، دمشق، دار أفكار، ٢٠١٢.

٤. أنتونـي غدنز، علـم الاجتمـاع، ترجمة: فايز الصيـاغ، بيروت، المنظمـة العربية للترجمة، ٢٠٠٥.

٥. جان فرنسـوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة : د. جورج كتوره، بيروت، المؤسسـة الجامعية للدراسات، ٢٠١١.

٦. جون جوزيف، اللغة والهوية – القومية – أثنية – دينية، ترجمة: د. عبد النور خراقي، الكويت، عام المعرفة، ٢٠٠٧.

٧. حافيـظ إسـماعيلي علـوي وآخرون، اللسـان العربـي وأشـكالية التلقـي، بيـروت، مركـز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧.

٨. داينـال برومبرغ، التعدد وتحديات الاختلاف، ترجمـة عمـر سـعيد الأيوبـي، بيـروت، دار الساقي، ١٩٩٧.

٩. رث والاس والسون وولف، في علم الاجتماع، ترجمة : د. محمد عبد الكريم الحوراني، عمان، مجدلاوي، ٢٠١٢.

١٠. الزهـرة إبراهيـم، الانثروبولوجيـا والانثروبولوجيـا الثقافيـة، دمشـق، النايـاء للدراسات، ٢٠٠٩، ص١٥.

١١. شـارلوت سـيمور، سـميث، موسـوعة علم الأنسـان، ترجمـة: عليـاء شـكري وآخرين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨.

١٢. شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٨١.

١٣. كمال بشـر، علـم اللغة الاجتماعـي، مدخل، القاهرة، دار غريب، بدون تاريخ.

١٤. محسن بو عزيزي، السيميولوجيا الاجتماعية، بيـروت، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، ٢٠١٠.

١٥. مصطفـى تيلويـن، مدخـل عـام مـن الانثروبولوجيا، بيروت، منشورات الاختلاف، ٢٠١١.

١٦. هـدس، علـم اللغـة الاجتماعيـة، ترجمة: د. محمـود عبـد الغني عياد، بغداد، دار الشـؤون الثقافية، ١٩٨٧.

١٧. يحيى حسـين زامل، الدلالات الثقافية للهجة العراقيـة، دراسـة أنثروبولوجيـة فـي مدينـة الصدر، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠١٤.

الهوامش

(١) في المعاجم يمكن للمرء أن يجد : علم اللغة الجغرافي وعلم اللغة التاريخي وعلم اللغة الوصفي وعلم اللغة النظري وعلم دراسـة اللهجات. وعلم النفس اللغوي والأنثروبولوجيا اللغوية.

(٢) د. أروة محمد ربيـع الخيري، علم النفس المعرفي، دمشق، دار أفكار، ٢٠١٢، ص٢٨٢ – ٢٨٣.

(٣) شـارلوت سيمور، سميث، موسـوعة علم الأنسان، ترجمة: علياء شـكري وآخريـن، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨، ص٥٨٨.

(٤) د. محسـن بو عزيزي، السـيميولوجيا الاجتماعية، بيروت، مركز دراسـات الوحـدة العربية، ٢٠١٠، ص٦١.

(٥) حافيظ إسـماعيلي علوي وآخرون، اللسـان العربي وأشـكالية التلقي، بيروت، مركز دراسـات الوحدة العربية، ٢٠٠٧، ص٤١.

(٦) أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ،

بيـروت، المنظمـة العربيـة للترجمـة، ٢٠٠٥، ص١٦٤.

(٧) د. شـاكر مصطفى سـليم، قاموس الأنثروبولوجيا، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٨١، ص٥٥١.

(٨) جـون جوزيف، اللغة والهويـة – القومية – أثنية – دينيـة، ترجمة: د. عبد النـور خراقي، الكويت، عام المعرفة، ٢٠٠٧، ص٣٠.

(٩) يمكـن القـول أن الإنسـان فـي مواقـف معينة كأن يكـون غريباً في جماعة لا يعرف لغتها (يبتكر) لغة لأيصال ما يريد وهو ينجح بقدر ما تكون أشاراته أو أصواته ذات صلة بالأشـياء التي يعرفها أو يدركها (الآخـر) أما إذا لـم يكن يدركها فإن تلـك اللغة تفقد قيمتها ووظيفتها.

(١٠) نفس المصدر، ص٣٥ – ٣٦.

(١١) غدنز، المصدر السابق، ص١٦٧ – ١٦٨.

(١٢) داينـال برومبـرغ، التعـدد وتحديـات الاختلاف، ترجمة عمر سـعيد الأيوبي، بيروت، دار السـاقي، ١٩٩٧، ص٥٠.

(١٣) جـون جوزيـف، اللغـة والهوية، مصدر سـابق، ص١٢٣.

(١٤) د. أروه محمد ربيع، مصدر سابق، ص٢٩٦.

(١٥) شـارلوت، سميث، موسوعة علم الإنسان، مصدر سابق، ص٥٨٩.

(١٦) يحيى حسين زامل، الدلالات الثقافية للهجة العراقية، دراسـة أنثروبولوجيـة فـي مدينـة الصدر، رسـالة ماجستير غير منشورة، ٢٠١٤، ص١٥ – ١٦.

(١٧) جـان فرنسـوا دورتيـه، معجم العلوم الإنسـانية، ترجمـة : د. جـورج كتـوره، بيـروت، المؤسسـة الجامعية للدراسات، ٢٠١١، ص٧٢٥.

(١٨) الزهـرة إبراهيم، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، دمشق، النايا‌ء للدراسات، ٢٠٠٩، ص١٥، ص١٩ – ٢٠.

(١٩) نفس المصدر، ص٢١.

(٢٠) مصطفـى تيلوين، مدخل عام من الانثروبولوجيا، بيروت، منشورات الاختلاف، ٢٠١١، ص٣٨.

(٢١) شارلوت، سميث، مصدر سابق، ص٥٢١ – ٥٢٢.

(٢٢) يحيى حسين زامل، مصدر سابق، ص١٠ – ١١.

(٢٣) نفس المصدر، ص٢٦.

(٢٤) د. محسـن بو عزيزي، السيميولوجيا الاجتماعية، بيروت، مركز دراسـات الوحـدة، ٢٠١٠، ص٧٤ – ٧٥.

(٢٥) سليم، مصدر سابق، ص٥٦.

(٢٦) الزهرة إبراهيم، مصدر سابق، ص٢٠.

(٢٧) د. حسـين فهيـم، قصـة الانثروبولوجيـا، مصدر سابق، ص١٤ – ١٥.

(٢٨) د. كمـال بشـر، علم اللغـة الاجتماعـي، مدخل، القاهرة، دار غريب، بدون تاريخ، ص٤٣ – ٤٤.

(٢٩) د. هـدس، علـم اللغـة الاجتماعيـة، ترجمـة: د. محمود عبد الغني عياد، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧، ص٢٢ – ٢٣.

(٣٠) شـارلوت، سـميث، مصـدر سـابق، ص٥١٦ – ص٥٥٨.

(٣١) كمال بشر، المصدر السابق، ص٤٨ وما بعدها.

(٣٢) سميث، مصدر سابق، ص٦٢.

(٣٣) أرفنـج زايتلـن، النظريـة المعاصـرة فـي علـم الاجتماع، ترجمة : الدكتور محمود عودة، الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٩، ص٣١٧.

(٣٤) جـان فرانسـوا دوريته، معجلم العلوم الإنسـانية، مصدر سابق، ص٢٨٠ – ٢٨١.

(٣٥) أبـو النـور حمدي، يورجيـن هابرماس، الأخلاق والتواصل، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٩، ص١٤٥ – ١٤٦.

(٣٦) رث والاس والسـون وولف، فـي علم الاجتماع، ترجمـة : د. محمـد عبد الكريـم الحوراني، عمان، مجدلاوي، ٢٠١٢، ص٢٩٣.

(٣٧) غرنـز، علم الاجتماع، مصدر السـابق، ص١٦٢ – ١٦٣.

(٣٨) حافيظ إسـماعيلي علوي، اللسان العربي وأشكالية التلقي، مصدر سابق، ص١٢٣.

(٣٩) المصدر السابق، ص١٢٤.

(٤٠) تعنـي السـيميولوجيا العلم الذي يعني بكل أنسـاق العلامات فالسـيميولوجيا كلمة مشـنقة من اليونانية Semeion وتعني (العلامة).

(٤١) د. محسن بوعزيزي، السـيميولوجيا الاجتماعية، مصدر سابق، ص٥٨.

The language
See socio – anthropological

Summary: Arabic

Not as produced by Alsosiologion in Iraq, an important substance that can be classed in the science field of linguistic meeting and it seems that the study of language was limited to those who were interested Petrakebha and the like and disbursed and its system and its history, which means that the focus has been on the official language in the first place, but we're through please pages discussed this that we have succeeded in poll aware of the importance of meeting the linguistic and linguistic anthropology.

Search eating overlapping themes in a manner of

brevity:Summary: Arabic

- **First is began some of some of the basic concepts seemed like the language, functions and characteristics.**
- **Vision socio - anthropology Language.**
- **Language and Communication.**
- **Proposals.**

الدلالات الاجتماعية للتنوع اللغوي

أ.م. د. غني ناصر حسين القريشي(*)

ملخص البحث:

إشكالية البحث:

ما الـدلالات الاجتماعية للتعدد اللغوي في المجتمع؟ ومـا العلاقة بين التنـوع الاجتماعي واختلاف مستوى الأداء اللغوي في المجتمع؟

أهمية البحث:

١- إضافـة نتاج جديد لتراكم المعرفة حول الدلالات الاجتماعية للتنوع اللغوي.

٢- يثيـر اهتمامـات الدارسـين والباحثين الآخريـن فـي مـا يطرحـه مـن قضايـا حول موضوعه.

أهداف البحث:

يستهدف البحث:

١- دراسة اللغة بوصفها أحد مكونات البناء الاجتماعي.

٢- دراسـة الـدلالات الاجتماعيـة للتنـوع اللغوي.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

أهم النتائج:

١. التنوع اللغوي ظاهـرة مرتبطة بالتنوع الاجتماعي.

٢. تواجهه اللغة العربية في وضعها الراهن وجود اللهجة العاميّة.

٣-مـن أهم العوامـل المؤثرة فـي توظيف اللغـة نطقاً وكتابة هـو التجريب والمحاولة من قبـل القدوات سـواء كانـت في المنـزل أمْ في المدرسة أمْ من خلال وسائل الإعلام.

(*) كلية الآداب- جامعة بابل

مقدمة

قال فقيه اللغة أبو منصور الثعالبي رحمه الله:

«مـن أحب الله تعالى أحب رسـوله محمداً صلـى الله عليـه وسـلم، ومـن أحبَّ الرسـول العربي أحبَّ العرب، ومـن أحبَّ العرب أحبَّ العربيـة التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجـم والعرب، ومن أحـبَّ العربية عُنيَ بها، وثابر عليهـا، وصرف همَّته إليهـا، ومن هداه الله للإسـلام وشـرح صـدره للإيمـان وآتـاه حسـن سـريرة فيه، اعتقد أنَّ محمـداً صلى الله عليه وسـلم خير الرسـل، والإسلام خير الملل، والعـرب خيـر الأمـم، والعربية خيـر اللغات والألسـنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذْ هـي أداة العلـم ومفتاح التفقه في الدين وسـبب إصلاح المعاش والمعاد».

إنَّ العصـر الجديـد يفرض علينـا الحفاظ علـى لغتنا وتنميتها واسـتعمالها بوصفها وعاء للثقافة ولغة التعلم، ذلك إذا أردنا البقاء أمة ذات كيان تأمل في مستقبل مشـرق لأبنائها، فحينما نحافظ على لغتنا إنَّما نحافظ على ديننا وهويتنا وتأريخنا وقوميتنا. فمَنْ خسر لغته خسر هويته وانتمـاءه؛ بـلْ وخسـر وجـوده، وقديمًـا قيل: (إضاعة اللسـان تعني إضاعة النفس). من هذا المنطلق سأحاول الإبحار في بحر اللغة العربية ذلك الذي لا توقفه سـواحل، في حدود موضوع مهـم تحت عنوان "الدلالات الاجتماعية للتنوع اللغوي"، فأقول:

إنَّ التنـوع اللغوي في أيـة دولة من العالم يطـرح نفسـه بقـوة لِمـا لهـذا الموضـوع من حساسـية كبرى وخصوصية لموضـوع اللغة بوصفهـا أداة للاتصال والتفاعل داخل المجتمع الواحد، وفي هذا السـياق بـرزت عديدٌ من من وجهـات النظـر المختلفـة فيما يخـص التنوع اللغـوي فـي بلد معيـن وهو الأمر نفسـه الذي نلمسـه في معظم دول العالم ومنها بلدنا العراق الذي نرى أنَّ نسيجه اللغوي متنوع بتنوع ثقافته وبوجود بعـض العوامل المختلفة الأخرى ذات الدلالـة الاجتماعية والمتجـذرة في قوة الترابط بين اللغة والمجتمع التي سـنتطرق إليها بشيء من التفصيل في ثنايا هذا البحث.

إشكالية البحث:

يمكن أنْ نحدد الإشـكالية العامة التي يدور حولها هذا البحث في الآتي:

مـا الدلالات الاجتماعيـة للتعدد اللغوي في المجتمع؟ ومـا العلاقة بين التنـوع الاجتماعي واختلاف مستوى الأداء اللغوي في المجتمع؟

وطرحنا بعض التساؤلات التي وجدنا أنَّها السبيل إلى تفكيك تلك الإشكالية والوقوف على حيثياتها وهي:

١- ما طبيعة العلاقة بين اللغة والمجتمع؟

٢- مـا طبيعة العلاقـة بين التنـوع البنائي للمجتمع والتنوع اللغوي؟

٣- هـل أنَّ اختلاف مسـتوى الأداء اللغوي بسـبب التنوع الاجتماعي يشكل نعمة للمجتمع أم نقمة على المجتمع؟

٤- كيـف يبدو وضع لغتنا العربية بين تعدد اللغات وسيطرة اللهجات المحلية؟ وما الحل؟

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث الحالي في الآتي:

أ- إسهامه بإضافة معطى علمي جديد يدور

حـول الدلالات الاجتماعية للتنـوع اللغوي إلى البحـوث التي تماثله فـي المضمون حيث يزيد من التراكـم المعرفي في هذا المجال، لاسـيما أنَّ معظـم الأبحاث العلمية تـدور حول جوانب نحويـة وصرفيـة للتنوع اللغوي مـن الباحثين فـي دراسـة اللغة أي تدرس في ضمن سـياقها اللغوي؛ وهناك نقص واضح في بحث اللغة في سياقها الاجتماعي لاسيما من المتخصصين في علم الاجتماع.

ب- يمكن أنْ يثير البحث اهتمامات الدارسين والباحثين الآخرين في ما يطرحه من اهتمامات حـول موضوعه، وهؤلاء بإمكانهم معالجة هذا الموضوع من خلال إسـهاماتهم العلمية وبذلك يثرون العلم كثيراً ولاسيما إذا تم إلقاء الأضواء الميدانية على بحوث مثل هذه.

ج- يكتسـب البحـث أهميتـه مـن أهميـة موضوعـه وهـو التعـدد اللغـوي فـي بعـده الاجتماعي الذي يُعدّ عاملاً أساسـياً في تماسك المجتمـع وتجانسـه في حال تقارب مسـتويات التعبيـر اللغـوي (فصحى، عاميّـة)، أو عامل تنافـر وشـقاق فـي حـال تباعـد المسـتويات التعبيرية اللغوية، وذلك هو الفرق بين المجتمع السليم والمجتمع المريض.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- دراسة اللغة بوصفها أحد مكونات البناء الاجتماعي من خلال:

- علاقة اللغة بالمجتمع.

- وظائف اللغة بين مقولات اجتماعيتها ولا اجتماعيتها.

٢- دراسـة الـدلالات الاجتماعيـة للتنـوع اللغوي من خلال:

- العلاقـة بيـن التنـوع البنائـي للمجتمـع والتنوع اللغوي.

- اللغة العربية بين تعدد اللغات وسـيطرت اللهجات المحلية.. الواقع والحلول.

منهج البحث:

للبحـث في هـذا الموضـوع والإجابة عن تسـاؤلاته؛ اعتمدنا المنهـج الوصفي التحليلي، الذي يفرض نفسه في أبحاث مثل هذه، وهو يقوم على وصـف الظاهرة، وتحليلها، ومناقشـتها، والخروج بمقترحات عنها وتوصيات.

مفاهيم البحث ومصطلحاته:

لعلَّ من أولويات البحث العلمي في أي حقل من حقول الدراسـة العلمية هـو إيجاد التعريف الواضح للظاهرة التي يدرسها هذا الحقل، وهو الذي ييسـر للباحـث معالم الظاهـرة موضوع بحثه وحدودها ويوفر له فهم الحقائق الأساسـية حولها، كما يمّهد له السـبيل إلى تفسير السلوك أو النشـاطات التي تدخل في موضوع الظاهرة المبحوثـة، ومـن هـذا المنطلـق حدَّدنا بعض المصطلحـات والمفاهيم التـي وظفناها في هذا البحث على النحو الآتي:

تعريف اللغة Language

جاء في لسان العرب: اللغة اللّسُنُ.. وأصلها لُغوة على وزن فُعلة من لِغا إذا تكلم، ولغوت إذا تكلمت، والجمع لُغات ولُغُون، والنسبة: لُغُوِيَّ[1]. وقيل اللُّغة من الأَسماء الناقصة وأَصلها لُغْوة من لَغا إذا تكلم واللَّغا ما لا يُعدّ من أَولاد الإبل في دية أَو غيرها لصغرها وشاة لَغْو ولَغاً لا يُعتدّ بها في المعاملة وقد أَلْغَى له شاة وكلُّ ما أسقط فلم يعتد به مُلْغًى[2]. وقيل منها: لَغِيَ يلغَى: إذا هذى، ومصدره: اللَّغَا. وكذلك اللَّغْو، قال الله سبحانه وتعالى (وإذا مرُّوا باللَّغْو مرُّوا كِراماً) الفرقان/ ٧٢ أي بالباطل. وعرفها ابن جني (ت٣٩٢هـ) على أنَّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[3]، وهذا التعريف نال كثيراً من الاهتمام عند اللغويين العرب المحدثين؛ لأنَّه ضم أكبر قدر من الحقائق المهمة عن اللغة: (الطبيعة الصوتية، والوظيفة الاجتماعية..)

وتعريف «اللغة» في علم اللغة الحديث على تنوع مدارسه يلتقي مع تعريف ابن جني لها حول هذه الحقائق المهمة، لكنه زاد عليها حقائق أخرى كانت ثمرة لتطور هذا العلم من خلال الدراسة العلمية.

ويعرفها ابن خلدون بأنَّها عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بدَّ من أنْ تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[4]. وهو ما يكشف عن الوظيفة التواصلية؛ إذْ يصف اللغة على أنَّها نظامٌ للتواصل المقصود فهي سلوك اجتماعي، كما يقرر أنَّها ملكة راسخة واستعداد فطري، وكما يشير إلى تعددية النظم اللغوية وطبيعتها العرفية.

ومن بين التعريفات الحديثة للغة تعريف اللغوي السويسري دي سوسير De Saussure الذي نص على أنَّ اللغة: "نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته"[5].

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن الوقوف على أهم الملامح المميّزة للغة:

١- الطبيعة الصوتية للغة. (فالصوت اللغوي هو الصورة الحية للغة، واللغة التي لا تُنطَق لغة ميتة، ولا تغني الكتابة عن الواقع الصوتي للغة)

٢ - الطبيعة الاجتماعية للغة. (اللغة مرآة المجتمع، ترتبط بالجماعة في تقدمها وتخلفها)

٣ - اللغة متغيرة.(التغير سِنة جارية في سائر اللغات الحية وتعكس مظاهر التغير والتحول في المجتمع: رقيَّاً كان أم انحطاطاً، تحضراً كان أم تخلفاً)

٤ - اللغة مكتسبة .(لا يولد الإنسان متكلماً بفطرته؛ بلْ يكتسب لغة المجتمع الذي نشأ فيه)

٥- اللغة نسق.(لكل لغة نسقها الخاص على المستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي)

الدلالة والدلالة الاجتماعية

الدلالة: هي المعنى (دلالة أي لفظ) هي: ما ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنًى مدرك أو مُحَسّ، والتلازم بين الكلمة ودلالتها أمر لابد منه في اللُّغة ليتم التفاهم بين النَّاسِ، أي أنَّ هذه الألفاظ الدالة والمعاني المدلول عنها ما هي إلاَّ « علاقةٌ اعتباطية لا سند لها إلاَّ ما

يقـع من اتفـاق النَّاسِ، وتعارفهم على إنشـائها وفهمهـا»، وبذلـك تصبح لـدى كل جماعة لغة معينة، يسود بها التفاهم على وفق نظم خاصة، وهذا التفاهم هو ما يعـرف بـ) العرف اللغوي الدلالـي) أو (الدلالة العرفية (الناتجة عن ثبوت المعنى إزاء اللفظ الموضوع له، فيكتسـب أبناء اللُّغة الدلالات كافة عن طريق التَّلَقِّي والمشافهة، ويتطّلب هذا الاكتساب زمنًا ليس بالقصير، وما تلبث الـدلالات الصرفِيةُ والنَّحويةُ، بعد المران الكافي، أنْ تحتل في كلٍّ منَّا من غير جهد أو عناء كبيـر، وتلك هي المرحلة التي يعرفُها اللغويون بـ) السـليقة اللغوية)، وبشـيوع هذه الدلالات وكثرة اسـتعمالها، تتداخل مع تجـارب النَّاسِ، وبذلك تبـدأ مرحلة جديدة لهـذه الدلالة، وهي: الدلالـة الاجتماعيـة؛ إذنْ فالدلالـة الاجتماعية هي: توسـع نطـاق الدلالـة العرفية فـي الفهم والشـيوع والاسـتعمال، و «الدلالة الاجتماعية للكلمات تظلُّ تحتلُّ بؤرة الشعور، لأنَّها الهدف الأساس في كلِّ كلام. وليست العمليات العضلية التي نقوم بها في النُّطق بالأصوات، إلاَّ وسـائل يرجـو المتكلِّـم أنْ يصل عن طريقهـا، إلى ما يهدف من فهمٍ أو إفهام»[٦].

وتسمى الدلالة الاجتماعية بالدلالة المعجمية والمعجـم هنـا هـو المعجـم الذهني للـدلالات، الموجود في أذهان أبناء المجتمع، وليس المعجم المكتـوب. ولعل الأمر ليس كما ذهب إليه بعض المؤلفين، الذيـن يفرقون بيـن الدلالة المعجمية للكلمة، والدلالة الاجتماعية لها، على أسـاس أنَّ الدلالة المعجمية هي دلالة الكلمة داخل المعجم، أمَّـا الدلالـة الاجتماعية، فهي دلالـة الكلمة في الاسـتعمال'' والذي يبدو لنا أنَّ الدلالة المعجمية هي الصـورة الكتابيـة للدلالـة الاجتماعية؛ لذا فالدلالة المعجمية هي الدلالة الاجتماعية.

اللهجات

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث عند (إبراهيـم أنيس) هـي: مجموعة مـن الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة جميعهم، وبيئة اللهجة هي جـزء من بيئة أوسـع وأكثر شـمولاً تضم لهجات متعددة. وتلك البيئة الشـاملة التي تتألف من هذه اللهجـات، هي التي اصطلح المحدثون على تسميتها باللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص[٧].

واللهجـة Dialect نمـط مـن الاسـتخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة، يتميز من غيره من الأنماط داخل اللغة نفسها بجملة من الخصائص اللغويـة الخاصـة، ويشـترك معهـا فـي جملة الخصائص اللغوية العامة[٨].

واللهجة مجموعـة من الخصائص اللغوية يتحدث بهـا عدد من الأفراد فـي بيئة جغرافية معينـة، وتكـون تلك الخصائـص على مختلف المسـتويات: الصوتيـة والصرفيـة والنحويـة والدلاليـة، وتميّزها من بقيـة اللهجات الأخرى فـي اللغـة الواحدة، ولكـنْ يجـب أنْ تبقى تلك الخصائـص من القلـة بحيث لا تجعـل اللهجة غريبـة عن أخواتها، عسـيرة الفهـم على أبناء اللغـة لأنَّه عندمـا تكثر هذه الصفـات الخاصة على مرّ الزمن لا تلبث هذه اللهجة أنْ تسـتقل، وتصبـح لغـة قائمـة بنفسـها، كما حـدث للغة اللاتينيـة التـي اندثرت وتفرع عنهـا لغات لها كيانها وخصائصها منها: الإيطالية والفرنسـية والإسـبانية. وكما حدث للغة السـامية الأم التي اسـتقلت عنها لغات العربية والعبرية والآرامية وغيرها[٩]. كذلك اللهجـات العربية في مصر، والمملكة العربية السـعودية، والعراق وسوريا

ولبنـان... وغيرها من سـائر البـلاد العربية إذ يمكن أنْ يطبق عليها اسـم (لغـات) بعدّها تفي بحاجة مجتمعاتها، وبعـدّ صلتها باللغة العربية الأم تُعدّ كل منها لهجة لأنَّها لمْ تستغن عنها؛ بلْ استمدت- ولا تزال تستمد- منها مقومات حياتها الأصلية[١٠].

التنوع (التعدد) اللغوي

التنـوع اللغوي يعبر عن وجـود أكثر من لغة أو لهجة فـي منطقة جغرافية معينة. ويرى «هدسون» أنَّ مصطلح (نوعية من اللغة) يمكن اسـتعماله للدلالة على مظاهر اللغـة المختلفة، كمـا نفعل عندما نتصور أنَّ الموسـيقى ظاهرة عامـة ثم نميّـز بين نوعيات مختلفـة منها، وما يميّـز بيـن نوعيـة اللغـة ونوعية أخـرى هي الوحـدات اللغويـة التي تتضمنهـا، وهكذا فإنَّه يعرف نوعيـة اللغة على أنَّها مجموعة وحدات لغوية لها التوزيع الاجتماعي نفسه[١١].

ويشـير مفهوم التنوع أو التعدد اللغوي في الأدبيات اللسـانية عامة إلى وضعيات تواصلية لغويـة مختلفـة، تختلـف فيها اللغة المسـتعملة بحسـب الوضعيـة والسـياق أو الحاجيـات والغايـات والأهـداف، أي أنَّنـا نتحـدث بأكثر مـن نظامين لغويين، وعلى هذا الأسـاس، نجد أنَّ التعـدد اللغوي يحتوي ما يسـمى بالأحادية اللغوية والثنائيـة اللغوية والازدواجية اللغوية، وهو ما يفرض علينا الوقوف عند كل واحد من هذه المفاهيم باختصار.

فالأحاديـة اللغوية يتم فيها غياب مسـتوى آخر من الأنظمة اللغوية، أي حضور مسـتوى واحد وأوحد، غير أنَّ هذا يغيب بشكل أو بآخر، لأنَّ لغـات العالـم كلهـا تتميز بخاصيـة التعدد اللغـوي، وإنْ كان هنـاك اختـلاف واضح بين أنظمة اللغة وخصوصية كل دولة.

أمَّـا الثنائية اللغويـة يمكن تحديدهـا بأنَّها « وضعيـة لغويـة يتنـاوب فيهـا متكلمون من مجموعـة لغويـة مـا علـى نظامين لغويين مختلفين، إذْ نلحظ أنَّها ظاهرة أكثر شـيوعاً في مجموعة من المجتمعات ولاسـيما العربية التي تتوافر على مجموعة من الأنظمة اللغوية.

وفيمـا يخـص الازدواجيـة اللغويـة (Diglossie)، فيقصـد بهـا «وجـود نظامين لغويين مختلفيـن فـي مجتمع ما تجمـع بينهما أواصـر قرابـة وعلاقـة نسـب»، وهـي بهذا مـن الظواهر التي تفرض نفسـها بحـدِة داخل المجتمعات بصفة عامـة، والازدواجية اللغوية سمة تتميز بها اللغات كلها ولا تقتصر على لغة معينة من دون غيرها[١٢].

وهناك اتجاهان متضـادان في حياة اللغة: اتجـاه نحـو التنويـع والانقسـام، والآخر نحو التوحيد والتخلص من الفروق اللغـوية، ويرى عدد كبير من اللغويين أنَّ الوضع الطبيعي للغة يميل نحو الانقسـام والتوزيع ومن ثم ينشـأ عن الوحدة تفرق وتشـعب، والسبب في ذلك التأثر في ما هو ملموس ومُشـاهد في تاريخ البشرية، وهـو انقسـام مجموعـة ضخمـة مـن اللغات المشـتركة على لهجات متعددة كتفرع اللاتينية إلـى فرنسـية وإيطاليـة وأسـبانية وبرتغالية، والسامية إلى عربية وعبرية وسريالية وتشعب العربية إلى سورية ولبنانية وغير ذلك، حتى أنَّ السـورية واللبنانية تفرعـت إلى لهجات أخرى متعـددة. هذه الأمثلة جعلتهـم يعتقدون أنَّ هناك قانونـاً طبيعياً يـؤدي حتماً إلى تشـعب اللغات وانقسـامها، ولعلَّ من أهم الأسباب التي دعتهم

للتمسك بمبدأ الانقسام كثرة عدد اللغات في العالم الآن مقارنة بلغات الأزمان الماضية بالنظر إلى عدد السكان المتزايد. والعامل الأساس في تنوع اللغات وتفرعها وفي تكوين اللهجات هو ضعف الاختلال الاجتماعي بين أهل المنطقة اللغوية الواحدة وسوء الاتصال بين أفرادها.

أمّا عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة فتتمثل في الآتي:

* التجمعات البشرية وصورها.
* العوامل والمدن الكبرى.
* الجامعات والمعاهد العليا.
* الخدمة العسكرية والحرب.
* التجمعات أو اللقاءات الرسمية.
* الزواج.

اللغة بوصفها أحد مكونات البناء الاجتماعي

تُعدَّ اللغة من العناصر المهمة في البناء الاجتماعي للمجتمعات منذ الأزل وحتى يومنا هذا هي بمثابة المكون الأساس في قيام العملية الاتصالية بين البشر، ويُعدّ علم اللغة علماً قائماً بنفسه حيث يراه "كلود ليفي شتراوس" أنَّه العلم الوحيد الذي يسمو إلى المطالبة بأنْ يكون علماً حقيقياً نظراً للأهمية التي يحتلها موضوع اللغة في حياة الإنسان والتشابك العلائقي بينها وبين باقي الأنساق التي يدور فيها. وتمثل اللغة في أي بلد جزءاً من الثقافة التي تشكل سلسلة الترابطات القائمة على أساس الاتصال كضرورة أولية لقيام المجتمع خاصة وأنَّ الإنسان لا يمكن له أنْ يعيش خارج نطاق المجتمع الذي ينتمي إليه ولاسيما وأنَّه كما يؤكد علماء الاجتماع كائن اجتماعي وهو بذلك يستمد خبراته الاجتماعية من هذا المجتمع الذي يعيش فيه، ومن ذلك بالطبع أنواع السلوك كلها والتي تعارف عليها المجتمع واللغة من بين المظاهر الاجتماعية المختلفة عامل أساس من عوامل الاتصال بين الناس[١٣]. ومنذ أنْ خلق الله تعالى الإنسان وهو يتواصل بينه وبين أقرانه فقد بحث عن سبل متعددة لذلك حتى تلك المجتمعات التي توصف بالبدائية سعت دائماً إلى خلق شفرة معينة ليتسنى لها التعبير عن افكارها وعمّا تريد أنْ تنقل تفاصيل حياتها للآخر، ولكنَّ الذي يميّز لغات تلك المجتمعات أنَّها لغات شفهية ليس لها تأريخ مدون، كما أنَّها تتصف بالأعداد المحدودة القليلة لمن يتكلمونها، وصغر المساحة التي تنتشر فيها، وبذلك فهي تخلو من الاختلافات اللغوية بخلاف ما هو موجود في المجتمعات المتحضرة التي تتنوع فيها اللهجات المحلية[١٤].

فاللغة في أي مجتمعٍ نظام عام يشترك في إتباعه أفرادِ المجتمع جميعاً، يتخذُونه أساساً للتعبيرِ عمَّا يجول في خاطرِهم، فهي ليست من صنع فرد أو أفراد معينين، وإنَّما أوجدتها طبيعة الاجتماع الإنساني حين اجتمع الإنسان بأخيه الإنسان وبهذا نجد أنَّ " فندريس" يقول: "في أحضان المجتمع تكونت اللغة ووجدت يوم أحس الناس بالتفاهم فيما بينهم"[١٥].

إنَّ هذا الارتباط الوثيق بين اللغة والمجتمع، كشف عن العلاقةِ التي تجمع كلا منهما بالآخر، فقد برز أنَّ كلا منها يترك بصمة في الآخر، أي أنَّ ثمة تأثيراً للغة في المجتمع، وتأثيراً للمجتمع في اللغة. فاللغة هي المرآة التي تعكس المجتمع ومظاهره من حضارة ورقي أو تخلف

وضعـف، كما تُفصح عن العلاقات الشـخصية والقيـم الثقافيـة السـائدة في المجتمـع؛ لذلك لا يمكن فهم اللغة وقوانينها وتطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها[١٦].

ولأهميـة اللغة في واقع الإنسـان وارتباطها في وجـوده، فقد تضافـرت علوم عديـدة عُنيت بدراسـتها مـن زوايا ومداخل متعـددة على وفق اختلاف الاختصاصات العلمية الدقيقة لكلٍ منها، إذ حرصت كلٍ منها على مزج اللغة بعلمها. ولعلَّ من أبرز هـذه العلوم علم الاجتمـاع الذي وضع فـي اعتبـاره السـياق الاجتماعـي للمجتمع عند دراسة اللغة، وتمخض عن ذلك ظهور علم اللغة الاجتماعـي Sociolinguistics الـذي انطلـق أصحابه في دراسة اللغة من قاعدة أنَّ اللغة ليست منعزلة عن الحياة الاجتماعيـة، وإنَّما هي تعبيرٌ عن سلالة معينة عن شعب وعن حضارة.

إنّ علم اللغة الاجتماعي يتكون من مجالين، وهما علم الاجتماع وعلم اللغة، وعلم الاجتماع يتكفل بدراسـة المجتمع الإنسـاني أو الكائنات البشـرية أو دراسة نماذج المعيشة أو أنماطها.. أمَّـا علم اللغة فهو يهتم بدراسـة اللغة. ومن هنا يمكن القول أنَّ علم اللغة الاجتماعي هو دراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمع[١٧].

ويعـرف «برنارد سبولسـكي» علـم اللغة الاجتماعـي علـى أنَّـه « المجال الـذي يدرس العلاقة بين المجتمع واللغة، وبين الاسـتعمالات المتنوعـة للغـة والبنى الاجتماعيـة التي يعيش فيها مستعملو هذه اللغة»[١٨]. وهو بهذا التعريف يركـز في العلاقة التي تربـط اللغة في المجتمع والعلاقـة التي تربط بين الاسـتخدامات اللغوية المختلفة وبيـن الطبقات الاجتماعيـة المندرجة فـي ضمـن المجموعـة اللغوية الواحـدة، وهو إقرار بوجود تباين وسلوكيات ثقافية واجتماعية ولغوية مختلفة- تؤثر وتتأثر- ضمن المجموعة. وإنَّ الغاية من هذه الاستعمالات اللغوية المتنوعة هو ايصال المعنى فضـلاً على توطيد العلاقات الاجتماعيـة والمحافظة عليهـا. وباختصار فإنَّه العلـم الـذي يعنى «بدراسـة اللغة فـي علاقتها بالمجتمـع" كما يقـول هدسـون[١٩]. ومن جهته يؤكـد ماريوباي علاقة اللغـة بالمجتمع، فيقول: «إنَّ اللغـة لهـا علاقة وثيقة بعلم الإنسـان وعلم الاجتماع، بعدّها نتاج علاقة اجتماعية"، ويكمن هدف علم اللغة الاجتماعيّ في إيجاد أحسـن فهم لبنية اللغة من جهة، واسـتعمالها والتّواصل بها من جهة أخرى[٢٠].

ويُعـد هـذا العلم حديـث المولدِ نسـبياً، إذْ بـرز على السـاحة العلميـة أواخر السـتينيات وأوائل السبعينيات، وليس معنى ذلك أنَّ دراسة اللغـة في علاقتها فـي المجتمع من ابتكار حقبة السـتينيات، فعلى عكس ذلك هنـاك تراث قديم العهد في دراسـة اللهجات وفي الدراسات التي تتناول العلاقات بيـن معاني الكلمات والثقافات المختلفـة، لكـنَّ الجديـد الـذي اسـتحدث فـي الستينيات هو الاهتمام الواسع والإدراك بأنَّ علم اللغة الاجتماعي قادر على كشف كثيرٍ مما كان غامضاً من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع[٢١].

« ومـن جـذورِ هـذا العلم عند العـرب أنَّهم لاحظـوا الارتباط الوشـيج بيـن اللغـة والبيئة، فلاحظوا اختلاف الصيغ اللغوية باختلاف البيئاتِ الجغرافيـة والثقافيـة، ولاحظـوا أنَّ هنـاك لغة مشتركة تفرضها العلاقات الاجتماعية، ويتجلى ذلك في كتب بعـض علماءِ اللغة منهم ابن جني، وكتب النحاة من نحو كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ)، الـذي أومأ إلـى الوجهة الاجتماعيـة في صياغة

النحـو، كما ظهر هذا الأمر في كتب الأدب أمثال كتاب الجاحظ (ت٢٥٥هـ) وابن خلدون (٨٠٨ه) فـي مقدمته، وقد انطلق هـؤلاء كلهم من الإيمان واليقيـن بوجـود باعـثٍ اجتماعي يحـرك اللغة ويوضفها"[٢٢].

وتكمـن أهميـة دراسـة اللغة في سـياقها الاجتماعي»فـي الوقـوفِ علـى الظواهـرِ الاجتماعيـة؛ لمعرفـة كيفيـة تفاعـل اللغة مع محيطها، وأثر العوامـل الخارجية والمتغيرات الاجتماعية في اسـتعمال اللغة، كما يسـهم هذا العلم في استقصاء ملامحِ مجتمع ما، والوقوف علـى مدى تبلـور تقاليـدِه وأعرافِـه؛ لارتباط اللغـة المباشـر بالمجتمـع، والدور الـذي تقوم به فـي المجتمع، وهو الإفصـاح عن العلاقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع[٢٣].

ومـن هنا يمكن القول بوجود علاقة وطيدة بين اللغة والثقافة، ويرى في هذا السياق "كلود ليفي شتراوس" أنَّه " يمكن بحث اللغة بوصفها نتيجـة مـن نتائج الثقافـة: اللغة المسـتعملة في مجتمع ما تعبر عن ثقافة السـكان العامة، ولكن اللغـة بمعنـى آخر قسـم من الثقافـة في نظر» تايلر" مجموعة معقدة تشتمل على مجموعة من الأدوات والأنظمة العامة والمعتقدات والعادات واللغـة بالطبع"[٣٤]. وهذا بديهي ولاسـيما وأنَّ الإنسان يستطيع أنْ يكتسب الثقافة والتي تجعله يتأقلـم في المجتمع بفضل اللغـة فالأطفال مثلاً يمكنهم التواصل بعد مقدرتهم على النطق بفضل اللغة فقط ومنها يستطيعون اكتساب الأعراف، التقاليد وكذا الدين وغيرها من مكونات المجتمع والتي يسـعى الأفراد إلـى توريثها إلى الأجيال الصاعدة، وكما أنَّ اللغة تسـمح للفرد بالانفتاح علـى الآخر وعلى الثقافـات الأخرى فلا مجال للتعـارف والتواصل إلاَّ باللغة فهـي التي تنقل معرفة الأنا إلى الآخر.

ويرى "محمود الـذوادي" أنَّ اللغة هي أمْ بقيـة عناصر الرمـوز الثقافية مثـل: المعرفة/ العلـم، والفكـر، والديـن، والقانـون، والقيـم، والأعراف الثقافية؛ لأنَّ اللغة البشرية المنطوقة فـي الأقل تكون وحدها المؤهِلة لبروز منظومة الرمـوز الثقافيـة، وهذا يعنـي أنَّ اللغـة معلم مركزي في هوية الإنسـان بوصفـه كائناً فريداً بيـن الكائنات الأخرى ومن ثـم فاللغة هي التي تحدد هوية الإنسان[٢٥].

وكمـا أنَّ اللغـة تتأثـر بالمجتمـع فتعكـس أعرافـه وعاداته وتقاليده، وما يتصل به فتفصح عـن مكوناتـه وملامحـه التي تميـزه من غيره مـن المجتمعات؛ فـإنَّ المجتمع يؤثـر في اللغة فيفصح عن خصوصيته وما يميزه من غيره من المجتمعات من قيم وعادات وتقاليد في اللغة على أساس أنَّ اللغة هي وعاء الفكر ومخزونه[٢٦].

بعض مقولات العلماء في اجتماعية اللغة:

كما أشرنا سابقاً إلى العلاقة القوية بين اللغة والمجتمع والتـي تُعدّ بحق علاقة تلاحم وتفاعل دائـم، يحتّـم مراعـاة السـياق الاجتماعـي عند اسـتعمال اللغة، وضرورة الاحتكام الى شروط النظام الاجتماعي عند الممارسـة اللغوية. ومن أشـهرِ العلماء الذين أسـهموا في إرساءِ النظرة الاجتماعية للغـة، ابن خلدون، وابن جني، ودي سوسـير، ومبيه، وسـابير، وفندريس، وفيرث، وهاليداي، ومالينوفسـكي، ويسبرسن، وفلمور، وجاردنر وغيرهم، وقد حـرص هؤلاء العلماء في دراستهم للغة، على إبراز وجودِ عقلٍ جمعي

ينتج عنــه هذا النوع من الظواهــر الاجتماعية، وأنَّ اللغــة هي نتاج هذا العقــل، وإنَّ هذا النتاج الجمعي للغة جعلَ اللغة في حالةِ تأثرٍ وتأثيرٍ.

فهــذا ابن خلدون يــرى أنَّ اللغة هي إحدى أهم ركائز المجتمع، والبعد الاجتماعي في رأي ابــن خلدون للظاهــرة اللغويــة بوصفها ظاهرة اجتماعيــة بيَّن وظاهر في جوانــب متعددة منها ما يتضــح في قوله "... ثمَّ اســتمر ذلك الفســاد بملامسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ" بمعنى أنَّ المجتمع العربي غيــر المجتمــع الأعجمــي، وخــروج اللغة عن قومها وأهلها يؤدي إلى فسادها، وهنا تظهر قوة ابــن خلدون في تحليل الظاهــرة اللغوية بمحاذاة الظاهرة الاجتماعية، إذ يرى أنَّ الظاهرة اللغوية خاضعــة لتغيرات الوســط الاجتماعــي بعاداته وتقاليــده. فأبــن خلــدون على الرغم مــن ابتعاد عصره وحداثــة علم الاجتماع اللغــوي؛ إلاَّ أنَّه اســتطاع أنْ يدرك ما للمجتمع واللغة من علاقة وطيدة على نحو ما عبّر عنه فندريس قائلاً: "... في أحضان المجتمــع تكونت اللغة ووجدت يوم أحــس النــاس بالحاجة إلى التفاهم فيمــا بينهم... فاللغة وهــي الواقع الاجتماعــي بمعناه الأوفى، تنتج من الاحتــكاك الاجتماعي وصارت واحدة من أقوى العرى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي..."[٢٧].

وبالعودة إلى تعريف ابن جني للغة على أنَّها «أصــوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، في هذا التعريف نجده يجاري النظرة القائلة بأنَّ اللغة هي انعكاس للفكر ووسيلة للتعبير عنه، والأفكار هنا أفكار المجتمع العربــي باللغة العربية، وهذا التعريف يُعدّ من أدق التعاريف للغة ويتفق جوهره مــع تعريــف المحدثين للغــة بحيث نجــده يؤكد الجانب الصوتي للرموز اللغوية ويوضح وظيفتها الاجتماعية في مجتمع معين[٢٨].

كمــا أشــار فرديناند دي سوســير مؤكداً الجانبَ الاجتماعي فــي اللغة بقوله: « إنَّ اللغة نتــاج المجتمعِ للملكة الكلاميــة وتجميع للتقاليد الضرورية التي أقرها المجتمع لتســمح للأفراد بتدريــب ملكاتهم[٢٩]. أي أنّ اللغــة ملكة فردية تحتــاج إلى هيــكل اجتماعــي لكي تظهــر فيه وتتطور عبره ومن خلالــه، بمعنى أنَّ الانجاز الفــردي للــكلام عملية غيــر قابلة للفهــم، إذْ لمْ نتوصل إلى أنَّ الأفراد يملكون نظاماً عاماً بينهم والذي يشكل رابطاً لهم، والمتكون من أصوات متوالية «رمــوز» في علاقتها الدائمة بمعانيها. وقــد اســتدل «دي سوســير» علــى اجتماعية اللغــة انطلاقاً من بحثه في مســألة نشــأة اللغة، حيــث أدرك أنَّها جاءت نتيجــة اتفاق وتواضع واصطلاح تــمَّ بين جماعات بشــرية فيقول: « ... وهي «اللغة» الجانب الاجتماعي من الكلام الخــارج عن نطاق الفرد الواحد غير قادر على أنْ يخلقهــا أو علــى أنْ يحورها، وهي لا توجد إلاَّ بمقتضــى نــوع من التعاقد يتــم بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة»[٣٠].

ومن أشــهر الآخذيــن باجتماعية اللغة العالم اللغوي "يسبرســن"، الذي يرى أنَّ اللغة وظيفةٌ اجتماعيــة في أساســها، وفــي ذلك يقــول: " إنَّ استعمال اللغةللتعبير عن الأفكارِ ونقلها إنَّما ينطبق على رجالِ الفكر والفلاسفة وأمثالهم في اللحظات التي يكونون فيها مشغولين بأعمالهم العلمية التي تحتاج إلى تفكيرٍ دقيــق، أمَّا الغالبية العظمى من الناس فليســت وظيفة اللغة الأساسية التعبير عن الأفكار أو نقلها، وإنَّما هي طريقٌ من طرق الحياة بوساطتها يدير الناس شؤونهم وأعمالهم"[٣١].

ومـن جهته أكـد العالم اللغـوي ''جاردنر'' العنصـرِ الاجتماعي في اللغة، بقولـه: '' إنَّ من العبث أنْ نقولَ إنَّ هدف اللغة هو التعبير عن الفكر؛ بلْ إنَّ وظيفتها تتجاوز التفكير المجرد، والتعبير عمَّا يعتمل في أقطار النفس، ويرى أنَّ اللغة تمنح شـعوراً بالانتماء إلى مجتمع معين، وتعين الفرد علـى التوافـق الاجتماعي والتكيف النفسـي مع الجماعة والمجتمع، وهي جسرنا لإقامة العلاقات الاجتماعية وتطويرها. وقد أطلق الأنثربولوجي ''مالينوفسكي'' على هذه الوظيفة ''التواصل الودي بين النـاس'' Phatic Commuruon»[٣٢]؛ بلْ وصف اللغة بالمرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لِما عليه أفـراد المجتمع من ثقافة ونظم وعادات وتقاليد واتجاهات[٣٣].

أمَّا ''سـتالين'' فيرى أنَّ اللغة: «هي إحدى الوقائعِ الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سـياق الوجود الاجتماعي وديمومتـه كلها، فهي تبقى ببقائه وتـزول بزواله، وليس ثمة إمكان لوجود أي لغة خـارج نطاق المجتمـع، ولا يمكن فهم اللغة وقوانينها خارج نطاق المجتمع[٣٤].

واللغة في أي مجتمع لا توجد من أجل نفسها، وإنَّما هي نشاط اجتماعي يخدم ما يسميه «سابير» «بالتشـارك الاجتماعي» فهـي التي تفصح عن العلاقـات الشـخصية والقيم الثقافية كمـا مرّ بنا سابقاً، لذلك فإنَّ أيّ تغيّر في المجتمع لابدَّ من أنْ يتبعه تغيّر في اللغة التي يتكلم بها حتى يمكن للغة حينئذٍ القيام بوظيفتها الأساسـية بوصفها ظاهرة اجتماعية، ولا منـاص للدارس من فهم اللغة من المجتمـع، ومن فهم المجتمع من اللغة. فلا تفكير ولا لغة من دون المجتمع؛ ووجودها بوجوده ولنْ تكون اللغة من دون المجتمع، وهنا يقول سابير: « لو أننا ألغينا المجتمع، وأبقينا الإنسان وحيداً، في أحضان هذه الطبيعة؛ فإنَّه سيمشـي لا محالة عند بلوغه السن المناسبة لذلك، على فرض أنّ الحياة بـلا مجتمع ممكنة، ولكنه لـنْ يتكلم، أي لنْ يتعلم كيف يوصل ما يدور في نفسه إلى العالم الخارجي، طبقًا للنظـام التقليدي المصطلـح عليه كذلك في المجتمعات كلها، والذي يسمى الكلام»[٣٥].

فاللغـة ظاهـرة اجتماعيـة، والظواهـر الاجتماعية والتي يدرسـها علم الاجتماع تمتاز بخصائص متعددة منها:

١- أنَّهـا تتمثـل في نظم عامة يشـترك في إتباعهـا أفـراد مجتمع مـا، ويتخذونها أساسـاً لتنظيم حياتهم الجمعية.

٢- أنَّهـا ليسـت من صنـع الأفـراد، وإنَّما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث من تلقاء نفسها عـن حياة الجماعات، ويقـول العلماء أنَّها نتاج العقل الجمعي.

٣- أنَّ خـروج الفرد عن نظام منه يلقى من المجتمع مقاومة تأخذه بعقاب مادي أو أدبي[٣٦].

وإذا نظرنـا إلى اللغة نجـد أنَّ تلك الخواص الثلاثـة تتوافـر فيها على أكمل مـا يكون، فاللغة نظام عام يشترك فيه أفراد المجتمع جميعهم، حتى يمكنهم الاتصـال والتعاون والتفاهم مع بعضهم، كما أنَّ وجودهم في مجتمع واحد والحياة الجمعية التـي يعيشـونها اقتضت وجود لغـة للتفاهم بها، ومـن ثمَّ هـي نتاج عقلية من يتكلم بهـا، أيْ نتاج العقل الجمعي، كما أنَّ الفرد يتبع لغته في تطورها وتغيرها دائماً، وهو يستعملها في مجتمعه بوصفها وسيلة أساسية للاتصال بمن حوله؛ لذلك إذا حاول الخروج عن ألفاظها ومرادفاتها المألوفة تعرّض للسخرية وللعقاب سـواء كان أدبياً أمْ مادياً ولكنه في الغالب يكون عقاباً أدبياً.

وعلى الرغم من أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية؛ إلاَّ أنَّ بعض اللغويين أنكر هذا الارتباط بين اللغة والمجتمع، وهذا البعض يرى أنْ تدرس اللغة في واقعهـا الذهني، ومن هـؤلاء اللغويين «هيرمان بـول» H. paul الذي يرى " أنَّ اللغة الجماعية ليسـت إلاَّ خليطاً من الكلام الفردي الذي لا يؤخذ به، واللسان هو مسار خاص يتطور عند كل فرد، ومن هنا ليست هناك فائدة من دراسة اللغة والتغير اللغوي اجتماعياً؛ لأنَّ التغير يتطور بشكل مستقل ومختلف باختـلاف الأفراد. ويخلص من ذلك أنَّ الفرد يمكن أنْ يمثل الجماعـة..."[٣٧]. أمَّا وظيفة اللغة الأصلية بحسب رأيه تتلخص في أنَّها وسيلة لتوصيل شيء من الأشياء[٣٨].

كمـا أنَّ «تشومسـكي» (١٩٢٨) Naom Chomsky أهمـل الجانـب الاجتماعـي فـي نظريتـه اللغويـة وافترض وجود سـامع غير متأثر بالتنوعات الكلامية في المجتمع[٣٩].

فضلاً على رأي «هيرمان بول وتشومسكي»؛ ينضـم إلى مذهـب (لا اجتماعية اللغـة) نفر من اللغويين، نحو «سويت» Sweet ومدرسة براغ، و"تروبتسكوي" TroubetzkoyK و"مارتينيه" MarttinetK ، وعالم اللغة الأمريكي "بلومفيلد" Bioomfield، الـذي أقام نظريته في اللغة على المثيـر والاسـتجابة الكامنَيْـن في الفـرد وليس الجماعة اللغوية[٤٠].

وعـود على بدء فـإنَّ المقولات كلها والتي نـادى بها العلماء حول اجتماعيـة اللغة، أكدت الرابـط الوثيـق بيـن اللغـة والمجتمـع، وأنَّ اللغـة لا يمكن أنْ تكون خـارج نطاق المجتمع وسـياقه. وأنَّها ليست بناءً مجرداً من المؤثرات الخارجية، وأنَّ اللغة ما هي إلاَّ نتيجة للاتصال والاحتكاك الاجتماعـي، وأنَّها مدينة في نموها وتطورها إلى وجودها في مجتمع[٤١].

وظائف اللغة:

الحديـث عـن اجتماعيـة اللغـة أو لا اجتماعيتهـا يدفعنـا إلى الحديث عـن وظائف اللغـة، وبيان موقعها في المجتمـع. ولنبدأ أولاً بوظائف اللغة فـي ضوء مقولات اللااجتماعية اللغوية حيث تتحدد وظيفة اللغة بالاتصال ونقل الأفكار فقط؛ فنظرية علاقة اللغة بالفكر وجدت اهتماماً كبيراً من الباحثين اللسانيين والسلوكيين والفلاسـفة والأطباء النفسـيين نظراً للتطبيقات العمليـة التي أثبتتها بعـض الأبحاث الجادة في مجال اللغـة وعلاقتها بالفكر أو تحديداً علاقتها بتشـكيل الفكر, تشـير إلى أنَّ اللغة بما تحتوي مـن مفردات ومـن نماذج ورموز ليسـت فقط تسـهل عملية توجيـه التفكير؛ بـلْ وتتحكم في طريقة التفكير وهي وسـيلة تـداول الفكر ونقله عبر الأجيال عـن طريق الكتابة، وإنَّه من غير الممكـن أنْ يعبّر المرء عن فكـره المجرد بأي شـكل آخر أو بغير طريق الكلمات، وعلى هذا فإنَّ علاقـة اللغة والفكر علاقـة عضوية متينة [٤٢]، وباستعراض بعض كتابات مشاهير علماء اللغـة وأقوالهم نجد ربطهـم الواضح بين اللغة وأثرها في المنتج الفكري[٤٣].

يقـول "ميشـال مارلو" في بحـثٍ عن أثر اللغـة فـي الفكـر (٢٠٠٤) أنَّـه لـمْ يعثر على مخطوطة كتابية تشـير إلـى أنَّ "أفلاطون" قد ناقش بالتفصيل أثر اللغة في الفكر؛ لكنَّ القارئ يسـتطيع أنْ يـدرك من خـلال قراءة نقاشـات "أفلاطـون" وكتاباتـه انَّـه كان يعطـي أهمية كبيرة للكلمة وأنَّ الكلمة كانت محل قلقه الرئيس ولذلك كان يهمه أنْ يتحقق من علاقتها بالحقائق والواقـع, وكان كثيراً ما يصور كيف أنَّ الناس تمشي تائهة في تفكيرها عندما يستعملون كلمات من دون تحليل مناسب للأفكار التي يفترض أنْ

يعّبروا عنها؛ ولذلك فـــ ـ"أفلاطون" كما يعتقد "ميشال" أنَّه في حواراته كان يصف "سقراط" بالمفكـر الذي يتحدى طلابه باسـتمرار لجعلهم يحللون الكلمات بدلاً من فهمها المألوف(٤٤).

أمَّـا «لـي وورف» صاحب فكـرة «مبدأ النسـبية اللغوية» التي أثـارت كثيراً من الجدلِ في الأوسـاطِ العلميـة, فيعتقـد أنَّ خلفية النظام اللغوي لأي لغة ليس مجرد وسيلة لإعادة إنتاج الأفـكار، ولكنَّ الصحيـح أنَّه هو الذي يشـكل الأفـكار والمنهج الموجه لنشـاط الفرد الذهني وكل ما يتعلـق بتحليل الانطباعات وعن توليفة مخزونه الذهني, وأنَّ صياغة الأفكار العقلانية وبناءُها لا تُعدّ إجراءات مسـتقلة؛ بلْ هي جزء مـن القواعـد. ويضيـف, «ولأنَّ اللغـة بفضل تمايز رموزهـا وتركيباتها الصرفية والصوتية فـإنَّ الثقافة السـائدة لأي مجتمع هـي انعكاس مباشـر للخصائص التي تتمتع وتتميز بها لغته. وقد أثار جدلاً كبيراً في قوله أنَّ لغة الاسـكيمو تحتوي على (٤٠٠) اسـمٍ للثلج ولـمْ يثبت إلى الآن حقيقـة زعمه هذا غير أنَّ المؤكد أنَّ هناك لغات تحتوي على أسـماء كثيرة لبعض الأشياء التـي تجد اهتماماً شـعبياً وتاريخيـاً مثل: الإبل في لغتنا العربية وكثير من الأسـماء والصفات لمختلـف الأشـياء, وهـو يعتقـد أنَّ وفـرة تلك المفردات تعطي مؤشراً موضوعياً لتأثير اللغة واستحواذها على طريقة التفكير .. فمثلاً قد نجد أنَّ لغة معينة قد تسـهل تمرير بعض المفردات أو التشـبيهات المحفـزة على الإبـداع والتأمل بينما تخفق لغة أخرى في انجاز تواصل فكري ايجابـي. وبنـاء عليه فـإنَّ التصـور المنطقي لهيمنة جانب معين فـي ثقافة معينة قد يكون له ما يسوغه لغوياً»(٤٥).

ولا يزال بعـض المحدثين من علماء اللغة ينظرون إلى اللغة هـذه النظرة على الرغم من استعانتهم بعلم الاجتماع في دراسة اللغة، حيث تتلخص نظرتهم علـى اختلافها في أنَّ الوظيفة الأساسـية للغة هي أنَّها وسيلة من « الاتصال» أو «التوصيـل» أو « النقـل»، أو « التعبيـر» عـن طريـق «الأصـوات الكلاميـة»، وأنَّ ما «توصـل» اللغة، أو «تنقلـه» أو «تعبر عنه» هو الأفكار والمعاني، والانفعالات، والرغبات، وغير ذلك، أو « الفكر» بوجه عام(٤٦).

أمَّـا وظائف اللغة في ضوء مقولات علماء اللغـة التـي تؤكـد اجتماعيتها وتبيّـن بجلاء أنَّ الوظيفـة الأساسـية للغة ليسـت كونهـا ضرباً مـن ايصال الأفكار فقط وفي هذا السـياق يذكر (محمود السعران) وظائف الكلام الآتية(٤٧):

١- « المنولوج» «حديث الإنسان مع نفسه» أو الـكلام الانفـرادي مثل: القـراءة الانفرادية بصـوت عـالٍ، وتدويـن الملحوظـات التي لا يريـد الكاتب بها إلاَّ نفسـه. مثال ذلك إنَّ المرأة المصرية عندما تخلو إلى نفسـها- سـواء أتقوم بعمل يدوي كانت أمْ لا- وتنشد الأشعار الحزينة باكيـة مَن فقدتهـم من الأحبـاب؛ لا ترمي إلى «نقل» إحساسـات أو أفكار؛ بلْ تسـتعمل اللغة بقصـد التنفيس والتفريج عـن آلامها وأحزانها. وهنـا لا يتـم التواصل لأنَّه لا يوجد سـامع؛ بلْ متكلم فقط ولا يمكن تحقق المتكلم والسـامع في شخص واحد كما يرى ذلك «سابير».

٢- اسـتعمال اللغـة فـي السـلوك الجماعي مثل: اسـتماع المصلين إلـى الآذان في الصلاة وإلى آيات مرتلة من القرآن الكريم، وإلى خطبة الخطيـب ودعائه، والكلام الذي يقال في الصلاة من نية وتكبير وتلاوة الفاتحة وآيات من كتاب الله

تعالى وتسبيح وتشهد وتسليم، وكذلك الحركات المرتبطة بها من ركوع وسجود؛ ذلك كله هو أبعد من أنْ يكون نقلاً للأفكار أو التعبير عن أحاسيس ومشاعر لايصالها أو لإفهام مخاطب ما، فالمصلون حينما يسلكون هذا السلوك إنَّما تتجه به قلوبهم وألسنتهم وأجسامهم إلى الخالق ولا يتوقعون من الخالق عز وجل أنْ يرد على كلامهم أو أنْ يتصل الحوار بينهم وبينه، فالأمر لا يعدو كونه نوعاً من المناجاة، والمناجاة لا يصدق عليها أنَّ غرضها الايصال.

٣- استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية مثل: التحيات ولغة التأدب والكلام عن حالات ظاهرة الجو وغيرها، هي حالات لا يتم فيها التواصل لغياب شروط العملية التواصلية؛ فالغرض الأساس من لغة التحيات أنَّها تسلك المتخاطبين في علاقة اجتماعية: أنَّها واجب اجتماعي لا مفر من أدائه، وإنَّ الاستهانة به أو التفريط به يكون مدعاة لخلق العداوة والبغضاء. وكذاك الحال مع لغة التأدب في الجماعات الكلامية مثل: شكراً، وعفواً، وآسف، والسلام عليكم، ومن فضلك وغيرها ، فهي لا تعدو كونها مظهراً من مظاهر التهذب والتمدن والتجمل وتدل على خُلق المتكلم وشخصيته، أو تكون أشارة تدل على الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتكلم، أمَّا الحديث عن الجو فهو الآخر لا ينقل أفكاراً أو يحمل أخباراً، فالأوصاف التي يلفظها لسانا المتخاطبَيْن بادية محسوسة، والأمثال التي قد يوردانها عن أثر الجو في الأجسام والنفوس والنبات والحيوان محفوظة وموروثة، وإنَّ الغاية من هذه الأحاديث هي التآلف والتعاطف والتنفيس وإمضاء الوقت، وانتظار موضوع جديد يتطرق إليه الحديث، وأحياناً ينقطع الحديث ولا شيء إلاَّ الجو وقد آنس المتخاطبان كلاهما متعة الكلام والسماع.

٤- ومن الوظائف التي تؤديها اللغة ما لا شأنَ له إطلاقاً بنقل الافكار أو التعبير عنها، أنَّها كثيراً ما تتخذ بين الكبار والصغار على حدٍ سواء، وسيلة إلى اللعب بالأصوات، وإلى التلذذ والانتشاء والسرور، فنحن كثيراً ما نردد أصواتاً أو كلمات غير قاصدين منها إلاَّ المتعة بأصواتنا والانتشاء بلغتنا من دون أنْ يكون لدينا ما هو جدير بالسماع. فاللغة بحسب تعبير" مدام دي ستايل" آلة يحب الإنسان أنْ يلعب بها.

٥- من استعمالات اللغة في غير نقل الافكار استعمالها لإخفاء أفكار المتكلم، وهذا كثيراً ما يحدث في لغة التحيات ولغة التأدب، ويتضح هذا الاستعمال بأوضح صورة في لغة السياسة. وأحياناً في لغة اللصوص والخارجين عن القانون بصفة عامة، وفيما يسمى "الكلام الحرام".

وهكذا نرى أنَّ الآراء التي تقصر وظيفة اللغة على نقل الفكر أو التعبير عنه لا يمكنها أنْ تحلل أشكال السلوك الكلامي جميعها، وأصح منها أنْ ننظر إلى اللغة على أنَّها وظيفة اجتماعية.

وهناك من اهتم بدراسة وظائف اللغة وتصنيفها بصورة عامة؛ نظراً إلى الأعداد الكبيرة جداً من الأغراض أو الوظائف التي تستعمل اللغة للوفاء بها. وربما كان أفضل محاولات التصنيف هذه ما قام به عالم اللغة البريطاني "هاليداي" الذي جمع أغراض اللغة ووظائفها تحت سبعة أصناف وهي على النحو الآتي[٤٨]:

١- الوظيفة اللغوية التي تعمل على التعامل مع البيئة لإحداث ظرف أو وضع معين مثل:

الأوامر، وعبارات الرجاء، وأحكام المحاكم، وعبارات الزواج والطلاق وما شابه ذلك.

٢- الوظيفة اللغوية التي تعمل على تنظيم الأحداث وتنظيم اللقاءات بين الأفراد، مثل: عبارات الموافقة أو الرفض أو الحوار أو المناقشة أو عبارات القوانين والأنظمة وما إليها.

٣- الوظيفة اللغوية التي تضمن المحافظة على العلاقات الاجتماعية الاعتيادية بين أفراد مجتمع معيّن، أو الأشكال الرسمية وغير الرسمية من اللغة، وأنواع التحية المناسبة لكل فئة من فئات المجتمع وأعماره، ومجرد تبادل الكلام المناسب في مناسبات مختلفة مثل: الحفلات الرسمية أو العامة أو الشخصية وغير ذلك.

٤- الوظيفة الإعلامية أو الإخبارية، حين تستعمل اللغة في الإخبار عن حقائق أو أحداث معيّنة أو عن نوع من المعرفة، أو في شرح أمر معيّن، أو تقديم تقرير عن موضوع معيّن مثل: التقارير والنشرات الإخبارية والمعلومات العلمية المختلفة، والمعلومات العامة التي يتناقلها الأفراد في أحاديثهم اليومية، أو تنشرها الصحف والإذاعات، أو تتناقلها النشرات أو المجلات العلمية العامة وما إلى ذلك.

٥- وظيفة اللغة التي تعبّر عن الانفعالات الشخصية من سرور وسعادة وحزن وغضب واستياء واشمئزاز وفرح وحب وكره، ومئات المشاعر التي تعتمل في صدر الإنسان.

٦- وظيفة استعمال اللغة في التعبير عن أمور خيالية، أي من خلق العقل الإنساني مثل: القصص والروايات والشعر على المستوى الراقي، ومجرد قول النكات، والأحاجي والفوازير، والكلام بقصد التسلية على المستوى الاعتيادي.

٧- وظيفة التربية والتعليم، سواء رسمية في المدارس والكليات كانت أمْ اعتيادية على ألسنة الأطفال الذين يسألون آلاف الأسئلة للوصول إلى معلومات عن العالم الذي يعيشون فيه.

وقد قام غير واحد من العلماء بتصنيفات أخرى تختلف كثيراً أو قليلاً عن تصنيف»هاليداي» لم نتعرض لها هنا؛ لأنّنا لسنا بصدد دراسة هذا الاتجاه العام بقدر الإشارة إليه كي نعطي صورة واضحة للقارئ الكريم عن وظائف اللغة.

وبصورة عامة يمكن تصنيف الوظائف الاجتماعية للغة إلى ثلاثة مستويات:

المستوى الثقافي: تنقل اللغة التراث الثقافيّ وتؤكده بين الأجيال، لأنّ القيم والمعايير الاجتماعية تنتقل في كلمات لغوية تضفي عليها اللغة دلالات رمزية معينة في مواقف اجتماعية مختلفة، فيتحدد بها سلوك الأفراد، واستجابتهم لتلك المواقف، فالمصطلحات مثل: (العيب، والحلال، والحرام، والصدق، والحسن، والقبيح) كلمات ذات مغزى اجتماعي يوجه سلوك الأفراد.

المستوى الاجتماعي: ويتمثّل في كون اللغة وسيلة أساسية لعملية التفاعل الاجتماعي، والنمو الفكري، ولا يتوافّر الفكر والمعرفة بدون تفاعل، كما أنّ المعرفة لا توجد بدون اللغة التي تحمل في رموز عرفية اصطلاحية، تمكّن من التعامل بها واستغلالها في التنشئة التربوية، والاجتماعية، والثقافية، والخلقية.

المستوى الشخصي: تتشـكّل وظيفـة اللغة فيمـا تؤديه للفرد من وظائف منذ ولادته وحتى مماتـه، فبهـا يكتسـب الطفل معانـي عناصر الوجـود، ويفهم قيم المجتمع وموروثاته الثقافية والاجتماعية، ويسـاعده الاتصـال اللغوي في اكتسـاب المعلومات، والأفكار، والمعاني التي تمكّنه من فهم الآخرين، وفي اكتساب المهارات، والقدرات الضرورية لتنمية مدركاته المعرفية، ومكتسباته الثقافية والاجتماعية[٤٩].

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إنَّ وظائف اللغة تجمع بين التعبير عن الأفكار وهنا يتجلى الجانـب العقلي الـذي يتبناه القائلـون بالوظيفة الفكرية للغة؛ ثمَّ إنَّها بعد ذلك- أي اللغة- ظاهرة اجتماعية وظيفتها التوصيل والتواصل.

علاقة التنوع البنائي للمجتمع بالتنوع اللغوي

لكـون اللغـة ظاهـرة حياتيـة اجتماعيـة صـارت مـن أكثـر الظواهـر التصاقـاً بحياة الأفـراد، تخضع لمقاييـس المجتمع، وأعرافه، وتقاليـده، وثقافتـه؛ ومن ثمَّ فهـي الطريق الى كشـف عادات المجتمع، وتقاليده، ومسـتوياته الثقافيـة، والمعرفيـة، والحضاريـة، بوصفها قطعة مـن الحياة؛ بلْ إنَّها صانعـة ومبدعة لها تنشـأ في المجتمع، وتسير معه وتتغذى بغذائه، وتنهض بنهوضه، وتركد بركوده.

وإذا كان اللسـانيون المحدثـون مـن أمثال "فيرث" وغيره قد أكدوا على دور السـياق في تحديـد المعنى، فإنَّهم اهتموا أيضاً بالاسـتعمال الفعلي للكلمة في إطار مجتمع بعينه أو مجموعة ثقافيـة، أو دينيـة، أو علميـة، أو مهنية بعينها، ويطلق (علي عبد الواحد وافي) اسـتعمال مثل هذا ما يسـمى باللهجات الاجتماعية فقد تتشعب أحياناً لغـة المحادثة في البلد الواحد أو المنطقة الواحـدة إلى لهجـات مختلفـة تبعـاً لاختلاف طبقـات النـاس وفئاتهـم، وهكـذا فـإنَّ اللغات واللهجـات المحليـة تتضمن تنوعـات كلامية في بنيتها تعـادل تباين التنوعات التي يتضمنها البناء الاجتماعي للمجتمع التي تشير إلى التعدد والاختلاف الموجود فـي المجتمع من النواحي الاقتصاديـة والثقافية والاجتماعية والسياسـية والطبقية وغيرها.

وتبدو هذه النتيجـة في صورتين: إحداهما تنـوع اللغة الواحـدة إلى لهجـات محلية، تتكلم بـكل لهجة منها منطقة خاصـة من مناطق هذه اللغة، والأخرى تنوع اللغة الواحدة إلى لهجات اجتماعية، تتكلم بكل لهجة منها طبقة خاصة من طبقات السكان[٥٠].

وقد عزا بعضهم هذا التنوع إلى[٥١]:

١- اختلاف البيئات الجغرافية:

فالأرض التي يعيش عليها البشـر مختلفة، فيهـا الجبال والسـهول والوديـان، والأراضي الزراعيـة والقاحلـة، ومتـى اختلفـت البيئـة الجغرافيـة فإنَّ ذلك يؤدي إلـى اختلاف اللغة، وتشـعبها إلى لهجات. ومثال ذلـك إنَّ المتمعن في اللهجة العراقية يكشـف من دون عناء كبير العلاقة الوطيـدة بين اللغة والبيئـة الجغرافية، فـلا توجد لهجة واحدة لكل أبنـاء العراق وإنَّما هنـاك لهجات متعددة بتعـدد المواقع الجغرافية والظـروف الطبيعية فتجعـل اللهجة الموصلية تختلف عن اللهجة البصرية ولهجة أهالي مدينة بعقوبة تختلف عن لهجة أهالي مدينة العمارة... وهكـذا. وهـذه الاختلافـات وإنْ كان بالإمكان

إرجاعها إلى اختلافـات لهجات العرب القديمة إلّا أنَّ كثيراً مـن الظواهر اللغوية في اللهجات العراقية وليد البيئة الجديدة وهو صورة صادقة لاسـتجابة الإنسـان لظروف البيئة المتغيرة في أراضي العراق الشاسـعة. وهذا الاتسـاع يفتح المجال واسـعاً لتنوع اللهجات وتباين أسـاليب الكلام ويظهر ذلك واضحاً حين ننظر إلى لهجات المناطق الغربية من العـراق وخاصة محافظة الأنبـار ومـا جاورها نجد فيهـا مظاهر البداوة المتمثلة بالصحراء الواسـعة والسماء الصافية ما يولد مقاطع صوتية ذات تركيب خاص يتبين أثر البيئة في تشـكيل مفرداتهـا نطقاً ومضموناً وشكلاً. وإذا ما انتقلنا إلى مناطق الجنوب نرى تأثير البيئة واضحاً في مفردات أبناء تلك البيئة حيـث الأهـوار الممتدة إلى مسـاحات واسـعة .وبالرغم من هذا التبايـن والتنوع في اللهجات العراقية إلاَّ أنَّ هناك سمات عامة مشتركة تجمع بينها مـا يدل على علاقة تقـارب واتصال بين مختلف سـكان العراق وإنْ كانت هذه اللهجات قد تأثرت في السـكان الأصليين لتلك المناطق، فقد سـكنت العـراق أقوام من جنسـيات متعددة من الأشـوريين والبابليين والفرس والأتراك... وغيرهـم ، إلاَّ أنَّ القبائـل العربيـة التي رافقت الفتح الإسـلامي للعراق كانت من الكثرة والقوة بحيث كانت الغلبة لها على ما سواها من اللغات القديمة، فقد كانت هذه القبائل تمثل حضارة فتية قويـة وثقافة أكثـر حيوية مما وجدتـه، بعد أنْ أصاب تلـك اللغات الوهن والجمود وطرأ على ثقافتها القحط والجدب[٥٢].

٢- تنوع الظروف الاجتماعية:

لا ريـب مـن أنَّ كل قـوم لهـم قوانينهـم وطرائقهـم الخاصة فـي معيشـتهم، وتفكيرهم سـواء في ذلك الشـعوب المختلفة أمْ في طبقات الشـعب الواحد، فكل شـعب له ملامحه الثقافية وعاداته وتقاليده الاجتماعية الخاصة التي تميّزه من الشـعوب الأخرى، كذلك فالشعب الواحد قد توجد فيـه طبقات متعددة من صناعية وتجارية وثقافية وفلاّحية وغير ذلك، وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات ولهجاتها.

٣- الاتصال البشري وآثاره:

الإنسـان فـي حاجـة إلـى مسـاعدة أخيه الإنسـان، لذلـك فقد يتصـل بنو البشـر لتبادل المنافع، كما أنَّ الإنسان قد يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلي إلى مكان آخر بحثاً عن القوت أو لأسباب أخرى دينية أو سياسية، واتصالات مثل تلـك تحتاج إلى معرفة هـؤلاء بلغات الآخرين حتـى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات معهم، أو إخضاع جماعة ما لسـيطرتهم، وهذا يؤدي إلى احتكاك اللغات ببعضها ونشـوب صراع بينها، ما يتسـبب في اختلاف اللغات عـن أصلها بما يفرقها إلى لهجات.

ويتشـعب هذا التنـوع بدوره إلى قسـمين رئيسين:

أولاً- اللهجات المحلية:

هـي اللهجات التي تظهر فـي البلد الواحد باختلاف أقاليمهـا وما يحيط بكل إقليم منها من ظروف وما تمتاز بـه من خصائص، وتختلف هـذه اللهجـات عن بعضهـا اختلافـاً كبيراً في المساحة التي تشـغلها كل منها: فمنها ما يشغل مقاطعة كاملة ومنها ما تضيق منطقته فلا تشمل إلاَّ بضـع قرى متقاربة، ومنها ما يكون وسـطاً بين هذا وذاك. وكثيـراً ما تختلف هذه المناطق اللغويـة في حدودهـا عن المناطـق المصطلح

عليها التقسيم الإداري والسياسي، فقد تقسم القرى التي تتألف منها منطقة لغوية واحدة بين محافظتين أو أكثر، وقد تجتمع في محافظة واحدة أو مركز واحد عدد كبير من المناطق اللغوية[٥٣]. وتقوم هذه اللهجات بالاحتفاظ بشخصيتها ووجودها أي تصبح شكلاً من أشكال التعريف بالجماعات اللغوية من خلال:

أ- محاربتها عوامل الإبداع والتغيير في داخل منطقتها وذلك من خلال العلاقات التي تربط بين ناطقيها في الإقليم أو المنطقة اللغوية والتي تقود إلى قوة الضمير الجمعي ومن ثم تتأكد سيطرة النظم الاجتماعية، والذي يؤكد سيطرتها على كل محاولة فردية للخروج عن نظامها اللغوي.

ب- قلة فرص احتكاكها بالأقاليم والمناطق اللغوية المجاورة، أي لديها نوع من العزلة والاستقلال ولاسيما في البيئات الزراعية التي تقل فيها وسائل المواصلات وتضعف حركة الأفراد، حتى وأنْ حدث أنْ تزوج رجلٌ من نساء المناطق المجاورة أو احتك بعض الأفراد بالمناطق اللغوية المجاورة فإنَّ هؤلاء قلة وليس لهم تأثيرٌ واضحٌ في التغير اللغوي، بلْ كثيراً ما يحصل العكس فإنَّ هؤلاء الأفراد الذين يدخلون ويتعايشون مع أهل اللغة الخاصة بالإقليم أو المنطقة المحددة سرعان ما يميلون إلى محاكاة لسان المنطقة التي يقيمون فيها[٥٤]. غير أنَّه قد تتاح أحياناً للهجة محلية فرص للاحتكاك الدائم مع لهجة أخرى حينها يحدث ما يسمى بالصراع اللغوي والذي ينتهي إلى إحدى نتيجتين:

- قد لا يحدث أي تأثير متبادل فيما بينهما وذلك إذا تساوى أهل المنطقتين في الثقافة والنفوذ والقوة.

- إذا كان هناك اختلاف بين أهل المنطقتين في المظاهر السابقة فيحصل أحياناً أنْ تتأثر إحداها في الأخرى. وهذا التأثر قد يكون يسيراً يشمل بعض المظاهر؛ وقد يكون عميقاً ينتهي بالقضاء على إحداهما[٥٥].

ومن اللهجات المحلية ما يسميها (فندريس) vendryes اللغة الخاصة ويعني بها تلك اللغة التي لا تستعملها إلاَّ جماعات من الأفراد وجدوا في ظروف خاصة، مثال ذلك حالة) المحضِر) مبلغ الأوامر القضائية) وحالة القاضي) فهذان الموظفان يستعملان في تحرير الأوامر لغة بعيدة جداً عن اللغة الجارية وهي اللغة القانونية، ومثال آخر وهي لغة الطقوس الدينية فكثيراً ما يستعمل المؤمن في خطابه لله لغة خاصة[٥٦].

ثانياً- اللهجات الاجتماعية Sosiolect:

هي لهجة مشتركة بين أناس متشابهين في مستواهم الاجتماعي، من نواحي العمر والتعليم والعمل والطبقات الاجتماعية والحالة الاقتصادية... وما إلى ذلك من المستويات المتعلقة بهوية الناطقين بها الشخصية. وقد تذهب بعض اللهجات الاجتماعية إلى الانحراف عن الأصل الذي تشعبت منه حتى تكاد تصبح لغة مستثقلة غير مفهومة إلاَّ من المتكلمين بها أو أهلها. وفيما يأتي أهم صور اللهجات ذات التنوعات الاجتماعية :

١- **اللهجات الحِرفية:** وهي اللهجات التي يتكلم بها فيما بينهم أهلُ الحرف المختلفة وتسمى أيضاً بـــ (اللغات العامية الخاصة)، وتتميز بتنوعها الذي لا يُحَد، وتغيرها الدائم تبعاً للظروف الاجتماعية والأمكنة، فكل جماعة خاصة وكل

هيـأة من أربـاب المهن لهـا عاميتهـا الخاصة، فهنـاك عامية طلبـة المدارس وهـي غير واحدة فـي المدارس كلها؛ بـلْ وتختلف أحياناً باختلاف الصفـوف الدراسـية، وهنـاك عاميـة الثكنـات الخاصـة التـي تختلـف باختلاف الأسـلحة؛ بلْ وباختلاف الثكنات أيضاً، وهناك عامية الخيّاطات الخاصة وعامية الغسّالات وعامية عمال المناجم وعاميـة البحارين[٥٧]. ويرى (أولمـان) بأنَّ لكلٍّ من هـذه المجموعـات ثروتها اللفظيـة الخاصة بها، وهي ثـروةٌ تعكس خصائص الموضوعاتِ والمناقشـات التي يتناولها الأعضـاءُ فيما بينهم، وتسهل اتصالهم ببعضهم، ولكنَّها في الوقت نفسه تزيد في الهُوة التـي تفصلُهم عن غيرهم ممن لا ينتمـون إليهـم، وهـذا الاتجاه نفسـه موجود في اللهجات الطبقية الخاصة مثل: لهجات اللصوص والسـراق- التي سـنتحدث عنها في الفقرة الثالثة التالية- ويقوي هذا الاتجاه في هذه اللهجات النزعة إلى خلـق مصطلحات صادقة التعبيـر، لا تخلو من عناصر الدعابة والفكاهة وكاشفة عن الروح البيئية الخاصة[٥٨]. وبهذا فإنَّ ما يؤدي إلى نشـأة هذه اللهجـات ما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم مـن تباين في الثقافة والتربيـة، وجوانب التفكير والوجدان، ومسـتوى المعيشـة والحياة الأسرية والبيئة الاجتماعية، والعادات والتقاليد، وما تزاوله كل طبقـة من أعمال وتضطلع بـه من وظائف، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة ومهنة في عقلية المشـتغلين بها، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته، وإنشاء مصطلحات خاصة بصـدد الأمـور التي يكثـر ورودها فـي حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم، وما يلجأون إليه من اسـتعمال مفردات فـي غير ما وضعت له أو قصرها على بعـض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعتهم وأعمالهم .. وهلم جرا[٥٩].

٢- الرطانـــة: رطـن معناهـا فـي اللغـة تكلـم بالأعجميـة أو تكلـم بلغته أو أتـي بكلام غير مفهـوم[٦٠]. والرطانة بحسـب موسـوعة (ويكبيديا) أي لغة تنشأ بشكل تلقائي من اختلاط لغـات متعـددة بوصفهـا وسـيلة للتخاطب بين الناطقين بلغـات مختلفة كما هو الحال في كثير مـن الدول العربيـة. ولعلَّ حالـة دول المغرب العربـي مثال صارخ على هـذه الرطانة حيث يتضح بشـكل جلـي تأثيـر اللغة الفرنسـية في المجتمـع حيث ترى الشـخص الجزائري مثلاً نصـف كلامـه- بل أكثـره- بالفرنسـية، حتى إنَّ بعـض المناطـق كأنَّ اللغـة الرسـمية فيها الفرنسـية، وكأنَّهـا قطعـة من أوربـا، ووصل الأمر بهـم أنَّهم يتعجبون ممـن يتكلم بالعربية، ويظنـون أنَّـه من المشـرق العربـي. كذلك إذا دخلـت إلى الإدارات والمؤسسـات والجامعات تجد أكثر الأوراق والوثائق بالفرنسية، حتى أنك تحتـاج لمترجم لكي تفهم، وتجـد الطلبة يتقنون اللغة الفرنسية وبعض اللغات، ولا يتقنون اللغة العربيـة فـي الإمـلاء أو النطـق الصحيح عند القراءة، فضلاً على الإعراب والشكل. والعجب أنَّ اللغـة الرسـمية فـي الجزائر هـي العربية. وفـي تونس فإنَّ السـلوكيات التونسـية اللغوية تشـير بوضوح الى أنَّ اللغة العربية ليست هي اللغـة الأولى نفسـياً واسـتعمالاً اجتماعياً عند أغلبية التونسـيين والتونسـيات ومؤسسـاتهم. ويـرى "محمود الـذوادي" أنَّ ذلـك يعود إلى الازدواجية اللغويـة الثقافية المتحيزة إلى اللغة الفرنسـية وثقافتها على حسـاب اللغـة العربية وثقافتها فـي عهدَيْ الاسـتعمار والاسـتقلال، وهي ما أطلق عليـه مفهوم الازدواجية اللغوية الأمـارة، ويـرى بـدون تغييرها لصالـح اللغة العربية وثقافتها عند الشـعب التونسي لا يمكن

عدّ معرفــة اللغة الفرنســية وثقافتها غنيمة كما يرى معظم التونســيين والتونســيات، ولعلَّ من أهم الآثار السلبية لهذا الحال حمل ثقافة الغرب وأفكاره بســبب اســتعمال لغته، وكثــرة التفرق والشقاق؛ بلْ وتقود إلى ما أسماه عالم الاجتماع الماليزي الشــهير (سيد حسين العطاس) بالعقل السجين The Captive Mind بين أهالي هذه الشعوب وهو العقل الذي ينقصه التأهل للابتكار والإبداع، واكتشاف التصورات والحلول البديلة للأشــياء المطروحة، انطلاقاً من تراثه الفكري والعلمي والثقافي لهويته الحضارية[٦١].

ويرى (كمال بشــر) أنَّه يمكن عدّ الرطانة شكلاً من أشكال العاميّة، على أساس أنَّ كلتيهما نــوع من الكلام خارج في عمومه عن أســاليب اللغــة الأدبية أو الفصيحة وضوابطها وقوانينها المســتقرة، وهي أي الرطانة محــدودة الزمان والمكان وتتغير تبعــاً لتغير الأجيال والظروف المحيطــة بها، وتتنــوع بتنوع مســتعمليها من الوجهتين الثقافية والاجتماعية، وتتميز بميزتين أساسيتين وهما:

- التطور المستمر السريع لمفرداتها.

- يصعب على غير أهلها اســتيعاب معانيها بســهولة[٦٢]. ومن أمثلة هذا الضرب من الكلام ما يشيع أحياناً من عبارات بين المصريين مثل:

(إحنــا اللــي دهنا الهــوا دوكــو) كناية عن الشــطارة والمكــر والدهــاء، و (صافــي يــا لبــن) عبــارة تقــال فــي جلســات الصلــح بين المتخاصمين... وغيرها.

٣- اللهجات الســرية: وهي مــن اللهجات الخاصة التي يســتعملها عدد محــدد من الأفراد للتفاهم الذي فيه شــيء من السرية، وهي عامية الأشــقياء الخاصة وهي خارجة عــن التوظيف اللغــوي المألوف مبنىً ومعنىً، وتوظف توظيفاً خاصاً في ســياقات ومواقف محــددةٍ، وهي لغةُ طبقــة أو طبقات اجتماعية تمارس نشــاطَها في الخفــاءِ والســرية التامة ويُعبر عنهــا أحياناً بـــ (العالم السفلي) ويوظفها المجرمون والخارجون عن القانون والمزاولون لأنشطة مرفوضة عرفاً، ويعاقــب عليهــا القانون مثل اللصــوص وتجار المخدرات والمهربينِ؛ بلْ وقد يســتعملها بعض زعمــاء العصابات المســجونين لاصدار أوامر بالقتل أو التهريب ينفذها أعوانهم خارج الســجن عن طريق رسائل مشفرةٍ، ومن الثابت في بعض المجتمعات أنَّ سؤالَ أحدِ الخارجين عن القانون لزميلِه متى عدت مِن أوربا؟ تعنى في استعمالهم اللغــوي متى خرجت من الســجن؟ ويشــيع في استعمالهم اللغوي لفظة الأساور تعبيراً عن الأداة التي يقيد فيها المجرم... وغير ذلك .

٤- لهجات النساء والرجال: تختلف لهجة الرجــال عن لهجــة النســاء اختلافاً يســيراً أو كبيــراً تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية، ويحدث ذلك كلما اســتحكمت حلقات الانفصال بين الجنســين حيث تنشــأ أحيانــاً لهجة تختلف اختلافاً بيّناً عن لهجة الآخر، أو تشتمل لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تستعمل في اللهجة الأخرى[٦٣]. فالرجل له خواصه اللغوية وكذلك للمــرأة خواصها اللغويــة، فبالرغم من شــراكة المرأة للرجل في مجمل أنماط السلوك ومنه السلوك اللغوي إلاَّ أنَّ لها طبيعتها وميولها الخاصة، وهنا يقول (كمال بشــر): « إنَّ المرأة أكثــر التزاماً بالمثــل الاجتماعية مــن الرجل، وأقوى اســتقراراً منه فــي عاداتها الاجتماعية، وأشــدّ منه مقاومــة للتغيرات عندمــا تنتقل إلى بيئــات جديدة، وإنَّ ميلها العام للمحافظة يجعلها

أكثر تمسكاً بالأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع، ومن ضمنها الأعراف والتقاليد اللغوية، إنَّها تفعل ذلك حفاظاً على شخصيتها، ورغبة في تأكيد مكانتها»[٦٤]. لذا نجدها في سلوكها اللغوي أكثر التزاماً وتمسكاً بالعرف اللغوي العام، ولا تسمح لنفسها بالسقوط أو التورط فيما نبا وشذَّ من الكلام، أو جاوز حدود اللياقة، أو ما من شأنه أنْ يحط من كرامتها، أو يفقدها ميلها الطبيعي إلى حمايتها بسياج من الاحترام والتقدير[٦٥]. فللمرأة قاموسها الخاص في اختيار الألفاظ ولاسيما تلك الألفاظ التي تخدش الحياء والتي يتصل قسم منها في العلاقات الجنسية وبعض الأفعال التي تعدّ من المحرمات، والمرأة في المواقف الحرجة تحوم حول المعنى، وتحاول البيان بأساليب حُسن التعبير، فتلجأ إلى الكلمات أو العبارات الرقيقة، أو تكتفي بالإشارة أو التلميح إلى المقصود[٦٦].

من جهة أخرى فإنَّ المرأة تمتاز بخواص بيولوجية في بعض أعضاء النطق، ونعني بذلك «الأوتار الصوتية» تجعلها تنفرد ببعض السمات الصوتية التي تشيع في وسطها أكثر من الرجال، ومن ذلك ميلها إلى ترقيق الأصوات، ولاسيما في تلك الأصوات التي لا تظهر قيمتها الدلالية إلاَّ بالتفخيم، كالصاد والضاد والطاء والظاء، المعروفة بأصوات الإطباق، فهذه الأصوات الأربعة تنطقها المرأة خاصة الفتيات والمتطلعات من النساء، بصورة تماثل في جملة الصفات والسمات نظائرها المرققة، وهي السين والدال والتاء والذال، وكذلك الحال في نطق الراء المفخمة، وهو سلوك لغوي يشترك فيه معها في وقتنا الحاضر كثير من الشباب، وكذلك بعض كبار السن غير العارفين وغير المثقفين لغوياً[٦٧].

ومن ذلك ما يشيع في الاستعمال اللغوي في الواقع العراقي بعض الألفاظ النسائية التي تنطق بتنغيم خاص تبعاً لسياق الموقف تعبيراً عن التوسل أو اللطافة من مثل ''حباب، فدوة أروحلك، عفْية'' ولعلك تجدها محظورةَ الاستعمال عند مجتمع الرجال، فإنْ استعملها الرجل فسيكون في موضع استهزاء وسخرية من المجتمع؛ بلْ وقد يحكم المجتمع على مستعملها بأنَّه كثير التعايش مع مجتمع الأنوثة وقد يعبر عنه في مجتمعنا العراقي بمصطلح ''انسوينجي'' وما ذكرناه عن مجتمع الرجال يصدق على مجتمع النساء فاستعمالهن لبعض الألفاظ بصورة خارجة عن العرف الاجتماعي وطريقة أداء بعض الكلمات بتنغيم ونبر خاصين من مثل ''الله بلخير، شلونكم شباب'' هذا كلُّه من شأنه أنْ يؤذنَ بانسلاخِ هذه المرأة أو تلك عن مجتمع الأنوثة وهو ما يؤدي إلى وصف تلك المرأة في مجتمعنا العراقي بمصطلح ''مسترجلة''[٦٨].

اللغة العربية بين تعدد اللغات وسيطرة اللهجات المحلية.. الواقع والحلول

إذا كنَّا قد أشرنا فيما تقدم إلى التعدد اللغوي في السياق الاجتماعي العام؛ فإنَّ ذلك التعدد ينطبق بتفاصيله كلها على بلادنا العربية من المحيط إلى الخليج، حيث تتعدد اللغات واللهجات العاميّة وسيطرتها على السوق اللغوية العربية، وهو وضع يهدد اللغة العربية الفصحى بالخطر المبين، حيث يسود بين العرب جوَّ لغوي مغلوط مشحون بالمتنافرات من أنماط الكلام، محشو في بعض الأحيان بكلمات وعبارات أجنبية لثقافات أجنبية تحمل في طياتها تغريباً لغويّاً وثقافياً للإنسان العربي. زد على ذلك فإنَّ اللغات

أو اللهجـات العاميّـة تلك- بحالتهـا الراهنة- لا تصلـح أنْ تكـون أداة لأكثر مـن التخاطب في الشـؤون الاعتياديـة؛ فلا يجـوز اتخاذهـا أداة للكتابة وما يُطلب بها من الأغراض، ونستغرب تلـك الأصـوات المتعالية هنا وهنـاك والمنادية باستعمالها بوصفها لغة كتابة، وهي- فضلًا على قصورها- تختلف باختلاف الأقطار؛ بلْ الأقاليم المتقاربة؛ فلهذا لا تصلح أنْ تكون لغة عامة، فلا مستقبل لها إلاَّ الاندماج في تلك الشجرة العظيمة التي نمت علـى الأيام وأصابها الركود الشـديد عصـوراً غير قصيرة ونعني بهـا اللغة العربية الفصحى[٦٩]. فـكان لا مناص من النظر في هذا الأمر، لمعالجة هـذا الوضع غير المقبول، وفي هـذا السـياق يرى (كمال بشـر) بـروز أربعة اتجاهـات، لا تلتقي فيما بينها فـي قليل أو كثير وهي على النحو الأتي[٧٠]:

الأوَّل- يـرى أنَّ مـن طبيعـة اللغـة التنوع والتوزيع إلى عامَّيات تقوم بدورها في التواصل والتوصيل، ومن ثمَّ ينبغي ترك الأمور على ما هي عليه.

الثاني- يدعـو إلى التمسـك بالفصحى كما ورثناهـا عن الأجداد، ونبذَ كل تجديد أو تطوير فـي هذه اللغـة، وهو أمـر ينافي طبيعـة اللغة المتطورة والمتجددة.

الثالث- يرى أصحابه الجمـع بين الفصيح والعامَّي في اللغة، والتمسـك بما سـموّها اللغة الثالثة.

الرابع- يذهب أصحابه إلى الأخذ بالعامَّيات ونبذ الفصحى نهائياً، لأنَّها لم تَعدْ ذات غنى في التوصيل والتواصل لجماهير الشـعب العربي، وترخص بعضهـم قليلاً فـرأى إمكانية اعتماد الفصحى لغة كتابة، والعامَّيات وسـيلة التعامل اللغوي العام.

وهكـذا فـإنَّ الاتجاهات الأربعـة لا تؤهل نفسـها بواقعهـا الحاضـر لأنْ تكـون نقطـة الانطـلاق إلى الإصلاح اللغـوي للغتنا العربية ذات الحدود والرسوم الضابطة لها ولأحكامها.

ويقدم (كمال بشـر) تصوراً يمكن أنْ يحقق الأمـل فـي الوصول إلى جوٍّ لغـويٍّ نظيف أداته العربيـة الصحيحـة الفصيحـة باتخاذ الوسـائل والعوامل التي تؤدي إلى تشكيل هذا الجو وتعميقه واتساعه بوصف اللغة تمثل العرب جميعاً وليس طائفة منهم أو بيئة من بيئاتهم. وأوّل هذه العوامل وأبعدهـا أثراً هو التجريب ومحاولة توظيف هذه اللغـة كُتباً ونطقاً، ويرى أنَّ الأداء النطقي الفعلي هو قطب الرحى الذي تدور حوله عملية اكتساب اللغـة وخطواتها المتتابعة الحلقات حتى تسـتقر قواعـد هذه اللغة وضوابطها في الدماغ، ويصبح كل فرد فـي المجتمع المعين قـادراً على التوليد منها ما شـاء له أنْ يولد لهذا المنطوق المسـموع في الوقت نفسه الذي ينبغي ضبطه وتجويده حتى نصل إلى صيغة مقبولة مرضيّاً عنها من الجميع. وهنـا لابدَّ من أنْ تتجلى القـدوة اللغوية الصالحة فكراً وسـلوكاً في التثقيف اللغوي الصحيح، فهي خيـر بداية للانطـلاق إلى خير اللغـة، برعايتها وصيانتهـا، والعمل على تثبيـت أركانها وضبط حدودها، حتـى لا تتفرق أوصالها ويذوب بناؤها في بحور الألسن والرطانات الناشزات المتنافرات فيتفرق أهلها. وصور القدوة ذات الحضور الفاعل في البيئـات كلها والتجمعات البشـرية صغيرها وكبيرها على السواء وأهمها[٧١]:

- **المنزل:**

للمنـزل دورٌ كبيرٌ في رسـم طريق الحياة للأبناء، ومن أهم خطوط هذا الرسم خط السلوك اللغوي، من منطلق أنَّ اللغة بنية إنسـانية تكمن في أحشـائها وتسـتقر في جنباتهـا قيم المجتمع وأعرافه وتقاليده كلها، فكراً وسـلوكاً. فللوالدين ولـلأم تحديـداً الدور الأكبـر والأكثـر تأثيراً، إنَّهـا تداعـب صغيرهـا وتلاعبـه، وتراقصه وتغنِّـي لـه، وترضعه من لسـانها كما ترضعه مـن صدرهـا، فكيفما يأت منطوق هذا اللسـان (عربياً فصيحـاً، عاميًّاً مخلوطاً، مغلوطاً) يكنْ اسـتخلاص الصغير لظواهـره العامة وقواعده وضوابطـه.» فالمـرأة هـي التي تمـلأ ذاكرة الأطفال بالمحصول الأوَّل للغة، وتهيئ لهم أوَّل ما يحتاجون إليه من الذخيرة الكلامية في رحلة حياتهم، فهي ليسـت فقط عاملاً كبيراً في تقرير لغة الكلام وصقلها؛ بلْ هي أوَّل معلم نتلقى عنه هذه اللغـة»[٧٢]، وهكذا يمكـن توظيف العربية الفصيحة بالتجريب والمحاولة، وبمرور الزمن يدرج اللسـان في طريقه إلـى التجويد والصقل والتهذيب. (نحتاج إلى قدوة والدة)

- **دور التعليم:**

ينتقل الصغير بعد صورة المنزل إلى صورة أكبر سـعة متمثلة في المدارس أو دور التعليم، وهذه الدور تسـتقبل تلاميذها وقـد يكون لديهم محصـول لغوي صحيح أو مغلـوطٌ أو مخلوطٌ بلهجـات ورطانات مختلفة، وهنا يتجلى واجب المدرسـة بوصفها قدوة بالعمل على إشاعة جوٍّ لغوي متكامل من شـأنه تقريب ألسـنة التلاميذ مـع بعضهم، وصولاً إلى لسـان مشـترك قدر الإمكان يكون خالياً مـن الأخطاء والرطانات، وبذلـك يتحقق لهؤلاء التلاميذ وللطلبة الآخرين في مراحلهم التعليمية المختلفة الشعور بالانتماء لقافلة واحدة يقود في النهاية إلى تعميق الشعور بالانتمـاء للوطـن الواحد؛ ولا يتحقـق ذلك إلاَّ بقدوة تعليمية مخلصة تسلك مسلكاً لغوياً سليماً. « لكـن الأمـر ليـس كما يـرام هو أنَّنا نسـيء تعليم لغتنا، ونجعلها بسـوء طريقتنا في تعليمها وبتقصيرنـا في حقها أعوص مطلبًا مما هي في الحقيقة، وأشـق في التحصيل على أبنائها»[٧٣]. (نحتاج إلى قدوة تعليمية)

- **وسائل الإعلام:**

وسـائل الإعلام (صحافة، إذاعـة، تلفاز... وغيرهـا) تُعدّ مدارس جماهيريـة تقدم المعرفة والثقافة والخبرة للجميع، صغاراً كانوا أم كباراً، نسـاءً أم رجالاً، مثقفين أم غيـر مثقفين، في أي طبقة وفي أي مهنة أو حرفة، فضلاً على ذلك أنَّها ميسورة المنال، تصاحبنا أينما نحل ونرتحل، لا تكلفنا كثيراً مـالاً يذكر أو جهداً كبيراً يبذل. إنَّها صانعـة لمعاني المواطنة والقيّمة على غرسـها في نفوسـنا والتي تمدنا بعوامـل الوحدة والقوة، مـن خلال الكلمة المكتوبـة والمنطوقة الموظفة توظيفاً لغويـاً صحيحاً فصيحاً؛ يمكنها أنْ تكون قدوة تثقيفية أو مُثلاً يحتذى به بخيرها وشرَّها.» ولا زالت وسائل الإعلام ولاسيما جهاز التلفاز، عاجـزة عن تحديد المادة الصالحة للمسـتمع أو المشـاهد، فأصبحت تقدم لنا أعمـالاً تكاد تكون خالية من أية نواحٍ ثقافية أو تربوية تسـاعد على النهوض بعقلية المشاهدين والأجيال الجديدة التي تشـاهد هذه الأعمال، فمعظـم الأعمال التلفازية تحمل في مضمونها مادة لغوية تحوي كثيراً من الألفاظ المسـتحدثة والدخيلـة على اللغة العربية تسهم إلى درجة كبيرة في التدهور اللغوي»[٧٤]. **(نحتاج إلى قدوة إعلامية).**

هكذا نحتاج إلــى تلك القدوات في مجتمعنا العربي عموماً والعراقي على وجه الخصوص، فمثل هذه القدوات الصالحة في التوظيف اللغوي تــكاد تكون مفقــودة أو أنَّها غيــر مؤهلة تأهيلاً مناسباً للقيام بدور التثقيف اللغوي الصحيح، في حين أنَّهــا تمثل أهم العوامــل المؤدية إلى خلق مناخ صحي تســترد فيه لغتنا العربية أنفاســها، وتعود إليها قوتها وحيويتها.

أهم النتائج:

وفــي عجالة هذا البحث المتواضع توصلنا إلى النتائج الآتية:

١- لا وجــود لأيــة لغــة مــن دون وجــود الدلالــة التي تربــط بين الكلمــات ومعانيها في أذهان النــاس يطلق عليها الدلالة العرفية، ومن خلال المران يكتســب النــاس الدلالات النحوية والصرفية التي سرعان ما تتداخل مع تجاربهم فــي الحيــاة ومن ثــمَّ تبــدأ مرحلة جديــدة لهذه الدلالــة، وهي: الدلالة الاجتماعية؛ إذنْ فالدلالة الاجتماعية هي: توسع نطاق الدلالة العرفية في الفهم والشيوع والاستعمال.

٢- تباينــت آراء العلماء حــول وظيفة اللغة والأغــراض التي تؤديهــا فهناك مــن يرى أنَّ وظيفة اللغة الأساســية تتلخص في التعبير عن الأفــكار ونقــل الخبرات الإنســانية (المدرســة العقليــة)، وهنــاك مــن يــرى أنَّ وظيفــة اللغة تتجــاوز حــدود التفكير المجــرد بوصف اللغة ظاهــرة اجتماعيــة وظيفتهــا الأساســية هــي التواصــل والتعــاون والترابــط الاجتماعــي، (المدرسة الاجتماعية).

٣- التنوع اللغــوي ظاهرة مرتبطة بالتنوع الاجتماعي، فاللغات واللهجات المحلية تتضمن تنوعات كلامية في بنيتها تعادل تباين التنوعات التــي يتضمنها البنــاء الاجتماعي للمجتمع التي تشــير إلــى التعــدد والاختــلاف الموجــود في المجتمــع مــن النواحــي الاقتصاديــة والثقافية والاجتماعية والسياسية والطبقية وغير ذلك.

٤- لعــلَّ أخطــر مــا تواجهه اللغــة العربية في وضعهــا الراهن يتمثل في اللغــات العاميّة وســيطرتها على الواقع اللغوي الفصيح، وذلك ينذر بالتغريب اللغوي والثقافي للإنسان العربي ولاســيما في ظل وجود من يدعو إلى أنْ تحتل مكانهــا على الأقلام لتصبح مكتوبة تزاحم اللغة العربية الأم الفصحى.

٥- مــن أهــم العوامل المؤثــرة في توظيف اللغة نطقــاً وكتابة هو التجريــب والمحاولة من القدوات ســواء في المنزل كانت أمْ في المدرسة أمْ من خلال وســائل الإعلام؛ لكنَّ الواقع يشــير إلى تدني مستوى هذه القدوات في هذه المجالات، فالوالدان وفي خضم الضغوط الحياتية لا يعبئان بمــا ينطقان به أمام الأطفــال الذي يكاد أنْ يكون كلــه كلاماً عاميّاً لا يخلو مــن الكلمات المتنافرة والمغلوطــة، كذلك الحال في المدارس نفتقد إلى القــدوة التربوية القادرة على إشــاعة جو لغوي ســليم يحقق للأطفال الشعور بالانتماء إلى وطن واحــد ولغــة واحدة، مــن جهة أخــرى ما زالت وسائل الإعلام عاجزة عن تحديد المادة الصالحة للمســتمع أو المشــاهد، فأصبحت تقدم لنا أعمالاً تــكاد تكون خالية من أية نــواحٍ ثقافية أو تربوية تســاعد في النهوض بعقلية المشاهدين والأجيال الجديدة التي تشاهد هذه الأعمال.

التوصيات:

١- ضـرورة أنْ يبـادر أصحاب القرار في الدولة إلى سـن القوانين والتشريعات الصارمة التي تحمي لغتنا العربية ولاسـيما في مؤسسات الدولة الرسمية.

٢- الدعوة إلى المحافظة على اللغة العربيّة عند استعمال اللغات الأجنبية.

٣- العمـل علـى تعزيز الأمـن اللغوي في مجتمعنـا وذلك مـن خلال بعـض الإجراءات المهمة منها:

- عقـد الدورات والـورش المتواصلة للعاملين في مجـال اللغة العربية ولاسـيما المعلمين والصحفيين.
- وضع الإعلانـات في الأماكـن العامة باللغة الفصحى مع ضـرورة التأكد من صياغتها الإملائية والنحوية.
- إمكانيـة أنْ تقـوم أقسـام اللغـة العربيـة في الجامعـات والمعاهـد بإصـدار نشـرات دوريـة بالألفاظ الدخيلة علـى لغتنا العربية واعمامها على الأقسام العلمية بعد أنْ تكاثر الدخيل من اللغات وتسـارع الألفاظ الدخيلة إلى اللغة العربيّة.
- تنشـيط حركة الترجمة مـن اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية.
- توجيه المؤسسات الإعلامية ولاسيما الإذاعة والتلفـاز الـى ضـرورة تقديـم برامجهـا المختلفـة بلغـة عربية سـليمة ذات أهداف تربويـة. إذ أنَّ كثيراً من وسـائل الإعلام لا تلتـزم بقواعد اللغـة العربيّة الفصحى حتى في نشراتها الإخبارية.
- من الضروري إنشـاء قنوات فضائية خاصّة بالأطفـال والكبار لتعريفهـم بلغتنا العربيّة الفصيحـة ولاسـيما في ظل وجـود بعض الأصـوات المناديـة بالتخلـي عـن اللغـة الفصحى وإعلاء اللهجات.

٤- التوعية بضرورة التفريق بين اللهجات وبيـن اللغـة العاميـة فاللهجات لا تفـرق أبناء الوطن، لكنَّ العامية من شـأنها إثارة الفرقة بين العرب لأنَّها تجعلهم أشـتاتاً خلف لغاتهم التي لا يفهمهـا غيرهم، من هنا تتصـدع لغتنا العربية وتضعف وحدتنا العربية والإسلامية.

٥- العمل على (صناعـة) القدوات اللغوية التي تأخذ على عاتقها مهمة التثقيف اللغوي في مختلف مؤسسـاتنا الاجتماعية ومنها الأسـرية والتربويـة والإعلاميـة لأنَّها المنطلـق الوحيد لترسيخ مفاهيم لغتنا العربية الفصيحة في أذهان الأفراد منذ الصغر.

المقترحات:

نقترح على الباحثين دراسة الموضوع من الجوانب الآتية:

١- دراسة التعدد اللغوي والعولمة.

٢- دراسـة ميدانية للغـة العامية واللهجات ودورها في إضعاف اللغة الفصحى.

٣- دراسـة ميدانيـة لدور وسـائل الإعلام المكتوبـة والمرئيـة في نشـر التثقيـف اللغوي للمواطن.

٤- دراسـة ميدانية لدور المرأة العراقية في نشر التثقيف اللغوي بين الأطفال.

٥- دراسـة ميدانيـة عن أسـباب انخفاض مستويات التحصيل العلمي لدى طلبة الإعدادية والثانوية بمادة اللغة العربية.

الهوامش:

١- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، ص ص ٤٠٤٩- ٤٠٥٠.

٢- المصدر السابق نفسه، جزء: ١٥، مادة: لغا، ص ٢٥٠.

٣- ابن جني، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦٧.

٤- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، در الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٦٠٣.

٥- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطبعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص ٤٥- ٤٦.

٦- جنان منصور كاظم الجبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٥، ص ص ١١١- ١١٢. (أطروحة دكتوراه غير منشورة).

٧- إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص١١.

٨- محمد محمد داود، مرجع سابق، ص ٦٦.

٩- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٧، ص٥٩.

١٠- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأةً وتطوراً، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٦.

١١- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٤٢.

١٢- علي الشمراني، التعدد اللغوي، بحث منشور على شبكة التواصل الاجتماعي:

www.m5zn.com/newuploads/2014/04/07/pdf/2c6bc8ab83aa193.pdf

١٣- مليكة بوخاري، دور التنوع اللغوي في تماسك هويات المجتمعات ضد العولمة الكونية وانهيار اللغة العالمية، أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي، ٣-٤-٥ ديسمبر، ٢٠١٢، الجزء الثاني، الجزائر، ص ص ٢٠٨- ٢٠٩.

١٤- سعدي فيضي عبد الرزاق، المدخل إلى علم الإنسان، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩، ص١٢٨.

١٥- عيسى برهومة، اللغة والجنس» حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة»، دار الشروق، عمَّان، ٢٠٠٢، ص١١.

١٦- المرجع السابق نفسه، ص١١.

١٧- محمد محمد داود، مرجع سابق، ص٩١.

١٨- عبد الحميد بسعيد، آليات تنوع المنطوق بلهجة تلمسان النخبة المثقفة أنموذجاً- مقاربة سوسيولسانية- جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، الجزائر، ٢٠١٣، ص٢١ (أطروحة دكتوراه غير منشورة).

١٩- هدسون، مرجع سابق، ص١٢.

٢٠- ريم المعايطة، أثر البيئة الجامعية في لغة الطلاب- دراسة في المستوى الصوتي في ضوء علم اللغة الاجتماعي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ٢٧ (١٢)، ٢٠١٣، ص٢٥١٩.

٢١- هدسون، مرجع سابق، ص ١٢.

٢٢- محمد ناجي حسين دراغمة، الحياة الاجتماعية وأثرها في أمثلة النحاة وشواهدهم في عصور الاحتجاج، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠١٢، ص ٣١، (رسالة ماجستير غير منشورة).

٢٣- هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمَّان، ١٩٩٨، ص٤٥.

٢٤- مليكة بوخاري، مرجع سابق، ص٢٠٩.

٢٥- محمود الذوادي، علاقة الهوية باللغة بين التنظير والواقع المجتمع التونسي أنموذجاً، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية- الحولية الرابعة والثلاثون، ٢٠١٣، ص ص ١٩- ٢٠.

٢٦- محمد ناجي حسين دراغمة، مرجع سابق، ص٣٢.

٢٧- فتحية حداد، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية (دراسة تحليلية نقدية)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، تيزي وزو، ٢٠١١، ص ص ٩٩- ١٠٠.

٢٨- المرجع السابق نفسه، ص ١٠٢.

٢٩- مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص٥.

٣٠- فتحية حداد، مرجع سابق، ص ص ١٠٤- ١٠٥.

٣١- محمد ناجي حسين دراغمة، مرجع سابق، ص ٣٤.
٣٢- عيسى برهومة، مرجع سابق، ص ص ١٨- ١٩.
٣٣- المرجع السابق نفسه، ص٢٨.
٣٤- المرجع السابق نفسه، ص٢٠.
٣٥- مهدي صالح سلطان الشمري، في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص ٦.
٣٦- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٨٣، ص ص ٥- ٦.
٣٧- عيسى برهومة، مرجع سابق، ص ص ١٦- ١٧.
٣٨- محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ط٢، لا يوجد اسم المطبعة، الإسكندرية، ١٩٦٣، ص ١٤.
٣٩- المرجع السابق نفسه، ص١٧.
٤٠- عيسى برهومة، مرجع سابق، ص ١٧.
٤١- محمد ناجي حسين دراغمة، مرجع سابق، ص٣٥.
٤٢- باسم عبد الحميد حمودي، بورتريت د. نوري جعفر، جريدة المدى، العدد (٧٥٤) الاثنين (٢٨) آب، ٢٠٠٦.
٤٣- سالم بن علي بن سالم، اللغة ودورها في توجيه وتقييد الفكر، مقال منشور على شبكة التواصل الاجتماعي:
http://www.burnews.com/articles-action-show-id- htm .1723
٤٤- المرجع السابق نفسه.
٤٥- المرجع السابق نفسه.
٤٦- محمود السعران، مرجع سابق، ص١٢.
٤٧- المرجع السابق نفسه، ص ص١٧- ٢٠.
٤٨- نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة ١٢٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨، ص ص ٤٠-٤١.
٤٩- بيان الطنطاوي، تأثير البيئة اللغوية في تكوين شخصية الناشئة وتربيتهم، بحث منشور على شبكة التواصل الاجتماعي:
conferences.ju.edu.jo/sites/Alin/Research
٥٠- علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص١٠٧.
٥١- عبد الغفار حامد هلال، مرجع سابق، ص، ص ٤١- ٤٣
٥٢- أسعد محمد علي الجبار، خصائص اللهجة الحلية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، د. ت، ص ص ٣٢- ٣٣
٥٣- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص١٢٥.
٥٤- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص١٢٠.
٥٥- المرجع السابق نفسه، ص١٢١.
٥٦- ج. فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠، ص ٣١٤.
٥٧- المرجع السابق نفسه، ص ٣١٦.
٥٨- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، د.م، ١٩٧٥، ص١٥٠.
٥٩- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مرجع سابق، ص١٣٧.
٦٠- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت، ص ٢١٣.
٦١- محمود الذوادي، مرجع سابق، ص ص ٥٥- ٥٦.
٦٢- كمال بشر، مرجع سابق، ص ص ٢١٣- ٢١٤.
٦٣- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مرجع سابق، ص١٤٤.
٦٤- كمال بشر، مرجع سابق، ص٢٠٦.
٦٥- المرجع السابق نفسه، ص ص ٢٠٦- ٢٠٧.
٦٦- المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٨.
٦٧- المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٧.
68- www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/fileshare
٦٩- إبراهيم عبد القادر المازني، العاميّة والفصحى، مجلة الرسالة، ٢٤ أكتوبر، ١٩٣٨، منشور على شبكة التواصل الاجتماعي:

www.hindawi.org/contributors/42571753

٧٠- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص ص ١٥- ١٦.

٧١- المرجع السابق نفسه، ص، ص ١٠٨- ١١٠.

٧٢- إبراهيم عبد القادر المازني، أثر المرأة في اللغة، مجلة إبداع القاهرية، السنة العاشرة، العدد الرابع، ١٩٩٢، ص٤٥.

٧٣- إبراهيم عبد القادر المازني، اللغة والألفاظ: الدعوة إلى اختصارها لتسهيلها، مجلة الرسالة، ٩ سبتمبر، ١٩٣٥، منشور على شبكة التواصل الاجتماعي:

www.hindawi.org/contributors/42571753

٧٤- مها محمد فوزي عماد، مرجع سابق، ص ص ٢٥٨- ٢٥٩.

المراجع:

١- ابن جني، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ٢٠١٠.

٢- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس.

٣- إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.

٤- إبراهيم عبد القادر المازني، أثر المرأة في اللغة، مجلة إبداع القاهرية، السنة العاشرة، العدد الرابع، ١٩٩٢.

٥- أسعد محمد علي الجبار، خصائص اللهجة الحلية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، د. ت.

٦- باسم عبد الحميد حمودي، بورتريت د. نوري جعفر، جريدة المدى، العدد (٧٥٤) الاثنين (٢٨) آب، ٢٠٠٦.

٧- ج. فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠.

٨- جنان منصور كاظم الجبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٥، (أطروحة دكتوراه غير منشورة).

٩- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٧.

١٠- ريم المعايطة، أثر البيئة الجامعية في لغة الطلاب- دراسة في المستوى الصوتي في ضوء علم اللغة الاجتماعي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ٢٧ (١٢)، ٢٠١٣.

١١- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، د.م، ١٩٧٥.

١٢- سعدي فيضي عبد الرزاق، المدخل إلى علم الإنسان، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩.

١٣- عبد الحميد بسعيد، آليات تنوع المنطوق بلهجة تلمسان النخبة المثقفة أنموذجاً- مقاربة سوسيولسانية- جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، الجزائر، ٢٠١٣، (أطروحة دكتوراه غير منشورة).

١٤- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، در الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

١٥- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأةً وتطوراً، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣.

١٦- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٨٣.

١٧- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

١٨- عيسى برهومة، اللغة والجنس» حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة»، دار الشروق، عمّان، ٢٠٠٢.

١٩- فتحية حداد، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية (دراسة تحليلية نقدية)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، تيزي

وزو، ٢٠١١.
٢٠- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.
٢١- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.
٢٢- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطبعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١.
٢٣- محمد ناجي حسين دراغمة، الحياة الاجتماعية وأثرها في أمثلة النحاة وشواهدهم في عصور الاحتجاج، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، ٢٠١٢، (رسالة ماجستير غير منشورة).
٢٤- محمود الذوادي، علاقة الهوية باللغة بين التنظير والواقع المجتمع التونسي أنموذجاً، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية- الحولية الرابعة والثلاثون، ٢٠١٣.
٢٥- محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ط٢، لا يوجد اسم المطبعة، الإسكندرية، ١٩٦٣.
٢٦- مليكة بوخاري، دور التنوع اللغوي في تماسك هويات المجتمعات ضد العولمة الكونية وانهيار اللغة العالمية، أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي، ٣-٤-٥ ديسمبر، ٢٠١٢، الجزء الثاني، الجزائر.
٢٧- مها محمد فوزي معاذ، الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩.
٢٨- مهدي صالح سلطان الشمري، في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٢.
٢٩- نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة ١٢٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨.
٣٠- هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمَّان، ١٩٩٨.
٣١- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠.

شبكة التواصل الاجتماعي:

١- إبراهيم عبد القادر المازني، العاميّة والفصحى، مجلة الرسالة، ٢٤ أكتوبر، ١٩٣٨، منشور على شبكة الانترنت:
www.hindawi.org/contributors/42571753
٢- إبراهيم عبد القادر المازني، اللغة والألفاظ: الدعوة إلى اختصارها لتسهيلها، مجلة الرسالة، ٩ سبتمبر، ١٩٣٥، منشور في موقع:
www.hindawi.org/contributors/42571753
٣- بيان الطنطاوي، تأثير البيئة اللغوية في تكوين شخصية الناشئة وتربيتهم، بحث منشور في موقع:
conferences.ju.edu.jo/sites/Alin/Research
٤- سالم بن علي بن سالم، اللغة ودورها في توجيه وتقييد الفكر، مقال منشور في موقعنت:
http://www.burnews.com/articles-action-show-id- htm .1723
علي الشمراني، التعدد اللغوي، بحث منشور في موقع:
www.m5zn.com/newuploads/2014/04/07/pdf/2c6bc8ab83aa193.pdf
5- www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/fileshare

social indications of linguistic variety.

Dr. Gani Nasser Hussain Quraishi
College of arts. Babylon University

A summary of the research:

Research problem: What are the social implications of linguistic multiplicity in society? What is the relation between social variety and different level of linguistic performance in society?

The importance of research:

1. Add a new production and to accumulation of knowledge on the social implications of linguistic diversity.
2. The concerns of scholars, researchers and others in the challenge of issues on the theme.

The objectives of the research:

Targeting research:

1. Language study as one of the components of the social structure.
2. The study of the social implications of linguistic variety.

Research Methodology:

the researcher uses analytical descriptive approach

Main results:

1. linguistic variety is a phenomenon linked to social diversity.
2. Facing the Arabic language in the current status of the existence of the vernacular language.
3- one of the most important factors in employing the spoken and written language, is the experimentation by the idols, whether at home, school ,or the media as well.

تقرير نــدوة:

العنــف والطفولة والبنــاء التربوي في واقع المجتمع العراقي

مقرر الندوة: ميساء فلاح حسين(*)

فــي صباح يــوم الخميــس ٢٠١٥/١١/٢٦ وفــي قاعة الندوات في بيت الحكمة أقيمت ندوة قســم الدراسات الاجتماعية الموسومة بـ(العنف والطفولــة والبنــاء التربوي في واقــع المجتمع العراقــي). وقد ترأس الندوة الاســتاذ الدكتور ســلام عبد علي وبمعية المقررة المترجم الأقدم ميساء فلاح حسين وبحضور عدد من الباحثين والأكاديميين.

الباحثون المشاركون :

- الأســتاذ المتمرس الدكتور عبد اللطيف عبد الحميد العاني.

العنف التربوي وواقع التربية في المجتمع العراقي.

- أ.د. عدنان ياسين مصطفى.

الطفولة والتحديات التنموية في العراق.

- أ.د.إحسان عمر الحديثي.

بناء برنامج تدريبي في حماية الأطفال من العنف لطالبات أقسام رياض الأطفال في كليات التربية بنات.

- أ.م.د. علي حسين الحلو.

العنف ضد الأطفال والبناء التربوي في واقع المجتمع العراقي.

- د.عبد الكريم محسن.

العنف المدرسي الموجه لتلاميذ المدارس الصديقة للطفل والمدارس الرسمية الاعتيادية .. دراسة مقارنة.

بدأت الندوة ببحــث العنف التربوي وواقع التربية في المجتمع العراقي للأســتاذ المتمرس الدكتور عبد اللطيف عبد حميد العاني موضحاً ان العنــف التربوي هو سلســلة مــن العقوبات الجســدية والمعنويــة المســتعملة فــي تربيــة

(*) بيت الحكمة/ قسم الدراسات اللغوية والترجمية

الاطفـال والتي تؤدي بهم الى حالة من الخوف الشـديد والقلق الدائـم والى نوع مـن العطالة النفسـية التي تنعكس سلباً على مستوى تكييفهم الشـخصي والاجتماعي ويتـم العنف التربوي بالكلمـات الجارحـة واللجوء الى سلسـلة من المواقـف التهكميـة والاحكام السـلبية الى حد انـزال العقوبات الجسـدية المبرحة والتي من شـأنها أن تكون مصدر تعذيب واستلاب كامل لسـعادة الاطفال في حياتهم المستقبلية. وتناول نظرة حول الفكـر التربوي العربي والظروف التـي المـت بـه اذ ان الفكر التربـوي صورة من صور الفكر على وجـه العموم، وهو وليد حركة المجتمع في بنيته الاساسية، هو أفرزها على صفحاته تنعكس على ظروفه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

والفكر التربـوي ليس مجرد مرآة تنعكس سـلبياً بما يحيط بها انما يشتبك في حركة جدل وتفاعـل مـع الظـروف المحيطة بـه، ومثلما يتأثر فهو يؤثر فيها.كما ذكر بعض الدراسات السـابقة عربيـة، واجنبيـة مثـل العلامة ابن خلدون الذي يرى في الفصل الثاني والثلاثين مـن المقدمة فـي أن الشـدة علـى المتعلمين مضـرة بهم، وذلـك أن ارهاف الحـد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في اصاغر الولد لأنه من سـوء الملكة ومن كان مربـاه بالعنف والقهر مـن المتعلميـن او المماليك او الخدم سـطا به القهر وضيق على النفس في انبسـاطها وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبـث وهـو التظاهر بغير مـا في ضميره خوفاً من انبسـاط الايدي بالقهـر عليه وعلمه المكـر والخديعـة لذلـك، وصارت لـه عادة وخلقـاً وفسـدت معانـي الانسـانية التـي له. والعلامة المختار السوسي (ولد سنة ١٨٩٨م وتوفي ١٩٦٣م) من خلال مؤلفه (المعسول) الـذي يقع في عشـرين جـزءاً ومؤلفه الاخر (مـدارس سـوس العتيقة)- جمع فـي مؤلفاته معلومات عن ازمنة ممتدة من القرن الخامس الهجـري الى القـرن الرابع عشـر الهجري، وتعـرّض لأسـباب ظاهرة العنـف التربوي، واهـمظاهـرالعنـفالتربـوي.

وأكـدت أن ابـرز مظاهر العنـف التربوي والتي تستعمل في مدارسنا تقسم على نوعين:-

الأولـى: الايذاء الجسـدي الـذي ينجم عنه اصابـة او اعاقة، او موت باسـتخدام الايدي او اداة اخرى.

الأخرى : الايذاء الكلامي وهو اسـتعمال كلمـات وألفاظ نابية تسـبب احباطاً عند التلميذ وتؤدي الى مشـكلات نفسـية . واخيراً تطرق الـى واقـع التربيـة فـي العراق حيـث مرت الاسـرة والمدرسة العراقية بعوامل كثيرة ذات اثر كبير في فعالياتها وتشكيل ثقافتها، وبالتالي انعكاسـها علـى تربيـة الطفل ومـا عانته من الاهمال والاوضـاع الاقتصادية السـيئة التي كانت نتيجة الحروب المتتالية والتي انعكسـت سـلباً علـى واقع هاتين المؤسسـتين (الاسـرة والمدرسة) وما ترتب على هذه الاوضاع كلها من عسـكرة المجتمع التي امتدت الى الاسـرة والمدرسـة ففقـدت فـي ظلها الاسـرة معيلها، وفقـدت المدرسـة بعض معلميهـا الذين ذهبوا الـى جبهـات القتال، او عملـت فيهم الظروف الاقتصاديـة عملهـا فأدت الـى ضعف دورهم وهممهـم، او حرمـان اعداد كبيـرة من افراد المجتمـع من التعليم لأسـباب كثيـرة يقف في المقدمـة منها عـدم الوعي بأهميـة التعليم، أو عـدم وجود المـدارس الكافية لاسـتيعاب هذه

الاعـداد الغفيـرة من افـراد المجتمـع، او ان الاسباب الاقتصادية الصعبة التي كان يمر بها افراد المجتمع.

وجاء بحث الطفولة والتحديات التنموية في العراق للـ أ.د. عدنان ياسـين مصطفى متناولاً السياسـات الاجتماعية التي تشـير في البلدان كلهـا الى ان الوعي بإشـراك واسـهام الفئات الهشـة لاسـيما الطفولة تعزز خيارات التنمية الاجتماعية والاقتصادية وتسـاعد في التخفيف من الإقصاء الاجتماعي لتلك الفئات، إذ أظهر كثير مـن المعطيـات وجود تحديـات خطيرة تهدد الامن الاجتماعي وتشـعر تلك الفئات بان فرص اندماجهم في مجتمعاتهم تواجه اشكاليات واسعة. في الوقت نفسـه ما زالت الاهتمامات الاسـتراتيجية للبلدان المتقدمـة والنامية تركز في التوصية بالاسـتثمار في الأطفال– محاولة التخفيـف من حلقـة الضعف-التي تشـير دائماً الـى أن الأطفال هم أكثـر عرضة لخطر الفقر والاستبعاد الاجتماعي و أنهم الحلقة الاضعف من بين فئات السـكان في معظم الدول. ويشير اليونيسيف عام(٢٠١٢) بصدد الموضوع إلى أن: "الطفولـة الامنة تجسـد مطالـب المجتمع المتحضـر. ان الاسـتعدادات لتأميـن الحماية المجتمعيـة لابـد ان توفـر أولاً للأطفـال وان يكونوا أول المحمييـن بدلاً من تركهم عرضة تتقاذفهم امواج المجتمع العاتية. فالأطفال لديهم فرصـة واحدة فقط في النمو الذي يجعل فرص تطورهـم طبيعياً لـذا يجب التمسـك والالتزام بحمايتهـم في السـراء والضراء، كما يجب أن تكـونتلـكالفـرصمطلقـة".

ان تلـك المنطلقـات يمكـن ان تسـاعد في تحديد نوع المشـاريع المطلوبة، وتهيئ للإجابة عـن السـؤال المتعلق بأوجـه التكامـل ما بين السياسـات التنمويـة. ولعل من المهـم والمفيد الاشـارة الى ان تلك المنطلقات ليسـت منفصلة عـن بعضها، إذ ان مشـكلات الطفولة مثلاً، لا تنفصل عن مجمل الأوضاع التعليمية والصحية والمعيشـية للاسـرة. أهم الاشـكاليات التنموية وانعكاسـها على الطفولة العراقية، مع التركيز فـي التغييـرات في حـزم الحمايـة الاجتماعية وأبرز الأنشـطة الحكومية التي تعزز سياسات الاسـتثمار في الأطفال، يلي ذلك مناقشـة نظم الحمايـة الاجتماعيـة، بما في ذلك السياسـات المخصصة للأطفال.

أولا: تحليل واقع الطفولة: ويشمل التركيب العمري والجنسي للأطفال حيث يُعرّف الطفل طبقـاً لاتفاقية حقوق الطفل بكونه: كل إنسـان لم يتجاوز الثامنة عشـرة ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المُطبق عليه. وتلزم الاتفاقيـة الـدول الأطراف بالامتنـاع عن أي نوع مـن أنواع التمييز ضـد الأطفال .اما عن الطفـل والتعليم فمن المعلـوم ان الهدف الثاني من أهداف الإنمائيـة للألفية هو: تحقيق اعمام التعليم الابتدائي بحلول عام ٢٠١٥، اما الهدف الثالـث فهـو تعزيـز المسـاواة بين الجنسـين ويتضمـن غايات تتعلـق بإزالة التفـاوت بين الجنسـين في التعليم الابتدائـي والثانوي وفي موعد لا يتجاوز سنة الهدف المشار إليها.حيث أظهر المسـح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة في العـراق (IHSES/٢٠١٢) ان (٧٤،٤٪) مـن الأفراد ممـن تزيد أعمارهـم على (١٠) سـنوات يجيدون القراءة والكتابة، وبلغ معدل الالتحـاق بالمرحلـة الابتدائيـة (٨٧،٧٪) وبالمرحلـة المتوسـطة (٤١،٨٪) وبالمرحلة الإعداديـة (٢٢٪) . غيـر ان التفـاوت يظهر

واضحـاً ما بين الذكور والإناث ، إذ بلغ معدل التحـاق البنيـن لعـام: ٢٠١١(٩٣،٢٪) مقابل (٨٧،٤٪) للإناث.

اما عن الطفـل والصحة فإن صحة الطفل تتعلـق على نحوٍ مباشـر بالنظام الصحي فيما يوفـره مـن خدمـات وقائية وعلاجيـة إلا إن الوضع الأمني يلقي بضلالهِ على مجمل الحياة الصحيـة للمواطنين فضـلاً على تخصيصات وزارة الصحة الاتحاديـة في الموازنة العامة (٢٠٠٦-٢٠١٠) فالتخصيصـات لـم تتخـذ اتجاهـاً تصاعديـاً يتناسـب مـع نسـبة النمو السـكاني البالغـة (٣٪).وذكر ايضـا الطفولة وعلاقتها بالفقر وليس من شـك ان عبء فقر الأطفال يؤثر سلباً على قوة الاسرة الاقتصادية وامكاناتهـا في مواجهة التحديات، ما يزيد من احتمالات التسـرب من المـدارس فضلاً على خفـض قدرتها علـى تقديم الرعايـة الصحية لأطفالهـم، مـا ينعكس سـلباً على مسـتويات التوتـر فـي حيـاة الاسـرة. فـي المجتمعات التـي تمر بمراحـل التغيير من نظام سياسـي أو اقتصـادي الى آخر، يرافقها نشـوء أجيال جديـدة تتطور نتيجـة هذه التفاعـلات. وعن افاق المسـتقبل طرح الباحث السـؤال الاتي: إذا أردنـا التغيير ابتداءً، هـل يتطلب منا تبني مشـروع سياسي تنموي اجتماعي؟ والجواب هنـا نعـم لان هـذا ما يمكـن ان تحشـد حوله الطاقـات الواعـدة. ذلـك ان هنـاك متغيرات عالميـة محفـزة (كالتحـول الديمقراطـي المدعوم مـن المجتمع العالمي)، كما ان هناك وسـائل اتصال تغـذي عمليـة التغيير، فضلاً علـى وجود متغيرات سياسـية علـى الصعيد العربي (الربيـع العربي)، والعالمي (العولمة التي تطرق بـاب المجتمعات كلها) الى جانب المتغيرات على الصعيـد المحلي. هذه الفجوة التي يشـعر بهـا الطفل والشـاب العراقي مع العالم المتقدم، هـي بحد تحديداً عامل مهم في التغييـر. واخيـرا رأى الباحث ضرورة حث الخطا لتحسـين أوضاع الأطفـال في العراق عبر سلسـلة من الاجراءات في مقدمتها:

- الإسراع في تشريع السياسة الوطنية لحماية الطفل وترجمتها عبر اسـتراتيجيات وطنية وبما يضمن توفير الأمن الإنساني له.
- تأسـيس مجلس أعلـى للطفولـة يأخذ على عاتقـه رسـم السياسـات الخاصـة بالطفـل ومتابعـة الاسـتراتيجيات والبرامـج ذات الصلة به.
- تواصـل العمل لإصـلاح الأنظمة الصحية والتعليمية.
- العمـل علـى إطـلاق اسـتراتيجية جديـدة للتخفيـف من الفقر في العـراق، تترافق مع إطلاق خطة التنمية الوطنية ٢٠١٣-٢٠١٧.
- تعزيـز الجهـد المؤسسـي لهيـأة رعايـة الطفولة من خلال تأكيد اسـتقلاليتها وتوسيع صلاحياتها وامكاناتها.

امـا بحـث **أ.د.إحسـان عمـر الحديثـي** المعنون**(بناء برنامج تدريبي في حماية الأطفال من العنف لطالبات أقسـام ريـاض الأطفال في كليات التربية بنات)** أوضـح فيه ان الطفولة في خطر وهذا وقد يعني ان المستقبل في خطر ايضا واذا لم نلتفت له سيكون تأثيره واضحاً في مستقبل العراق، واستخدم صورة لحافلة مدرسية في احدى البلدان الغربية مكتوب عليها ان العنف ينتهي مع بداية التعليم ما يدل على اهمية التعليم للطفل.

وجاء بحثه هذا ليكون احد السياسات او الخيارات لتحقيق الاهداف ببناء سليم للشخصية مع تأكيد في دور المعلم حيث لايتم تحقيق العمران الا بالتعليم بعدّه الاساس في تنشئة الطفل بصورة صحيحة، وتساءل الباحث لماذا رياض الأطفال هي الأساس وما دور المعلمين في نبذ العنف؟ لأن مرحلة الطفولة هي اهم مرحلة وتشكل شخصية الطفل لذا المجتمعات الحديثة تهتم بتربية الطفل ونموه في هذه المراحل المبكرة من عمره. وذكر الباحث عدداً من التجارب في الدول الغربية في منح الثقة للطفل بنفسه واعطائه المسؤولية في قيادة وحل المشكلات، والسؤال هنا اين نحن من تجارب هذه الدول؟؟ فعلى الرغم من الجهود المبذولة في اقامة الندوات والمؤتمرات وجهود المنظمات الدولية الا ان هناك فرقاً شاسعاً بين ما يتعلمه الطفل والتطبيق في الواقع. اذ يرى الباحث ان مناهج رياض الأطفال هي غير رسمية ومعتمدة على افكار القائمين والمسؤولين عنها كلاً بحسب تفكيره، لذا يجب اعداد معلمي رياض الاطفال بتدريبهم في ضمن تخطيط واضح لبرنامج ملائم للواقع وارساء مناهج تدريبية ووسائل تعليمية واضحة وتنمية قدرتهم لاستيعاب الاطفال وتلبية حاجاتهم وتربيتهم على روح الشجاعة وغرس الاخلاق والفضيلة. ويجب تأكيد النشاطات والبنى التحتية في المدارس اذ ان الاطفال هم اللبنة الاساسية والاهتمام بهم حق من حقوقهم ما يدعو الى التفكير بجدية لجعل التعليم إلزامياً في رياض الاطفال.

وجاء بحث بعنوان **(العنف ضد الأطفال والبناء التربوي في واقع المجتمع العراقي)** للـ **أ.م. د. علي حسين الحلو** متناولا فيه أهمية فهم ظاهرة العنف التي تتفشى في الحياة الاجتماعية بشكل ملحوظ وتفسيرها فالعنف لا يقتصر على الجماعات الرافضة، بل أصبح سمة مميزة لنمط التفاعل في الحياة العادية للأفراد. وهذا التفاعل يكشف عن أشكال متعددة من العنف وهي تتجلى على مستويات عديدة بدءاً من الأسرة ومروراً بالمجتمع ووسائل الاتصال وانتهاءً بالتعامل مع مؤسسات الدولة.

وبيّن الباحث أن مفهوم العنف صعب تحديده لانه مجال واسع عريض، فهذا المصطلح يمكن ان يشير الى أي شيء بدءاً من التهديد بالقوة او استخدامها لإهدارها الكرامة الانسانية وانتهاء بالفقر المدقع والعوز، ومن الاهمية بمكان التفرقة بين العنف السافر واعمال التمرد والحرب، وبين العنف المستتر لأعمال القهر الرمزي والهيكلي وكذلك التفرقة بين المستويات الاجتماعية والسياسية للعنف ومستويات العنف فيما بين الافراد، فضلاً على هذا فأن مصطلح العنف يحمل دلالة سلبية تستحق الادانة وهذا المعنى الذي يتسم بالإدانة هو الذي يفسر استخدامه على نطاق يتسع يوما بعد آخر. واشار الى ان العنف له محددات متنوعة؛ يمكن تلخيصها كما بالآتي:

أ- المحددات الاجتماعية: تشمل المحددات الاجتماعية للعنف ما يأتي:

١- الإحباط: ويعدّ هو أهم عامل منفرد في استثارة العنف لدى الإنسان.

٢- الاستثارة المباشرة من الآخرين: وربما تكون هذه الاستثارة بسيطة في البداية كلفظ جارح أو مهين ولكن يمكن أن تتضاعف

الاستثارات المتبادلة لتصل بالشخص إلى أقصى درجات العنف.

ب- المحددات البيئية: وتتضمن المحددات البيئية كل من تلوث الهواء والضجيج والازدحام وغير ذلك.

جـ- المحددات الموقفية: وتتكون المحددات الموقفية من الآتي:

- **الاستثارة الفسيولوجية العالية**: مثل المنافسة الشديدة في المسابقات، أو التدريبات الرياضية العنيفة، أو التعرض لأفلام تضم مشاهد مثيرة.

- **الاستثارة الجنسية:** فقد وجد أن التعرض للاستثارة الجنسية العالية (كأن يرى الشخص فيلماً مليئا بالمشاهد الجنسية) يهيئ الشخص لاستجابات العنف.

- **الألم:** فحين يتعرض الإنسان للألم الجسدي يكون أكثر ميلاً للعنف نحو أي شخص أمامه.(يحيى لال ٢٠٠ص٧). واستعرض الباحث عدداً من النظريات والاتجاهات التي تصدت لتفسير ظاهرة العنف وكالآتي:- نظرية التحليل النفسي والنظرية السلوكية ونظرية كونراد Konrad.

واقترح الباحث حلولاً للحد من ظاهرة العنف وهي على وفق الآتي:

- العمل على توعية المجتمع، لاسيما الآباء والأمهات من خلال استعمال الأساليب التربوية السليمة في عملية التنشئة الاجتماعية.
- تحسين المستوى المعاشي والثقافي لأبناء المجتمع من خلال توفير دخل فردي مناسب يسد الحد الأدنى من الحاجات الشخصية.
- توفير فرص عمل كافية، ومحاربة الأمية.
- العمل على عقد حلقات علمية واجتماعية ومؤتمرات تثقيفية لتوضيح أسباب العنف الموجه ضد المرأة من خلال تبادل المعلومات.
- العمل على منع الافلام والبرامج التلفازية، إلا بعد عرضها على مختصين في مجال علم النفس وعلم الاجتماع.
- إعداد استراتيجيات طويلة الأمد للحد من عوامل الأخطار الاجتماعية والاضطرابات النفسية (كالمسكرات، والمخدرات).

وفي محور حقائق وارقام حول ظاهرة العنف ضد الاطفال ذكر الباحث احصائيات منها:

* منظمة الصحة العالمية تقدر ان (٥٣٠٠٠) طفل قد توفوا عام ٢٠٠٢.

* وان ما يتراوح ٨٠ - ٩٠ ٪ من الاطفال يتعرضون الى العنف المنزلي.

* ان ٢٠ – ٦٥ ٪ من الاطفال يتعرضون للعنف المدرسي .

* تشير تقديرات منظمة الصحة الدولية ان (٢١٨) مليون طفل عام ٢٠٠٤ دخلوا مجال عمل الاطفال منهم (١٢٨) طفلاً يعمل في الاعمال الخطرة

* تشير تقديرات عام ٢٠٠٠ ان (٥،٧) مليون طفل كانوا يعملون في اعمال قصرية و

(١،٨) مليون طفل في البغاء وان (١،٢) مليون طفل كانوا ضحايا الاتجار بهذا المجال (داوي، ماجد يوسف).

وحدد الباحث في بحثه العوامل المؤثرة في تفاقم العنف ضد الاطفال ومنها:

١- ضعف الوازع الديني والاخلاقي : اذ يلاحظ ارتفاع هذه الظاهرة وشيوعها في المجتمعات المتدينة غير المتدينة .

٢- ضعف الوعي الديني وتدني المستوى الثقافي : الارتباط هنا ايضا عكسي اذ انه كلما قل الوعي زاد معدل العنف .

٣- وجود المغريات وعناصر الفساد في المجتمع: كالخمور والدعارة وعدم الحشمة وما الى ذلك من امور وهي ما يتسبب في تعرض الاطفال للعنف الجسدي والاعتداءات الجنسية في الغالب نتيجة الوقوع تحت تأثير المسكرات .

٤- عدم جدية العمل الاجتماعي والحقوقي: اذ ان بعض الهيئات والجمعيات الاجتماعية والحقوقية تركز في الجانب الاعلامي وتعمد الى تضخيم ما تقوم به من فعاليات دون التركيز في مضمون العمل نفسه.

٥- ضعف العمل التربوي.

واخيرا لخص الباحث الحلول والاجراءات العلاجية للحد من الظاهرة على وفق الآتي:

١- العمل على زيادة الوعي الديني والاخلاقي والتربوي والتعريف بحقوق الطفل وواجبات المربين.

٢- وضع الانظمة والتشريعات التي تضبط اسلوب التعامل مع الاطفال في المدارس.

٣- محاربة ظاهرة عمالة الاطفال من الدولة والمجتمع.

٤- تعزيز الدور الاعلامي في محاربة هذه الظاهرة وتسخير الاعمال الدرامية لخدمة مثل هذه الفرص.

٥- تقنين العمل التطوعي ومتابعته.

واخيرا القى الباحث **د.عبد الكريم محسن** بحثه **(العنف المدرسي الموجه لتلاميذ المدارس الصديقة للطفل والمدارس الرسمية الاعتيادية.. دراسة مقارنة)** متناولاً في مشكلة البحث وأهميته اذ تعد المدرسة إحدى أهم البيئات الاجتماعية التي تؤثر في الطفل بعد الأسرة بل قد تكون في كثير من الأحيان المؤثر الأهم في حياة الطفل ولاسيما في حالة الأسر المتصدعة والفقيرة خاصة عندما تواجهه بيئة شبيهة بالوسط الأسري الذي كان يطمح للخروج منه فيشعر بإحباط كبير ينعكس على سلوكياته في المستقبل ما تكون لها اكبر بصمة في حياة الإنسان وأسلوب العقاب الذي تتبعه البيئة المدرسية قد يولد انحرافا على المستوى البعيد. (فاتن عبد الله ٢٠٠١ص٢٤).

ويكتسب الطفل خلال تفاعله مع البيئة المدرسية كثيرا من السلوكيات خلال عملية التعليم الاجتماعي منها سلوك العنف وبدلا من أن تكون المدرسة طاردة لسلوك العنف فقد تكون حاضنة اياه وقد يصدر سلوك العنف من بعض المعلمين عن وعي أو غير وعي ومن المؤكد أن المدرسة ليست المسؤولة الوحيدة عن تفشي تلك المظاهر. وظاهرة العنف

والعـدوان التـي تحدث في المـدارس أصبحت حقيقة واقعة تعاني منها معظم دول العالم، وهي تشـغل بال العاملين في الميدان التربوي بشكل خاص والمجتمع بشـكل عـام، وتأخذ كثيرا من وقت إدارات المدارس، وتترك آثارا سلبية على العمليـة التعليمية، لذا فهي تحتـاج إلى تضافر الجهود المشتركة سواء على صعيد المؤسسات الحكومية أم منظمـات المجتمع المدني، لكونها ظاهـرة اجتماعيـة بالدرجـة الأولـى. وتمثلت اهـداف البحث بتعرف مسـتوى العنـف الذي يتعـرض له تلاميذ المـدارس الابتدائية من قبل معلميهم.وكذلك الفروق في مستوى العنف الذي يتعرض لـه تلاميذ المدارس الابتدائية الصديقة للطفل وأقرانهم في المدارس الرسمية الأخرى. وتعـرّف العلاقـة بيـن التحصيـل الدراسـي ومستوى العنف لدى تلاميذ المدارس الابتدائية.

ثـم تحـدث الباحث عـن الإطـار النظري من خـلال: نظريـة التبـادل الاجتماعي تعود جذور هذه المدرسـة الى المذاهـب الفكرية في علم الاقتصاد وعلم الإنسـان وعلم النفس ومن ابـرز روادها:(بيتـر بلاو- جـورج هومانز– مالينوفسـكي– سـكنر). و نظريـة التفاعـل الرمـزي التفاعـل الرمزي هو ذلك النشـاط الـذي يفسـر من خلالـه الناس أفعـال بعضهم وتصرفاتهـم وإيماءاتهـم على أسـاس المعنى الذي يضيفه هذا التفسير على تلك التصرفات. وابـرز رواده جـورج هوبـرت ميـد- جـون ديـوي– جـورج هوربـرت يلومر تشـارلز كولي–وسـي راين ميلز.وجاءت الاستنتاجات على وفق الآتي:

١- أظهرت النتائج وجود فروق دلالة إحصائيا بين المتوسـط الفرضي والمتوسط الحسابي على مقياس العنف المدرسي. أي أن تلاميذ المـدارس الابتدائية يتعرضـون للعنف من المعلمين.

٢- لـم تظهر نتائج الاختبار التائي لدلالة الفرق بين المتوسـط الفرضي والمتوسط الحسابي وعلـى وفق متغير نـوع المدرسـة . وهذا قد يكون بسـبب ان المعلميـن في المدارس الصديقـة للطفـل لا يختلفـون مـن حيـث الإعـداد او المهارات او العقلية الاجتماعية عـن أقرانهم معلمـي المـدارس الاعتيادية الأخرى.

٣- لـم تظهـر نتائج القيمـة التائيـة لمعاملات الارتباط بين العنف المدرسـي والتحصيل الدراسي.

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بالاتي:

١. ضـرورة اتخـاذ إجـراءات أكثـر صرامة مع المعلميـن الذين يمارسـون العنف ضد التلاميذ.

٢. الاهتمام بدرسي التربية الرياضية والتربية الفنية وايلائهما الأهمية القصوى لما لهما من اثر كبير فـي تعزيز العلاقة بين التلميذ والمعلم وبين التلاميذ أنفسهم.

٣. توفيـر برامج وأنشـطة اجتماعية وتربوية وترفيهية لا صفية تسهم في إكساب التلاميذ قيم اجتماعية ومهارات تقلل من آثار العنف والعنف المضاد.

٤. توجيـه المعلمين كافة باسـتعمال أسـاليب العقاب البديلة والتي تدعى بأساليب التأديب الايجابية.

من اجل البحث وإكمالـه يقترح الباحث ان

يجـري الدارسـون او الباحثـون الاجتماعيون والتربيون والنفسيون دراسات تتمثل بالاتي :

١. إجـراء دراسـة تسـتهدف دراسـة العنف المدرسـي وعلاقته بمتغيـرات أخرى مثل القلق النفسي والعنف المضاد للمجتمع .

٢. إجـراء دراسـة لتعرف الفرق في مسـتوى العنـف المدرسـي تبعـا لمتغيـر المرحلـة الدراسية (ابتدائية-متوسطة- إعدادية).

٣. إجراء دراسـة مقارنه بين طلاب المدارس التي تقع فـي المناطق الحضرية والريفية ، لمعرفة أي المناطق أكثر عنفا من غيرها.

٤.إجـراء دراسـة تسـتهدف الى بنـاء برنامج إرشـادي لخفـض سـلوك العنـف لـدى المعلمين والتلاميذ على السواء.

وسـاعدت مداخـلات وتعقيبات الاسـاتذة الحضور في اغناء الندوة بالآتي:

١- أشـار أ.د. عبـد المنعم الحسـني الى اهمية المدرسة وبالاخص السنوات الاولى بعدّها تعمـل على تثبيت بعـض الخصائص ومن ثم تؤثر في شـخصية الطفل مستقبلاً للافادة منهم في بناء الوطن.

٢- أشـاد الدكتـور خليـل ابراهيـم بالباحثيـن والبحـوث الملقاة وعقب على طبيعة الطفل والعنـف فالطفـل عندما يتعـرض للعقوبة يحصـل لديـه صـراع داخلـي يؤثـر في شـخصيته، واكد ان هناك فرقاً شاسـعاً بين تعليـم الطفـل والواقع لذا نحـن بحاجة الى ثورة في المناهج الدراسية.

٣- أكـد الدكتور محمود الـداود وجود الحاجة الماسة الى اعداد معلمين اكفاء ذوي نظرة انسـانية، فضـلاً على اعـداد مناهج خالية من الحشـو غيـر المرغوب فيـه واعتماد الرياضة والفنون واللغات والعلوم كأساس فيها.

٤- استنتج العميد الركن خالد عبد الغفار البياتي من خـلال البحـوث المطروحـة ان هناك فشـلاً في النظام التربـوي واعتمادها على اساليب ترقيمية لاتفاعلية والتشدد في بعض المناهج، لذا يجب التفكير بأسـاليب ومناهج تعمـل علـى محاربـة الافـكار الارهابيـة والعنف.

٥- قدمت أ.د. ناهدة عبد الكريم شـكرها لقسم الدراسـات الاجتماعية لتشخيص المشاكل الاجتماعيـة وعلاجها من خلال الندوات. واوضحـت بوجـوب مـد جسـر التعاون بين المدرسـة والطفل من خـلال الباحث الاجتماعـي واوصـت بـأن يكـون هناك مكتب اسـري لتوفير الحمايـة الاجتماعية عـن طريـق وزارة العمـل والشـؤون الاجتماعية.

٦- اشـار الاسـتاذ قاسـم الصفار الـى وجوب التركيز فـي مفهوم الارهـاب وتأثيره في الطفـل مـن خـلال عمـل برامـج ومناهج تدريبيـة للمعلمين، اما فيمـا يخص التنمية فإنهـا تبدأ فيما بعد الطفولـة لان المدة التي يمر بهـا الطفل هي مدة هامشـية، وتطرق ايضا الى مشـكلة التسـرب مـن المدراس واسبابها.

٧- تحدث الاسـتاذ عـادل حسـين الطيار عن

عنـوان البنـاء التربـوي بأنه رؤيـة يتبعها تخطيـط وتنظيـم وتطبيق، ففـي المجتمع العراقي لانجد هناك اي تطور او تنظيم في المجـال التربوي فالتعليم يعتمد على التلقين والحشـو الـذي يعمـل على ارهـاق الطفل في حين التوجه الان فـي العالم هو الاتجاه الالكتروني.

٨- وجه الاستاذ مثنى محمود اسئلة منها ماهي المقترحات لرفـع الواقع التربوي؟ وهل ان الحركة الامبريالية التي اثرت فينا سياسـيا واقتصاديـا لم تؤثر في الطفـل؟! وهل من الممكن سن قانون لتعليم الاطفال الزماياً في رياض الاطفال؟

٩- تطرق الاسـتاذ محمد السلامي الى اشكالية الهيمنـة الاجنبية على تربيـة الطفل وكيف اثرت كل الحضارات ولو قليلا في تنشئته، وذكـر واقـع ريـاض الاطفـال واثرها في مناهضـة العنـف فيما لو اسـتغلت بالتربية والتنشئة الصحيحة.

وسنسـتعرض في هـذا العدد ثلاثـة بحوث من بحوث هذه الندوة وذلك لتطابقها مع شروط النشر في مجلة دراسات اجتماعية وهم كلاً من:-

- أ.د.عدنان ياسين مصطفى

الطفولة والتحديات التنموية في العراق.

- أ.م.د. على حسين الحلو

العنف ضد الاطفال والبناء التربوي في واقع المجتمع العراقي.

- د. عبد الكريم محسن

العنف المدرسي الموجه لتلاميذ المدارس الصديقة للطفل والمدارس الرسمية الاعتيادية .. دراسة مقارنة.

الطفولـة والتحديـات التنمويـة في العراق

أ. د. عدنان ياسين مصطفى(*)

ملخص البحث:

أدت ظروف الازمـات والارهاب والعنف وسوء إدارة الموارد، وتردي أداء البنى التحتية، الى تشكيل بيئة مزدحمة بمصادر الخطر والتهديد المباشر وغير المباشر لمقومات الامن الإنساني للطفل في العراق. إذ ان تعرض البشر للمخاطر يعنـي تدهـورا محتمـلاً فـي إنجـازات التنمية البشـرية وتضـاؤلا في إمكانية اسـتدامتها، مما يجعله باستمرار عرضة لتدهور مجمل أوضاعه الإنسانية والخدمية أو إنجازاته المستقبلية.

فالتحديـات التـي تواجـه اسـتدامة التنمية تتغير باسـتمرار، فالأطفال والشـباب والبيئات الاجتماعيـة والمشـيدة تواجـه أشـكالاً مختلفة مـن المخاطـر تتطلب معالجـات موجهة، ذلك ان مراحـل الحياة مصيرية لاسـيما السـنوات الخمـس الأولى من حياة الطفل، او الانتقال من الدراسـة الى العمل، او التعـرض الى عمليات تهميش وأقصاء وغيرها. والانتكاسات في هذه المراحل يصعـب تجاوزها أحيانـاً، وقد تترك آثاراً قد تدوم مدى الحياة.

حاولـت هـذه الدراسـة سـبر أغـوار أهم الاشـكاليات التنموية وانعكاسـها على الطفولة العراقية، مـع التركيز على التغييرات في حزم الحماية الاجتماعية وأبرز الأنشـطة الحكومية التي تعزز سياسـات الاسـتثمار فـي الأطفال، يلـي ذلك مناقشـة اهـم الخيـارات التنموية في السياسات المخصصة للأطفال.

مقدمة

تشـير السياسات الاجتماعية في البلدان كلها الـى ان الوعي بإشـراك الفئات الهشـة لاسـيما الطفولـة تعـزز خيـارات التنميـة الاجتماعية والاقتصادية وتسـاعد في التخفيف من الإقصاء الاجتماعـي لتلـك الفئات، إذ أظهـرت كثير من المعطيـات وجـود تحديات خطيـرة تهدد الامن الاجتماعـي وتشـعر تلـك الفئـات بـان فرص

(*) أستاذ علم اجتماع التنمية/ جامعة بغداد

اندماجهم في مجتمعاتهم تواجه اشكاليات واسعة.

فـي الوقت نفسـه مـا زالـت الاهتمامات الاسـتراتيجية للبلدان المتقدمـة والنامية تركز في التوصية بالاسـتثمار في الأطفال –محاولة التخفيـف من حلقـة الضعف-التي تشـير دائماً الـى أن الأطفال هم أكثر عرضـة لخطر الفقر والاسـتبعاد الاجتماعي وانهم الحلقة الاضعف من بين فئات السـكان فـي معظم الدول. وتؤكد التوصيـة ان فـرص التدخـل في وقـت مبكر وتاميـن الوقاية واتخاذ تدابيـر فعالة تكون أقل تكلفـة من معالجـة العواقب الناجمـة عن الفقر والاستبعاد في وقت لاحق من حياة الطفولة.

لقد لخص ريتشاردسـون عام ٢٠١٠ [١] هذا المشهد فأكد ان "الاستثمار في الاطفال الصغار والفئـات الهشـة الاخرى نظـام فعـال وعادل: فالثغرات التي تواجه الأطفال تغلق في وقت مبكر كما ان أثمان تذليلها تكون زهيدة، فضلاً على ان تلك الفجوات تجعل صانعي السياسات المستقبلية ودافعي الضرائب على درجة من الاطمئنان ولا يساورهم القلق على مستقبل أطفالهم.

ويشـير اليونيسـيف عـام (٢٠١٢) بصدد الموضـوع الـى ان «الطفولـة الامنـة تجسـد مطالب المجتمـع المتحضر. ان الاسـتعدادات لتأميـن الحمايـة المجتمعية لابـد ان توفر أولاً للأطفـال وان يكونـوا أول المحمييـن بدلاً من تركهم عرضة تتقاذفهم امواج المجتمع العاتية. فالأطفال لديهم فرصة واحدة فقط في النمو الذي يجعل فرص تطورهم طبيعياً لذا يجب التمسـك والالتـزام بحمايتهم في السـراء والضراء، كما يجب أن تكون تلك الفرص مطلقة»[٢].

ان تلك المنطلقات يمكن ان تساعد في تحديد نوع المشـاريع المطلوبة، ويهيـئ للإجابة عن السؤال المتعلق بأوجه التكامل ما بين السياسات التنمويـة. ولعل من المهم والمفيد الاشـارة الى ان تلك المنطلقات ليسـت منقطعة عن بعضها، إذ ان مشـكلات الطفولـة مثـلاً، لا تنفصل عن مجمل الأوضاع التعليمية والصحية والمعيشية للاسـرة. كمـا ان وجـود حالـة من العـوق او المـرض المزمن يعني تأثيراً مباشـراً في دخل الاسـرة، وقد سـجلت بالفعل معاملات ارتباط بين ظواهر عمـل المرأة وبطالة الاب وتدهور مسـتويات المعيشـة وبين العنف الاسري. كما ان للتفكك الاسـري أثـراً كبيراً في ظواهر مثل التسول والتشرد وانحرافات الأطفال.

ومع ذلك، فإن استمرار الأزمات مدة طويلة قـد أثرت بعمق في العديد من مجالات السياسـة العامـة مـن خـلال خفض فـي النفقـات العامة للخدمات، وهي بلا شـك مسـارات تمثل خطرا حقيقيـا على فـرص التدخل المبكـر ومنع تنفيذ السياسـات والبرامج الخاصة بالأطفال، وهو ما قد يؤدي إلى مزيد من الإنفاق العام في المستقبل.

نحاول بهـذا العرض الموجز سـبر أغوار أهم الاشكاليات التنموية وانعكاسها في الطفولة العراقية، مـع التركيز على التغييرات في حزم الحماية الاجتماعية وأبرز الأنشـطة الحكومية التي تعزز سياسات الاستثمار في الأطفال، يلي ذلك مناقشـة نظم الحمايـة الاجتماعية، بما في ذلك السياسات المخصصة للأطفال.

أولا: تحليل واقع الطفولة:

ليس ثمة شك في ان المجتمع العراقي مجتمع فتي، وهو أمر تترتب عليه مسؤوليات كبيرة ينبغي النهوض بها لحماية الطفولة وتهيئة مستلزمات مستقبلها بناءً على ما ينجز لها في الحاضر.

لقد صادق العراق على اتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٩٤ وبذلك أصبح في موضع التزام دولي بجملة من الواجبات الإنسانية والأخلاقية التي تشكل حقوقاً غير قابلة للتجزئة. إلا من ظروف العراق الكارثية، وطيلة سنوات، من النزاعات والحصار وهدر الموارد جعلت الأطفال الضحية الأولى سواء في حاضرهم وفي مستقبلهم.

١- التركيب العمري والجنسي للأطفال:

يُعرّف الطفل طبقاً لاتفاقية حقوق الطفل بكونه: كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المُنطبق عليه. وتلزم الاتفاقية الدول الأطراف بالامتناع عن أي نوع من أنواع التمييز ضد الأطفال[٣]. وطبقاً لبيانات الجهاز المركزي للإحصاء يتوزع الأطفال ديمغرافياً كما يأتي:

جدول (١) توزيع الأطفال بحسب خصائصهم العمرية والجنسية[٤]:

ت	الفئات العمرية	الذكور	الإناث	الإجمالي
١	٠-٤	١٥٪	١٤,٤٪	١٤,٧٪
٢	٥-٩	١٤,٣٪	١٣,٦٪	١٣,٩٪
٣	١٠-١٤	١٢,٥٪	١٢,٢٪	١٢,٣٪
٤	١٥-١٩	١١,١	١٠,٧	١٠,٩

لقد شهد التركيب العمري للسكان تغييراً في العقود الثلاثة الأخيرة وأهم ملامح هذا التغيير نسبة الأطفال (الأفراد دون سن ١٥ سنة) بمقدار خمس نقاط مئوية بين عامي ١٩٧٧-١٩٩٧ وبمقدار عشر نقاط مئوية بين عامي ١٩٩٧-٢٠٠٧ لصالح تزايد نسبة السكان في سن العمل (١٥-٦٤سنة). ومع ذلك فان اتساع قاعدة الهرم السكاني تشير إلى ان اثنين من كل خمس أشخاص أي (٣٩,٨٪) من سكان العراق هم دون سن الخامسة عشرة مقارنة بنصف هذا الرقم أو أقل في المجتمعات المتقدمة[٥]. وطبقاً لمسح عام ٢٠١٢ بلغ متوسط حجم الأسرة في العراق (٦,٧) فرداً. في الحضر (٦,٣) فرداً وفي الريف (٧,٨) فرداً ويشير التوزيع العمري للأفراد الى ان عدد سكان العراق ما يزال فتياً حيث ان (٤١٪) منهم أطفال دون سن الخامسة عشرة من العمر[٦].

لقد واجه أطفال العراق معيقات حياتية جسيمة في بيئةٍ ازدحمت بمصادر التهديد والخطر وأفضت إلى نتائج تنطوي على انتهاكات خطيرة لحقوق الطفل.

٢- الطفل والتعليم

من المعلوم ان الهدف الثاني من أهداف الإنمائية للألفية هو: تحقيق تعميم التعليم الابتدائي بحلول عام ٢٠١٥، اما الهدف الثالث فهو تعزيز المساواة بين الجنسين ويتضمن غايات تتعلق بإزالة التفاوت بين الجنسين في التعليم الابتدائي والثانوي وفي موعد لا يتجاوز سنة الهدف المشار إليها.

أظهر المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة في العراق (IHSES/٢٠١٢) ان (٧٤,٤٪) من الأفراد ممن تزيد أعمارهم على (١٠) سنوات يجيدون القراءة والكتابة، وبلغ معدل الالتحاق الصافي بالمرحلة الابتدائية (٨٧,٧٪) وبالمرحلة المتوسطة (٤١,٨٪) وبالمرحلة الإعدادية (٢٢٪)[٧]. غير ان التفاوت يظهر واضحاً ما بين الذكور والإناث ، إذ بلغ معدل التحاق البنين لعام:٢٠١١(٩٣,٢٪) مقابل (٨٧,٤٪) للإناث. ان أعلى معدل التحاق للجنسين سجل في محافظة السليمانية فيما سجل أدنى معدل التحاق في ميسان (٨٥,٦٪ للذكور، ٦٦,٤٪ للإناث) بفارق نسبي كبير يزيد قليلاً على (١٩) درجة.

أ- فجوة النوع

تعرض النظام التعليمي في العراق لمخاطر وأضرار كبيرة على الرغم من ان العراق بدا مسيرته لتطبيق مبدأ التعليم للجميع قبل عقدين من صدور الإعلان العالمي حول التعليم للجميع الذي أقره المؤتمر العالمي المنعقد في (جوميتان/ تايلاند) عام ١٩٩٠[٨]. غير إن سنوات الحروب، والحصار، والاحتلال، والإرهاب، أدت إلى حرمان آلاف الأطفال من حقوقهم التعليمية. وعلى الرغم من ان ما يبدو ظاهراً من ارتفاع في موازنة التربية فأن نسبة عالية من الموازنة تنفق كرواتب فيما تتراجع الجهود الاستثمارية وتظل المشكلات الرئيسة تمارس تأثيرها السلبي في النظام التعليمي وفي مقدمة ذلك الأبنية المدرسية، فضلاً على عوامل خارجية كالفقر، والهجرة، والتهجير القسري، وزواج الفتيات المبكر.

مؤشر (١) يبين نسبة التحاق البنات إلى البنين في مراحل التعليم الابتدائي حسب المحافظات[٩]

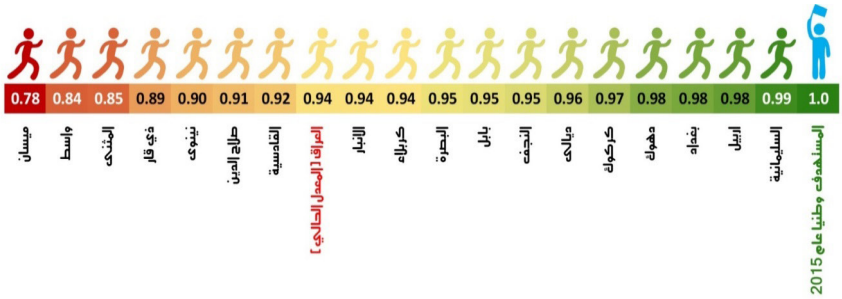

مؤشر (٢) يبين نسبة التحاق البنات إلى البنين في مرحلة التعليم الثانوي.

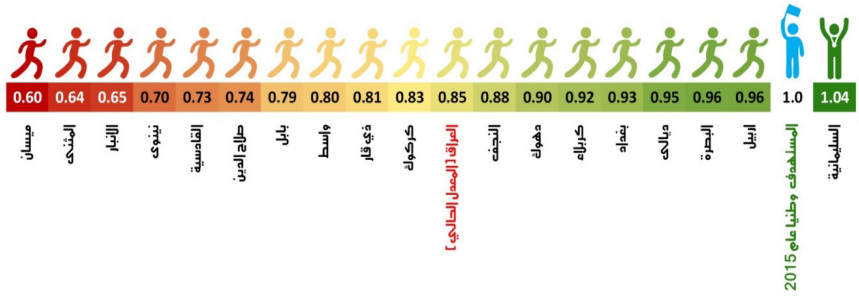

ب- ارتفاع معدلات الامية:

وتعد فجوة النوع من أخطر التحديات التي تهدد الطفولة العراقية ومستقبلها، إذ على الرغم من ارتفاع معدلات الامية بين السكان العراقيين لكنها ترتفع أكثر بين الاناث. وقد أظهرت المسوح الحديثة، ارتفاع معدلات الامية بين الاناث، اذ تتفاوت وفقا للفئات العمرية. إذ بينما تبلغ ١٦٪ للفئة العمرية (١٢-١٩) سنة، تتراوح بين الفئات العمرية ٢٠-٢٩ و ٣٠-٣٩ بين ٢٠٪ و ٢١٪، ولكنها تصل الى ٦٦,٦٪ في الاعمار ٥٠ سنة فأكثر.

أظهرت المعطيات الاحصائية تدني التحصيل العلمي لنساء العراق في الفئة العمرية ١٥-٥٤ سنة،

إذ ان حوالي ٢٢٪ لا يستطعن القراءة والكتابة، وان أكثر من ثلث النساء بقليل لم يتممن أعلى من الابتدائية، وان حوالي ١٨٪ فقط من النساء في الفئة العمرية اعلاه اتممن الاعدادية أو أعلى. وبطبيعة الحال تزداد نسبة الامية مع ازدياد العمر.

ج- التباين المكاني

ان من أهم معايير قياس نجاح النظام التعليمي هو نسبة انتقال التلاميذ من الصف إلى الصف التالي وتظهر البيانات الرسمية ان المحافظات العراقية حققت نسباً جيدة عام٢٠١١. إذ بلغت (١٠٠٪) في واسط ثم كربلاء (٩٨,١٪). اما أقل النسب فكانت في ميسان (٨٥,٣٪)[١٠]. ويلحظ ان معدلات الالتحاق الصافي في التعليم الثانوي لم تتحسن كثيراً ولا سيما للإناث في الريف إذ بلغت نسبة الإناث في الريف (٢٥,١٪) مقابل (٥٣,٩٪) في الحضر، (٤٢,٩٪) لإجمالي العراق فيما بلغت نسبة البنين في الريف (٤٤,٥٪) مقابل (٥٧٪) في الحضر، (٥٢,٢٪) لإجمالي العراق بحسب المسح العنقودي متعدد المؤشرات (MICS-٤:٢٠١١)[١١].

جدول (١) يبين تفاوت نسب التحاق الاطفال على مستوى الحضر والريف

المؤشـــــر	حضر	ريف
نسبة الالتحاق في التعليم الابتدائي	٩٠,١	٨٣,٦
نسبة الالتحاق في التعليم الثانوي	٢٦,٣	٢١,١

المصـدر: وزارة التخطيط، نتائج المسـح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة العراقية ٢٠١٢.

ولعل من المناسب الاشارة الى ان كثيراً من الخطابات والافتراضات حول الطفولة والشباب والمرأة تستند في حقيقتها الى القوالب النمطية بدلا من الشواهد والأدلة العلمية. وان كثيراً من وسائل الإعلام والنشاطات الأكاديمية الدولية المهتمة بالسياسات الخاصة بالطفولة تفصلهم كأفراد قائمين بانفسهم بصرف النظر عن أسرهم أو مسكنهم أو المجتمع الذي يعيشون فيه[١٢]. إذ يتم التركيز عادة في الاطفال الذين يواجهون خطر الفقر المدقع والحرمان، مثل أولئك الذين يعيشون في الشارع، والاتجار بهم في الأعمال الخطرة، أو المعرضين للصراعات المسلحة والهجرة القسرية. على صعيد آخر تميل وجهات النظر الخاصة بالأطفال عموماً الى وصفهم بأوصاف يغلب عليها طابع الاستخفاف او التحقير. في سبيل المثال، الميل الى تصوير أطفال الشوارع في البلدان النامية على أنهم مجاميع من»الهاربين أو المتشردين والمنحرفين.

بناءً على المؤشرات التي وفرتها المعطيات الإحصائية، وما توافرت من معلومات وانطباعات الواقع توصلت الدراسة الى نتيجة مهمة وهي ان الأطفال يواجهون تحديات جسيمة مع وجود بيئة غير ملائمة تعيق ممارسة هذا الدور. ويمكن تحديد أهم تلك المعيقات:

١. البيئة الاقتصادية غير ملائمة للتنمية البشرية، وهي بمعنى أدق بيئة غير ملائمة للأطفال، إذ تفاعلت متغيرات المرحلة الانتقالية مع الاختلالات البنيوية للاقتصاد العراقي، فأوجدت عجزاً بنيوياً، وتوالداً متواصلاً للمشكلات. هذا الوضع يضعنا أمام حاجة حقيقية الى أنموذج جديد للتنمية يكون التغيير المطلوب في البيئة الاقتصادية. إذ ماذا نفسر

انتشـار الفقر (حوالي ٢٠٪ من السكان) في بلد مثل العـراق وهو من البلـدان الغنية بموارده؛ وعمل الاطفال يستشـري في المناطق جميعها؟ ومـا معنـى ان يكون هـذا المعـدل مرتفعاً في ظـل موازنة اتحادية لم تكن مسـبوقة في تاريخ العراق. ان هذه الحقائق ربما تعود الى:

- اسـتمرار المرحلـة الانتقاليـة لأكثر من عشـر سـنوات، وهذا الامر يؤدي بلا شك الى اسـتنفاذ طاقـات المجتمع وعدم اسـتفادتهم من الفـرص. فضـلاً علـى ان المرحلـة الانتقالية ماتزال مجهولة التوجه.

- هناك تعثر في إنجاز التحولات المطلوبة، إذ انتكـس هيـكل الاقتصاد بشـكل كبير، وظل النفط هو القطاع المهيمن، مع تراجع واسـع في أهميـة القطاعات الأخرى، وهـذا الوضع ليس في صالح الطفولة والشباب.

٢. البيئـة الاجتماعيـة: إذ ظلـت البيئـة الاجتماعية لأكثـر من عقدين متأزمة تعاني من اختلالات بنيوية بسبب الإرهاب والعنف والتهديد الأمنـي والبطالـة والامية فضلاً علـى التفاوت الموجـود فـي المجتمـع والحـراك الاجتماعي المزيـف، وهذه بمجملها تخلق وضعاً لا يسـمح باندماج المجتمع عموماً والأطفال خصوصاً.

تكمن المشـكلة الرئيسـة في تمكين الاطفال في العراق في النظام التعليمي الذي يعد الساحة الأساسية لبناء قدرات الاطفال. النظام التعليمي أحياناً يفشل في ان يؤدي دوراً في عملية التغيير والبناء، إذ لايزال الطفل العراقي يتلكأ في طرح آرائهم بحريـة لان المناهج وطرق التدريس لا تعلـم الطالب علـى حرية التفكيـر، فهي تربية امتصاصية لا نقدية، تضخ المعلومات ولا تتيح لهم التفكير. وهذا النظام لا يصنع قادة.

مـن جانب آخر، يرتبط نظامنـا التعليمي بالبناء الطبقـي، إذ ان التعليـم المجانـي يوسـع فرص تحقيق العدالة، غير ان التحول الى مساحة التعليم الأهلي الخاص والتي ترتفع كلفة الدراسة فيه الى حدود لا تتحملها معظم الاسر مما يضيق الفرص أمام الحراك الاجتماعي، وبالتالي تقليص فرص مشاركة الشباب واندماجه.

٣- الطفل والصحة

كمـا تعرض النظـام التعليمي لأضرار جسـيمة كذلـك كان الحال مع النظام الصحي، وقد انعكس ذلك على حياة العراقييـن كلهم، وكانت الأمهات والأطفال في مقدمة من تحملوا وزر تردي النظام الصحي، وقاية وعلاجاً. تضمن الهدف الرابع من الأهداف الإنمائية للألفيـة تخفيض معدل وفيات الأطفال بنسـبة الثلاثين. واسـتكمل هذا الهدف، بالهدف الخامس المتضمن تحسن صحة الأمهات.

تتصل صحة الطفل في جانب مهم منها على بأوضاع التغذية للأسرة. ولعل أول ملاحظة يمكن الإشارة إليها هي ان هناك حالة من عدم المساواة بين السكان طبقاً لمعيار الاستهلاك إذ اظهر مسح عـن الأمن الغذائـي ان غنى خمس من السـكان يستهلك طاقة غذائية أكثر بحوالي (١,٩) مرة من الفئة الأفقر وهذه النسـبة ارتفعت منذ عام ٢٠٠٧ حيث كانت حوالي (١,٧) مرة مما يشير إلى زيادة في عدم المساواة بين ٢٠٠٧-٢٠١١[١٣].

فـي عـام ٢٠٠٦ أظهـر المسـح العنقودي (MICS٣-٢٠٠٦) ان نسـبة وفيـات الأطفال دون سن الخامسة بلغت (٤١) وفاة لكل (١٠٠) مولود حي على مسـتوى العـراق ولم ينخفض هـذا المعدل كثيراً عام (٢٠١١) إذ طبقاً لمسـح (MICS-٤) بلـغ (٣٧,٢) وفـاة لكل (١٠٠٠)

مولود. ومع ان بعض المحافظات حققت انخفاضاً ملحوظاً عما كان عليه المعدل عام ٢٠٠٦ إذ انخفض من (٧٠) إلى (٤٢,٣) وفاة في صلاح الدين. ولكن محافظة أخرى (كركوك) أرتفع فيها المعدل عام ٢٠١١ إلى أكثر من النصف.

من جانب آخر بلغ معدل وفيات الأطفال الرضع طبقاً لمسح (MICS-٣ ٢٠٠٦) (٣٥) وفاة لكل ألف مولود حي. وبالمقارنة مع نتائج (MICS-٤ ٢٠١١) فأن هذا المعدل لم ينخفض إلا بمقدار قليل ولكن هناك ما يقرب من تسع محافظات حققت تقدماً ملحوظاً بخفض المعدل مثل محافظة صلاح الدين، ومحافظة واسط، ومحافظة كربلاء، غير ان المعدل كان عالياً في محافظة كركوك (٤٤,١) وفي محافظة ديالى (٤٢,٤) وفاة[١٤].

ان معدلات وفيات الأطفال ترتبط بمتغيرات عديدة منها صحة الأمهات والتلقيح، والرعاية في أثناء الولادة، والولادة في مركز صحي وغير ذلك. ومن المعلوم ان تردي حالة النظام الصحي لم تكن وحدها عاملاً في ارتفاع معدل وفيات الأطفال، بل ان الوضع الأمني المتدهور ولا سيما خلال الأعوام الأخيرة لاسيما بعد التطورات الأخيرة في المشهد وسيطرة الجماعات المسلحة على عدد من المحافظات. إلى جانب الوعي الصحي للأسرة وأوضاعها الاقتصادية.

بلغت نسبة الولادات التي تمت من أشخاص مؤهلين خلال السنتين السابقتين للمسح العنقودي (MICS-٤ ٢٠١١) (٨٩٪) وترتفع هذه النسبة في الحضر إلى (٩٣٪) تقابل (٨٢٪) في الريف. وطبقاً لمؤشر الثروة فأن أسر النساء الغنية والأغنى ترتفع فيها نسبة الولادات على أيدي مؤهلين (٩٥٪) بينما تنخفض غلى (٧٧٪) لدى نساء الأسر الفقيرة. إلى جانب ذلك حصلت ثلاث ولادات من بين كل أربع ولادات أعلى في مستشفى أو مركز صحي خلال السنتين التي سبقت (MICS-٤ ٢٠١١). وان نسبة ولادات أعلى تمت في المستشفيات والمراكز الصحية لنساء المناطق الحضرية (٧٩٪) مقابل أقل من (٦٧٪) لنساء المناطق الريفية. كذلك فأن(٦٦٪) من النساء غير المتعلمات يلدن في مركز أو مستشفى مقابل (٨٢٪) للنساء الحاصلات على شهادة المتوسطة فأعلى.

اتساقا مع ما تقدم أظهرت نتائج (MICS-٤ ٢٠١١) ان (٧٠٪) من الأطفال بعمر (١٢-٢٣) شهراً لديهم بطاقات صحية. وبلغت نسبة الأطفال (١٢-٢٣) شهراً الذين تلقوا لقاح ضد مرض السل خلال الاثني عشر شهراً الأولى من عمرهم (٩١٪) والذين تلقوا الجرعة الأولى من اللقاح الثلاثي (DPT) حوالي (٩٨,٥٪) غير ان نسبة التلقيح في الجرعة الثانية انخفضت إلى (٧٥٪)[١٥].

من جانب آخر أظهرت مؤشرات المسوح الحديثة تراجعا نسبيا في الاوضاع الصحية للأطفال خلال السنوات ٢٠٠٦-٢٠١٢ وكالاتي:

المؤشر (للأطفال دون سن ٥ سنوات)	MICS3 عام ٢٠٠٦ ٪	MICS4 عام ٢٠١١ ٪
سوء التغذية (نقص الوزن)	٧,٦	٨,٤
التقزم	٢١,٤	٢٢,٣
الهزال	٤,٨	٦,٩
الاسهال	١٣	١٤,٥
الرضاعة الطبيعية المطلقة بعمر اقل من ٦ أشهر	٢٥,١	١٨,٦

المصدر: وزارة التخطيط، خطة التنمية الوطنية ٢٠١٣-٢٠١٧، فصل التنمية البشرية والاجتماعية.

إن صحة الطفل تتعلق على نحوٍ مباشر بالنظام الصحي فيما يوفره من خدمات وقائية وعلاجية إلا إن الوضع الأمني يلقي بضلالهِ على مجمل الحياة الصحية للمواطنين كما ان تخصيصات وزارة الصحة الاتحادية في الموازنة العامة (٢٠٠٦-٢٠١٠) اذ انها لم تتخذ اتجاهاً تصاعدياً يتناسب مع نسبة النمو السكاني البالغة (٣٪). لقد شكلت النفقات التشغيلية (٧,٦٪) مقابل (٤,٧٪) للنفقات الاستثمارية[١٦]. كذلك فأن انشغال المؤسسات الصحية بالآثار البشرية الناجمة عن العنف، والإرهاب، قد يكون سبباً وراء التغاض عن خدمات نوعية ضرورية للأطفال والأمهات.

لقد كان للاحتلال دوره في انتشار امراض معينة مثل السرطان، إذ ظهرت ارتفاعات عالية في سرطان الثدي على وجه الخصوص إذ ارتفعت نسبة الحالات المسجلة من سرطان الصدر من مجموع انواع السرطان إلى (٣٦,١٪) عام ٢٠٠٩ بعد ان كانت (٢٩,١٪) عام ٢٠٠٤[١٧].

ان من أهم عوامل الإصابة بالأمراض السرطانية هو اليورانيوم المنضب، والأسلحة المحرمة دولياً التي استخدمت في مناطق معينة في العراق، والتي نتج عنها – ومازال-تشوهات خلقية خطيرة.

ثانياً: الطفولة والفقر

الفقر انتهاك لحقوق الإنسان لأنه لا يقتصر على مجرد ضآلة أو انعدام الدخل، بل هو أيضاً ظاهرة مركبة من الحرمان متعدد الأبعاد. وهو في العراق يُعبر عن مفارقة لافتة بين غني في الموارد ولا مساواة في التوزيع، ويمكن القول على نحوٍ من الاعمام من أبناء الأسرة الفقيرة يعملون. وأنهم اقل تعليماً فضلاً على كونهم أكثر عرضة للمخاطر الصحية، وللزواج المبكر، والتعرض للانحراف.

وليس من شك في ان عبء فقر الأطفال يؤثر سلباً في قوة الاسرة الاقتصادية وامكاناتها في مواجهة التحديات، مما يزيد من احتمالات التسرب من المدارس فضلاً على خفض قدرتها على تقديم الرعاية الصحية لأطفالهم، ما ينعكس سلباً على مستويات التوتر في حياة الاسرة وزيادة مخاطر وقوع الأطفال في براثن التهميش والاستغلال والإهمال. الى جانب المؤثرات التي تنعكس على النمو الاقتصادي الوطني وتقويض فرص التماسك والاندماج الاجتماعي.

ان اهم التحديات التنموية التي تواجه العراق اليوم وجود فوارق كبيرة في مستوى التنمية الاقتصادية ومعدلات الفقر، إذ باتت التباينات بين المحافظات واسعة وخطيرة، ففي عام ٢٠١٢ كان مستوى المعيشة في السليمانية (مقاساً بإنفاق الفرد الشهري) أكثر من ضعف المستوى الموجود في المحافظات الجنوبية في (المثنى والقادسية وذي قار وميسان)، وقابل هذا التدرج الجغرافي الحاد في مستويات المعيشة بين المحافظات فروقاً كبيرة في معدلات الفقر حيث تخطى معدل الفقر في المحافظات الجنوبية ٤٠٪ ليبلغ أعلى معدل في محافظة المثنى ٥٢٪[١٨]. وهذا الامر أدى الى ارتفاع عدم المساواة بين المحافظات التي شهدت ارتفاعاً في معدلات الفقر، ما أربك المشهد التنموي وقوض فرص النمو في الحد من الفقر. إذ كانت المحافظات التي حققت أفضل أداءً من حيث الحد من الفقر هي تلك المحافظات التي حققت نمواً

اقتصادياً، وفي الوقت نفسه نجحت في الحد من إشكاليات عدم المساواة. والعكس شهدت المحافظات ارتفعت فيها معدلات الفقر ارتفاعاً في مستويات عدم المساواة، وبذلك شهدت تحديين متزامنين هما انخفاض معدل النمو الاقتصادي وزيادة عدم المساواة[١٩]. وفي خضم هذه التداعيات يجد العنف العائلي دعماً في كثير من السياقات من الأعراف الاجتماعية، ويتحدث كل من الرجال والنساء عن الضغوط الاقتصادية وأدوار وعلاقات الجنسين المتغيرة كعوامل رئيسة للعنف المنزلي، الذي ينعكس مباشرة على أوضاع الأطفال وخياراتهم ومستقبلهم[٢٠].

ان المشكلة الأساسية في العراق تتجسد في تنامي نسبة الفقراء بين الأطفال، إذ في الوقت الذي يشكل فيه نسبة الفقر في العراق ١٩٪ من مجموع سكان العراق عام ٢٠١٢ (الذين يقل دخل الفرد الشهري ١٠٥,٥٠٠ دينار عراقي، وهو خط الفقر الوطني)، سجلت نسبة الفقراء من الأطفال ٥٨٪ من مجموع الفقراء، أي ان ١ من بين كل ٤ أطفال يعيشون دون خط الفقر[٢١].

ان معطيات الواقع تظهر بما لا يقبل الشك ان الفئات الأكثر تضرراً من الفقر في العراق هم الأطفال، إذ ازداد الفقر المدقع بين الأطفال ليبلغ ضعف معدل البالغين. ويبلغ معدل الأطفال الذين يعيشون تحت خط الفقر الغذائي ١,٢٪ عام ٢٠١، وهو معدل يقارب ضعف مجموع المعدل للبالغين وكبار السن. هذه البيئة المتدهورة جعلت الأطفال أكثر عرضة لخطر الوقوع في براثن الفقر ذلك ان خط الفقر-لذي يعرف انه احتمال الوقوع بالفقر- أعلى بنسبة ٢٥٪ بين الأطفال مقارنة مع اجمالي السكان عام ٢٠١٢.لقد ازداد خطر الفقر للأطفال منذ عام ٢٠٠٧ بنسبة ٨٪ ، وبلغت أعلى نسبة خطورة في عام ٢٠١٢ للأطفال بعمر ٥-١٤ سنة[٢٢].

لقد ارتفعت معدلات الفقر بوتائر تنذر بخطر محدق بعد أحداث حزيران ٢٠١٤ واستيلاء داعش على ثلاث محافظات (نينوى وصلاح الدين والانبار) نجم عنها نزوح ملايين من السكان الى مختلف محافظات العراق وخارجه، فارتفعت معدلات الفقر والبطالة بمستويات مهددة الأمن الإنساني الامر الذي انعكس بشكل واضح على الطفولة العراقية ومستقبلها التنموي.

أما على صعيد العمل فقد بين المسح العنقودي متعدد المؤشرات (MICs٣) أن طفلاً واحداً من بين تسعة أطفال بعمر (٥-١٤) سنة أي (١١٪) من مجموع أطفال هذه الفئة يعملون. ويعمل الذكور بنسبة أكبر من الإناث (١٢٪ مقابل ٩٪ على التوالي) وترتفع نسبة الأطفال في المناطق الريفية بالمقارنة بالمناطق الحضرية (١٨٪ مقابل ٦٪). وطبقاً لمسح عام ٢٠١١ فأن الصورة قد تغيرت إلى حدٍ ما. إذ ان طفلاً واحداً يعمل من بين كل (١٤) طفلاً بعمر (٥-١٤) سنة أي (٧٪) بانخفاض مقداره (٤) درجات نسبة عن عام ٢٠٠٦. وتزداد نسبة عمل الأطفال في الريف إلى (١٠٪) مقابل (٥٪) في الحضر ويشتغل الأولاد بنسبة أكبر من الإناث (٨٪ مقابل ٦٪)[٢٣].

على ان الموضوعية تقتضي الإشارة إلى ان كثيراً من الأطفال العاملين قد يمارسون هذا النشاط في إطار عائلي أو قرابي. وان عملهم يشكل استراتيجية بقاء مناوئة للفقر لكن ذلك لا ينفي حقيقة ان عملهم يشكل خطراً على

مستقبلهم. وكان الإعلان العالمي لحقوق الطفل قد دعا لحماية الأطفال من الإساءة والاستغلال والعنف ولذا فأن من الضروري مراقبة عمل الأطفال بما في ذلك نوع العمل، وساعاته، وبيئته[٢٤].

لقد كشفت كثير من الدراسات[٢٥] ان هناك صلة بين العيش في أسرة فقيرة ورفاه الطفل ومستوى نوعية الحياة بشكل عام، على الرغم من ان بعض الدراسات لا تظهر وجود ارتباط مباشر بين العاطلين عن العمل ومستوى رفاهية الطفل، ولكن تأثير البطالة في الأطفال بالغ إذا نتج عنه تفاقماً في مستوى الفقر أو الحرمان. وقد تكون الاثار أخف عند دفع الحكومة فوائداً للأسر في حالة فقدان العمل أو شمولهم بتسهيلات الضمان الاجتماعي. وفي هذه الحالة، فان فرض شروط صارمة من الفوائد يمكن أن يكون لها تأثير محدود في الأطفال لأنهم لا يتمتعون بتغطية شاملة من الفوائد أو الخدمات[٢٦].

عموماً يبدو ان هناك أربعة تأثيرات مترابطة بعلاقات قرائن تزيد بشكل كبير من تعرض الطفولة للهشاشة في أنحاء العالم جميعاً: الفقر وعدم المساواة والاستبعاد الاجتماعي والبيئات الخطرة.

الأول: ما يزال الفقر المطلق أحد أخطر التهديدات التي تواجه الطفولة في البلدان النامية[٢٧]. في الوقت نفسه يؤثر على أعداد كبيرة من الاطفال في البلدان ذات الدخل المرتفع. وعلى الرغم من ان الآثار التنموية غالباً ما تكون غير مباشرة، فان الفقر يرتبط بمجموعة من المخاطر المحددة، كسوء التغذية والبيئية والاكتظاظ. في سبيل المثال ترتبط حالات الاكتظاظ بعلاقات سلبية أقل استجابة على مستوى الأبوة والأمومة، فضلا على ان ضعف التواصل بين الوالدين والطفل يؤثر سلبا في التنمية المعرفية والنتائج الأكاديمية.[٢٨] كما يواجه الاطفال الذين يعيشون في البلدان المتأزمة والفقيرة أيضا أنواعاً معينة من المخاطر، مثل الملاريا والتهجير القسري المرتبط بالنزاع المسلح[٢٩].

الثاني، في معظم المجتمعات الانسانية، تتشكل حالة الفقر من خلال البنى السياسية والاقتصادية والمؤسسات والقيم التي دأبت على منح الامتياز لبعض فئات الاطفال وحرمت الآخرين منها، ينجم عنها لارتفاع مستويات اللا مساواة بين الأفراد في الاستهلاك والدخل أو الأصول (اللامساواة العمودية كما يطلق عليها ستيوارت)[٣٠]، والتي يمكن أن تكون عائقا حاسماً أمام انتقال الاطفال الى مرحلة البلوغ، إذ تقيد الموارد والفرص عند أكثر الفئات تهميشا أو حرماناً، في سبيل المثال، غالباً ما يقوض الفقر بشكل ملحوظ حالة احترام النفس.

الثالث، الكثير من الاطفال غالباً ما يكونون عرضة للهشاشة ليس بسبب التباين في الموارد المادية الفردية أو المادية المطلقة، ولكن بسبب « انخفاض القيمة الثقافية للجماعات او لفئات معينة من الناس في المجتمع بحكم كونهم ينتمون لفئة او مجموعة عرقية او ثقافية. وتأسيساً على ذلك تتعاظم ظروف غياب المساواة وبدرجة أكبر أو أقل مع وجود عيوب تستند إلى مجموعة السمات الثقافية المعززة لحالة غياب المساواة الأفقية، وهذه غالباً

مـا ترتبـط بالعـرق والطائفة واللغـة والدين والجنـس و / أو الإعاقـة البدنيـة أو العقلية. هذه المجموعات توصم باسـتمرار مع الفئات والشـرائح المسـتبعدة اجتماعيـا والمحرومة اقتصاديـا. كمـا تجد الفـوارق الراسـية في القيـم الاجتماعيـة والثقافيـة تعبيـرا لهـا في الديناميـات داخل الأسـرة، والمشـاركة في المؤسسـات، وممارسـات الحيـاة المجتمعية والسياسـية والاقتصادية. بعض الفوارق لدى بعض المجموعات، في سـبيل المثال، القائمة على النوع الاجتماعي، تتعاظم بشكل واضح خـلال مرحلة المراهقـة عندما يبدأ الشـباب بتولـي أدوار تنموية ومسـؤوليات تقوم على اسـاس النوع الاجتماعي في مرحلة البلـوغ.

ولعـل مـن المهـم الاشـارة الـى ان كثيراً من حـالات غياب المسـاواة الأفقيـة ومظاهر الاستبعاد الاجتماعي المرتبط بها يمكن أن يزيد بسـبب طبيعة القيود المكانية المرتبطة بالموقع الريفـي، مـا يزيد من مشـكلات تأمين خدمات عاليـة الجـودة، والتعـرض للتدهـور البيئـي وغيرها مـن المخاطر. في هذه الطريقة، تلتقي المشكلات الناجمة عن القيود المكانية، وحالات غيـاب المسـاواة الأفقية والعموديـة جميعاً في حياة الكثير من الاطفال، مما يؤدي الى تقليص الخيارات المتاحة أمامهم لا سيما إذا كان الطفل او الفتـاة، من مجموعة أو أقليـة عرقية أو من الذين يعيشـون في منطقة ريفيـة نائية. ونتيجة لذلك، تتجذر حالـة الفقر والتهميش الاجتماعي وعلى نحـو متزايد داخل الأسـر والمجتمعات المحليـة، وربما تتفاقم طيلة حيـاة الفرد وتنتقل عبر الأجيال[٣١].

الرابع: تبقى البيئات الخطرة سـبباً رئيسـاً لحـالات ضعـف النـاس وتهميشـهم. ان آثـار التعرض المبكر لتلوث البيئية، بما في ذلك المياه غير المأمونة الشـرب، وتلوث الهواء، وسـوء الصرف الصحي والأمراض المعدية، يمكن أن تؤدي الى عواقب وخيمـة على المدى الطويل؛ فالأطفال الصغـار هم أكثر عرضـة للتأثيرات الفسـيولوجية الناجمـة عـن التلـوث. وتشـمل المخاطر البيئية من تلـوث الهواء الى التعرض للرصاص والتلـوث الضوضائـي، إذ اظهرت الدراسـات وجـود صلـة بيـن التنمية النفسـية والاجتماعية والمعرفية والتعرض للضوضاء.

ثالثاً: الأطفال في بيئة اجتماعية محفوفة بالمخاطر

ترافقت الثغرات البنيوية والثقافية في العراق مع سلسـلة مـن الأزمـات المعقـدة التي جعلت المجتمع بيئة تفتقر إلى الأمن الإنسـاني، وتسمح بظهور مشـكلات أخرى علـى صعيد علاقات النـاس ومصالحهـم المشـتركة وتصوراتهـم لمسـتقبلهم. وتبـدو الأسـرة العراقيـة أنموذجاً لمؤسسـة تقليديـة تعرضـت لمؤثـرات الحداثة فبدت هجينة تتقاذفها تيـارات التجديد والأصالة وتعرضهـا لفوضـى الصراعـات، وانكمـاش مصادر الـرزق، وتعـدد أسـباب الحرمان، ما جعلها بنية هشة معرضة للتفكك، وتراجع قدرتها علـى تحمل عبء مسـؤولياتها ولا سـيما تجاه أطفالها. ان ظواهر التشـرد، والأطفال الفاقدين، للأمن في الشوارع، إلى جانب الاتجار بالأطفال، وتزويـج صغار الفتيـات، أو الاتجار بهن. ذلك كله وغيره ما يشكل أرقاماً سوداء مجهولة، على الرغم من أنها واضحة للعيان على مسرح الحياة اليومية. ويعدد الجهاز المركزي للإحصاء سبع جماعات من الأطفال المهمشـين هـي: الأيتام،

والمشـردين بشـكلٍ عام. والأطفـال المرتبطين بالجماعات المسـلحة أو المتأثرين بالصراعات المسلحة، وأطفال الشوارع، والأطفال المعوقين، والأطفال المشغولين بأشكال وضيعة من العمل، والأطفال المصابين بالإيدز، والأطفال الخارجين عن القانون، ان هذه الجماعات المهمشـة تواجه فـي حياتهـا اليوميـة مسـتوى عالياً مـن الفقر وأشـكال متعـددة مـن الحرمان، وقـد أصبحت هذه الجماعات تشـكل نسـبة مهمة مـن اللوحة الاجتماعية العراقية[٣٢].

كان تقرير لبعثةِ الأمم المتحدة بشـأن حقوق الإنسـان في العراق عام ٢٠٠٦ قد بين ان أعداد الأطفال اليتامى والأرامل في زيادةٍ مستمرة. وقد أكد مسـح MICS-٤ هذه الحقيقة بإشـارته إلى ان أعداد الأطفـال اليتامى في العـراق ازدادت نتيجـة زيادة أعمال العنـف والتهجير. ان (٥٪) مـن الأطفـال في الفئـة العمرية (٠-١٧) سـنة هـم من الأيتام بعد وفاة أحد الأبوين. وان نسـبة اليتامى (٠-١٤) سـنة الذين فقـدوا أحد الأبوين بلغت (٧٪) وتتقارب النسب في الريف والحضر وبين الذكور والإناث. ان ما نسـبته (٦٨٪) من الأطفال اليتامـى ما زالوا ملتحقيـن بالمدارس. مقابل (٨٢٪) للأطفال غير اليتامى[٣٣].

يمكن النظر إلى التفكك الأسري الناجم عن الطلاق أو وفاة أحـد الأبوين أو كليهما بوصفه البيئـة التي تنمو فيها وتتعقد مشـكلات الأطفال بدءاً من القلق وفقدان الإحساس بالأمان وصولاً إلى التشرد وارتكاب أفعال تضعهم في حالةٍ من النزاع مع القانون. وحين يكون الطفل مشـرداً فـان عواقـب خطيـرة تنجم عن ذلـك. هذا إلى جانب ان أعداداً ليست فليلة تعرضوا للقتل[٣٤].

من جانبٍ آخر، فأن معدل الإعاقة قد ارتفع جـراء عمليـات الإرهـاب، والعنـف، وكذلك من جـراء تعرضهـم -الأطفال-لملايين الألغام حيـث تأثـر مـا مجموعـه (١٥٧٩) مجتمعـاً محلياً مـن الألغام وتم تسـجيل (٥٦٥) ضحية كان (٩٨,١٪) منهـم مـن المدنيين، وثلثهم من الأطفال دون سن (١٤) سنة[٣٥]. ومن المؤسف ان الأعداد الحقيقة لـذوي الاحتياجات الخاصة غير متوافرة.

وبعـد الأزمـة التـي عصفـت بالبـلاد في حزيران ٢٠١٢ وما رافقها من العمليات القتالية في وسط العراق وشماله، أضحت مصادر الحياة والاسـتقرار والبناء مهددة كما تفاقمت مشكلات استمرار النشـاط الاقتصادي المدني والعمليات الانتاجيـة والتسـويقية المرتبطـة بها فأصبحت حياة ملايين العائلات في مفترق طرق وارتفعت مسـتويات البطالـة وتراجـع الأمـن الوظيفـي للأشـخاص بعد ان تقطعت سبل الوصول للعمل واسـتلام رواتبهم. ان ظروف النزوح السـريعة أثقل كاهل العوائل واستنفد مدخراتهم لاسيما بعد استمرار الازمة لشـهور عديدة مع ارتفاع غير مسـبوق في أسعار الايجارات مما زاد من حجم المعناة والوقـوع في براثن الفقـر[٣٦]. كما أدت الزيـادة في البطالة[٣٧] إلى «زيادات لا مفر منها في اسـتحقاقات الرعاية الاجتماعيـة المرتبطة بالمسـتفيدين كإعانـات النازحين والمسـاعدات الاجتماعية، في الوقت نفسه، أدى نقص الوظائف وبطء الاجراءات الرسـمية وغير الرسـمية في مواجهة مخاطر التهجير القسـري في كثير من المناطق الى تهديد مباشـر وغير مباشر للطفولة ومـا ينجم عنها مـن اضطرابات ضغوط ما بعد الازمة Post-Traumatic Stress disorder لاسـيما في العوائل التي لديها اطفال صغار، إذ تشـير بعض الدراسـات الدولية الى أن الاسـر

المكونــة من أبوين مع اثنيــن من الاطفال ترتفع تكاليف معيشــتهما بمقدار ٤٠٪ مقارنة بالأســر بدون أطفال[٣٨].

رابعاً: أفق للمستقبل

أدت ظــروف العنــف، والإرهــاب وفقدان السيطرة على عدد من المحافظات، وسوء إدارة الموارد الاقتصادية، وتردي أداء البنى التحتية، الــى وجــود بيئــة مزدحمــة بمصــادر الخطر والتهديد المباشــر أو غير المباشر، على الرغم مــن ان المعيقات الرئيســة للتنمية فــي العراق ليســت طارئة بــل هي تحديات بنيوية أســهمت الاحتكاكات السياســية والنزعــات الخاصة في تفاقم معدلات العرقلة لهذه الاتجاهات.

في المجتمعات التي تمر بمراحل التغيير من نظام سياسي أو اقتصادي الى آخر، يرافقها نشوء أجيال جديدة تتطور نتيجــة هذه التفاعلات. وهنا يطرح السؤال الاتي: إذا أردنا التغيير ابتداءً، هل يتطلب منا تبني مشروع سياسي تنموي اجتماعي؟ والجواب هنا نعم لان هذا ما يمكن ان تحشد حوله الطاقــات الواعدة. ذلك ان هناك متغيرات عالمية محفزة (كالتحول الديمقراطي المدعوم من المجتمع العالمي)، كما ان هناك وسائل اتصال تغذي عملية التغييــر، فضلاً علــى وجود متغيرات سياســية على الصعيد العربي (الربيع العربي)، والعالمي (العولمة التي تطــرق باب المجتمعات كلها) الى جانب المتغيرات على الصعيد المحلي. هذه الفجوة التي يشــعر بها الطفل والشاب العراقي مع العالم المتقدم، هي تحديداً عامل مهم في التغيير.

الأطفــال فــي المراحل المتقدمــة من العمر عموماً يمثلــون الدينامية التي تنبثق من نظرتهم للمســتقبل، إلا ان هــؤلاء ارتباطهــم بالماضــي ضعيــف، وهــم مجموعــات غير متجانســة أو متماثلة. عموماً فــي العراق هناك فئتان **الأولى:** مندمجــة فــي المجتمــع وتتمتــع بالامتيــازات المتوافرة -اجتماعياً وتعليمياً-ولديها طموح ببناء مســتقبل أفضــل. **والثانية:** أطفــال ينتمون الى فئات مستبعدة أو مهمشة تكون في قاع المجتمع، تمارس مهناً هامشــية، غير منخرطة في العمل السياسي، ولديها انطباع ان الدولة قد تخلت عنها ولا تدخلها في حساباتها. هؤلاء غالباً ما يكونون محتجيــن متمردين، ولاؤهم ضعيــف وأبناؤهم يحلمون بالهجرة الى الخارج. هذه الفئة مهدورة خســر المجتمع طاقاتها، ربما تكون البؤرة التي تنطلق منهــا الاحتجاجــات الاجتماعيــة او من خلالها يحدث التغيير المطلوب.

ان نســبة لا يســتهان بها من أبنائنا تلجأ الى عدم المشاركة والانسحاب من الحياة، وغالباً ما تنصرف الى عالم آخر، أحياناً: الى الدين كساحة للانتظــار، أو أحياناً الى عالم افتراضي بلجوئها الــى المخدرات أو أحياناً الهجرة، وان كثيراً من المؤشرات تنذر بخطر داهم ناجم عن انسحابهم من المشاركة الفاعلة في العملية التنموية.

ثمــة قضيــة تجدر الإشــارة اليهــا وهي ان التكويــن البيولوجــي والنفســي والاجتماعــي للأطفال في المراحل المتقدمة يجعلهم أصحاب قــدرة للتغيير، لــذا فــان الخيارات المســتقبلية لابــد مــن أن تعول على هذه الشــريحة. وإذا لم يمارســوا هــذا الــدور فالقصور ربمــا لا يعود إليهم، بــل الى الحرمان الذي يعانون منه نتيجة احتكار الكبار لسـلطة القرار، أو عجز الأنظمة عن تحديد طريق واضح للتنمية.

ممــا تقدم كله يمكن القــول إن هناك قصوراً واضحاً فــي البيئة التمكينية للطفولة. والســؤال

الـذي يطـرح هنـا أيضاً: هـل من الاجـدر ان يكـون دورهم في التغيير كمجموعات منظمة أم ممارسات ومبادرات فردية؟ وهنا يمكن ان نتوقع بان يؤدي التطورات في مجال الاندلاع المعرفي وتطور فضاءات العمل الافتراضي دوراً حاسماً يمكن ان يؤدي فيها أدوارا غير تقليدية.

وفـي السـياق نفسـه، كيـف يمكـن للدولة والمجتمع المدني ان تسهم بدور لتمكين الاطفال من أداء أدوار تنموية تنسجم مع طبيعة المرحلة الانتقاليـة التـي يمر بها العـراق؟ المطلوب ان تترك الدولة والمجتمـع المدني الاطفال بحرية تامة لتنفيـذ خياراتهم وتوفر لهم السـبل الكفيلة لتحقيق الأهداف.

١ ـ الخيارات والتدخلات:

ان تحليـل التغيـرات فـي البرامـج والسياسـات الخاصـة بالطفـل والأسـرة التـي تنفذهـا الـدول خـلال الأزمـات يظهـر تبني مجموعة متنوعة من الاسـتجابات لتعزيز فـرص الامـن الانسـاني وضمـان رفاههـم. وتشـمل هذه التدخلات إدخـال تخفيضات على الخدمات الاجتماعية وتأمين اسـتمرارية تدفق المدفوعات، وإدخـال تدابير التحفيز، والانتقال نحو سياسات أكثر نشاطا وفاعلية.

وعلـى الرغـم مـن الزيـادة فـي الإنفاق العام على الاسـتحقاقات العائلية كنسـبة مئوية مـن الناتج المحلـي الإجمالي خلال السـنوات الأخيـرة، غير ان غالبية تلـك التدابير لمعالجة تداعيات الأزمة لن تؤدي إلى انخفاض دائم في الاسـتثمار في الأطفال. من ناحيـة أخرى، ان كثيـر من تلك التدخلات كانـت مرتبطة بأنواع معينـة مـن الأسـر، ممـن تتـراوح أعمارهم فـي سـن الطفولـة أو دخل الأسـرة، مـا يعني أن هـذه التغييـرات قـد لا تشـمل الأسـر كلها بالنطـاق نفسـه. فضـلاً على ذلـك، غالبـاً ما تشـير المعطيـات المتاحـة الـى توفيـر الدعم للأسـر بغـض النظر ما إذا كانت هـذه التدابير والتدخـلات فـي السياسـة العامة جـاءت تلبية لطلـب من الأسـرة والدعم المتعلـق بالأطفال. ومن المهم تأكيد وضع الفوائد المتعلقة بالأطفال والأسـرة في ضمن السـياق الأوسع للتغييرات فـي السياسـات العامـة، ذلـك ان طيفاً واسـعاً من التدابير ربما ينعكس تأثيره في الطفل ورفاه الأسرة.

ان اعطاء حافز جديد بتشجيع الاستثمار في السياسـة العامة والخدمات ذات الصلة بالطفولة من شـأنه تحقيق تطور إيجابي، يساعد الأطفال والأسـر في اغتنام فـرص أفضل وتحقيق نتائج أسـرع، كما يساعدهم في التخلص من مشكلات الفقـر والحرمان. ان من الأهمية بمكان تأكيد أن السياسـات والبرامج في مرحلة مـا بعد الأزمة تتركز في دعم الأطفال والأسـر كلها للاستثمار والتدخل في وقت مبكـر واتخاذ التدابير العملية لإسـناد الأطفال ومسـاعدتهم فـي التخلص من ظروف الحرمان، ومن ثم الهروب من آفة الفقر والاستبعاد الاجتماعي في وقت لاحق من الحياة.

باختصار يمكن القول:

- ان اسـتمرار غياب الاستقرار وعدم وجود تماسـك سياسـي أدت الى حالة اضطراب وفوضـى وهـدر لا تقود الى حالـة وطنية معبرة.
- التغيير والمشاركة تتحقق عندما تتوفر البيئة التمكينية التي تساعد في بناء الدولة، وتقليص حالة الانقسام والتشظي والولاءات الفرعية.

وفـي أية حـال، يقتضي توفيـر الحماية الاجتماعية للأطفال في ظروف الازمات:

- احـداث تغييرات في الاسـتحقاقات المتعلقة بالطفل خلال الأزمة

ان توزيع تخصيصات الإنفاق العام تؤشـر لبرامـج المنافع الاجتماعية كافة (وتشـمل هذه الحالـة الفوائـد المخصصة للطفل والاسـرة). وفـي أية حـال، فإن هذه المؤشـرات لا تشـير بشـكل كافٍ لحـزم الفوائـد الخاصـة. أحياناً. وهنـا يمكننـا القـول ان المسـاعدات والمنافع الاجتماعيـة قد تكـون كافية لتسـهيل ديناميات الحياة واسـتمراريتها في الظـروف الطبيعية، غيـر انهـا تعرضت للتـآكل بعد عـام ١٩٩٠، وعلى امتداد العقدين الماضيين.

وقـدم عدد من العلماء تعريفـاً لحزم إعانات الاطفـال والتي تتكـون من التحويـلات النقدية والضريبية للطفل والمزايا والبدلات التي تقلل من المسؤولية الضريبية المباشرة للأطفال، والفوائد الاجتماعية المخصصة للإسـكان التي تأخذ في الاعتبـار وجود طفل واحد صعـوداً. وليس ثمة شـك ان حزم المنافع واجهت تحديات كبيرة في غير صالح الاطفـال بعد الازمات التي عصفت فـي العراق فـي حزيـران ٢٠١٤ حيث شـرد مئـات الالاف وارتفعت نسـبة البطالة والفقر». ولعل الخطورة تكمن في اتسـاع مساحة الفجوة بيـن حزمة منافع الأطفال وخـط الفقر. وفي أية حال، تظهر الأدلـة المقدمة في كثير من البلدان أن زيادة الإنفاق تحـدث فرقا في حياة الأطفال، ذلك لأن البلدان ذات المعدلات العالية في الانفاق علـى الطفـل غالباً ما يكون لديهـم انخفاض في معدلات الفقر بشـكل عام.[٣٩] وتأسيسـاً على ما تقدم تصبح قضية التغيير في استحقاقات الأطفال في ظروف الازمات أولوية ملحة لتأمين فرص الحماية الشـاملة للأطفال مـن الوقوع في براثن الفقر والحرمان والتي ربما تجعلهم فريسـة لكل ما هو ديماغوجي يعدهم بتحسين أوضاعهم.

- توسيع حزم المساعدات الاجتماعية:

مـن المهـم أن نلاحظ أنه بغـض النظر عن الفوائد التي تستهدف احتياجات الأطفال المباشرة، وهي بلا شك أوسع بكثير من مجموعة السياسات التي تؤدي بالنتيجة الى جملة من الفوائد التي يمكن أن تؤثر في مسـتوى الرفاه الشـامل للطفل، على سـبيل المثال، يتأثر الأطفال بالوضع الاقتصادي العام للأسرة، مثل طبيعة عمل والديهم، وظروف معيشتهم ومستوى المساعدة الاجتماعية المتاحة في أوقات الازمات. وقد لاحظ كثير من الباحثين في السـنوات الأخيرة تعرض أبناء الأسـر التي تعاني من مسـتويات العمل والمعيشة المنخفضة الـى تأثيرات سـلبية كبيرة معظمها بسـبب عدم كفاية الحماية الاجتماعية. وهذا الحال يتطلب وقفة جدية لسـبر أغوار عمليات الإنفـاق الاجتماعي التي شـهدت تغيرات واسـعة مع تحديد أولويات السياسـات الرامية إلـى رفع مسـتويات العمالة والتخفيف من الجوانب السلبية في تدابير الحماية الاجتماعية.

ان المؤشـرات آنفة الذكر جميعها ما زالت تظهر بأن الجهود مـا زالت بطيئة وتحتاج إلى مزيدٍ من الوقت لكـي تعطي ثمارها، وهنا لابد من تكثيف الخطا بجهود حثيثة لتحسين أوضاع الأطفال في العراق عبر سلسلة من الاجراءات في مقدمتها:

- الإسراع في تشريع السياسة الوطنية لحماية الطفل وترجمتها عبر اسـتراتيجيات وطنية

وبما يضمن توفير الأمن الإنساني له.

- تأسيس مجلس أعلى للطفولة يأخذ على عاتقه رسم السياسات الخاصة بالطفل ومتابعة الاستراتيجيات والبرامج ذات الصلة به.
- تواصل العمل لإصلاح الأنظمة الصحية والتعليمية.
- العمل على إطلاق استراتيجية جديدة للتخفيف من الفقر في العراق، تترافق مع إطلاق خطة التنمية الوطنية ٢٠١٣-٢٠١٧.
- تعزيز الجهد المؤسسي لهيأة رعاية الطفولة من خلال تأكيد استقلاليتها وتوسيع صلاحياتها وامكاناتها.

الهوامش

(1) -Richardson، D. 2010. 'Child and famθ ily policies in a time of economic crisis.' **Child and Society** 24: 495–508.

(2) -UNICEF. ٢٠١٢ ., *Measuring child poverty: new league tables of child poverty in the world's rich countries*. Report Card 10, UNICEF Innocent Research Centre. As of 29 March 2014: http://www.unicef-irc.org/publications/pdf/rc10_eng.pdf..

(٣) اتفاقية حقوق الطفل العالمية، ١٩٩٤، المادتان (١) و(٢).

(٤) الجدول مستمد من: وزارة التخطيط، الجهاز المركز للإحصاء، مسح شبكة معرفة العراق، (٢٠١١)، الجدول رقم: (١-٤).

(٥) اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، حالة سكان العراق لعام ٢٠١٠، شباط، ٢٠١١، ص١٥.

(٦) وزارة التخطيط، الجهاز المركز للإحصاء، المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة في العراق، ٢٠١٢، ص٣٨.

(٧) المصدر السابق نغسه: ص٤٧.

(٨) جمعية الاقتصاديين العراقيين، تقرير التنمية البشرية، ١٩٩٥، بغداد، ص٤٨.

(٩) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المسح الاجتماعي والاقتصادي للأسرة العراقية ٢٠١٢.

(١٠) الجهاز المركزي للإحصاء، تقرير مؤشرات رصد الأهداف الإنمائية للألفية على مستوى المحافظات، شهر آب، ٢٠٠٩، ص٩.

(١١) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المرأة والرجل في العراق: إحصاءات تنموية، ٢٠١٢، ص١٤.

(12) -**Leonardi, C..** "Liberation or Capture: Youth in Between 'Hakuma', and 'Home' During Civil War and Its Aftermath in Southern Sudan." *African Affairs* 106(424) 2007 : 391–412.

(١٣) تراجع تفاصيل حول الأمن الغذائي، الجهاز المركزي للإحصاء وبرنامج الأغذية العالمي، الأمن الغذائي وظروف المعيشة والتحويلات الاجتماعية في العراق، بغداد، ٢٠١٢، ص٢٠.

(١٤) تقرير ة مؤشرات رصد الأهداف الإنمائية، مصدر سابق، ص٢٩.

(١٥) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مراقبة أوضاع النساء والأطفال، العراق، المسح العنقودي متعدد المؤشرات، MICS-٤، ٢٠١٢، ص٢٥ وما بعدها.

(١٦) اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني في العراق، ٢٠١٢، ص١٤١.

(١٧) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المرأة والرجل، مصدر سابق، ص١٩.

(١٨) د. مهدي محسن العلاق، قياس فقر الأطفال في العراق، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي العاشر للدفاع عن حقوق الطفل، بغداد، ٢٢ نوفمبر ٢٠١٤.

(١٩) المصدر السابق نفسه.

(٢٠) البنك الدولي، أصوات الفقراء صيحة للتغيير، القاهرة: مركز الاهرام للترجمة، ط١، ٢٠٠٢، ص١٢٣.

(٢١) د. مهدي العلاق، مصدر سابق.

(٢٢) المصدر السابق نفسه.

(٢٣) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء،

نتائج مسح MICS-٤، مصدر سابق، ص٤١.

(٢٤) يعـرف عمـل الأطفـال أو اشـتغال الطفـل بأنـه العمل الذي يزيد على الحد الأدنى من عدد سـاعات الاشـتغال اعتمـاداً على عمر الطفـل، ونوع العمل ويعـد الطفل الذي يتراوح عمره بين (٥-١١) سـنة مشتغلاً إذا مارس نشـاطاً اقتصادياً لمدة ساعة على الأقل خلال الأسبوع السابق للمسح إذا مارس نشاطاً أو منزلياً اقتصادياً لمدة اقل من (٢٨) ساعة.

(25) Bradshaw, J., & Richardson, D. 2009. 'An index of child well-being in Europe.' Child Indicators Research 2 (3): 319–51.

(26) Richardson, D. 2010. 'Child and family policies in a time of economic crisis.' Child and Society 24: 495–508.

(27)**Wachs, T. D., and A. Rahman..** "The Nature and Impact of Risk and Protective Influences on Children's Development in Low-Income Countries." In P. R. Britto, P. L. Engle and C. M. Super, eds., *Handbook of Early Childhood Development Research and Its Impact on Global Policy*. Oxford: Oxford University Press, 2013.

(28) **Wachs, T. D. ,** "Expanding our view of context: The bio-ecological environment and development." In R. Kail, ed., *Advances in Child Development and Behavior,* vol. 31: 365–411. New York: Academic Press, 2003.

(29) Wachs, T. D., and A. Rahman., Op cit.

(30) **Stewart, F., "**Horizontal Inequalities: A Neglected Dimension of Development." QEH Working Paper Series no. 81. Oxford: University of Oxford, 2002.

(31) **Boyden, J., and G. Mann.,** "Children's Risk, Resilience and Coping in Extreme Situations." In M. Unga, ed., *Handbook for Working with Children and Youth: Pathways to Resilience Across Cultures and Contexts.* Thousand Oaks, California: Sage Publication, 2005. P. 11.

(٣٢) اللجنة الوطنية للسياسـات السكانية، تحليل الوضع السكاني، مصدر سابق، ص١٧٢-ص١٧٣.

(٣٣) المصدر سابق، ص٤٦-ص٤٧.

(٣٤) الأمـم المتحـدة، منظمة اليونيسـيف، إيقاد شـعلة الأمـل في زمـن الأزمات، دراسـة تحليلـه لوضع الطفل والمرأة في العراق، آب، ٢٠٠٧، ص٦٣.

(٣٥) اللجنة الوطنية للسياسـات السكانية، تحليل الوضع السكاني، مصدر سابق، ص١٧٤.

(٣٦) أظهـر المسـح الاجتماعي والاقتصادي للأسـرة العراقية ٢٠١٢ ان حجم السـكان ممن هم تحت خط الفقـر يقدر بنحو ١٩٪ قبل العاشـر من حزيران في عموم العراق، إلا ان بعض التقديرات تشـير الى أن خط الفقر ربما ارتفع اليوم ليلامس نسـبة لا تقل عن ٣٠٪ مـن سـكان البلاد، ويعزز ذلـك وجود مليون ونصف مهاجر من المحافظـات موضوع الصراع مع الارهاب، مضافاً إليهم معاناة السـكان المحليين أنفسـهم ممـن يواجهون الإرهاب بشـتى الوسـائل والذين انقطعت بهم سـبل الحياة المدنية وأساسـيات الحياة كافة، كخدمات المياه والصحة والدواء. أنظر: د. مظهـر محمد صالح، ملامح الاقتصاد السياسـي للصراع في العـراق، http://Iraqieconomist.net/ar/١٣/٧/٢٠١٤

(٣٧) ان مؤشـرات البطالـة الفعلية التي بلغت ١٢٪ قبل العاشـر من حزيـران قد ارتفعت اليـوم وفق بعض التقديـرات الاوليـة الى ٢٠٪، او ربما اكثر بسـبب توقف النشاط الاقتصادي في خمس محافظات تشكل اليوم مسرحاً للعمليات العسـكرية. المصدر السابق نفسه.

(38) Barbara Janta, Marie-Louise Hens ham, Social protection during the ecoe nomic crisis How do changes to benea fits systems affect children? Rand Org. 2014.

(39) Richardson, Op Cit.

Childhood development and the challenges in Iraq

Abstract:

There is no doubt, that crises, terrorism, violence and poor resource management conditions, poor infrastructure performance, led to the formation of a crowded environment, sources of risk and direct threat and indirect elements of human security for the children in Iraq. It is no exaggeration to say, that human exposure to risk means a potential deterioration in the achievements of human development and diminished the possibility of sustainability, making it constantly vulnerable to deterioration of the overall humanitarian and service conditions or future achievements.

The challenges facing the sustainability of the development are constantly changing, the children and young people and social environments and built facing different forms of risk require oriented processors. So that the decisive stages of life, especially the first five years of a child's life, or the transition from school to work, or exposure to the marginalization and exclusion and other operations. The setbacks in these stages are difficult to overcome sometimes, and leave marks may last a lifetime.

This study attempted to explore the depths of the most important developmental dilemmas and reflection on the Iraqi children, with a focus on changes in the social protection packages and most government activities that promote investment policies in children, followed by a discussion of the most important development choices in children's policies.

العنـف ضد الاطفال والبناء التربوي في واقع المجتمع العراقي

أ.م.د. علي حسين الحلو(*)

ملخص البحث

يعـد العنف ضد الاطفال من الانواع الاكثر خطـورة على الفرد والمجتمـع حيث ان نتائجه غير مباشـرة وتترك آثارا سـيئة وتحدث خللا علـى الاطفال ممـا يخلق علـى المـدى البعيد شخصيات معقدة ومهزوزة نفسيا وعصبيا.

وتطـرق البحـث الحالـي الـى العنف ضد الاطفال من اربعة محاور اساسية هي:-

- **حقائــق وارقام حول ظاهــرة العنف ضد الاطفال**
- **اشكال العنف ضد الاطفال**
- **العوامل المؤثرة في تفاقم هذه الظاهرة**
- **الاجراءات الوقائية للحد من هذه الظاهرة**

كما اشـار البحث الى واقـع البناء التربوي والتعليمي في العراق من خلال خمسـة مظاهر القـت الضوء على تدهور التربيـة والتعليم في العراق وهي :-

- **المظهــر الاول :** الاهمـال الشـديد وعـدم الايفاء بمتطلبات المهنة
- **المظهر الثاني :** ضعـف الهيكل التنظيمي والبنـى التحتيـة والتجهيزات المدرسـية ، وتخلف مسـتوى المناهج الدراسية وغياب المواد التي تنمي اسـلوب التفكير والتحليل المنطقي لدى الطالب .
- **المظهر الثالث :** ضعـف الاهتمام بالتربية الاخلاقية وفي غـرس الاخلاق المدنية من سلوك ومواقف وقيم في نفسية الطالب.
- **المظهــر الرابع :** ويتمثل فـي تفاقم ظاهرة الغياب والتسـرب وازدياد الامية وانتشـار المعتقدات لدينية المتطرفة.
- **المظهــر الخامس :** يتجسـد فـي الضعف

(*) كلية التربية للعلوم الانسانية/ ابن رشد

الكبيـر للتكويـن اللغوي والعلمـي وقدرته على التعبير.

المقدمة

بسـم الله الرحمن الرحيم {لَئِن بَسَـطتَ إِلَيَّ يَـدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِـطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَـافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِيـنَ * إِنِّي أُرِيـدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِـي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَـزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُـهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ}

صدق الله العظيم [المائدة: ٢٨-٣٠]

تزايد الاهتمام في السنوات الاخيرة بدراسة العنـف ويعـزى السـبب فـي ذلك الـى ادراك اهمية فهم ظاهرة العنف التي تتفشـى في الحياة الاجتماعية بشـكل ملحوظ وتفسيرها فالعنف لا يقتصـر على الجماعات الرافضـة ، بل اصبح سـمة مميزة لنمط التفاعل في الحياة الاعتيادية للأفراد. وهذا التفاعل يكشف عن اشكال متعددة من العنـف وهي تتجلى على مسـتويات عديدة بدءاً من الاسـرة ومـروراً بالمجتمع ووسـائل الاتصال وانتهاءً بالتعامل مع مؤسسات الدولة.

وظاهرة العنف ليسـت ظاهرة حديثة وانما يعود تأريخها الى بداية المجتمع الانساني الاول مـن حكاية قابيل مع اخيه هابيل ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن شـهدت البشـرية اصنافا لا تحصى كماً وكيفاً من مظاهر القسوة والبربرية والعنف التي سـببت سلسـلة من الكـوارث المأسـاوية المتعاقبـة لأن العنـف لا يولـد الا العنف. والى جانب هـذا لم يكن العنف فطريا بـل كان دوماً قدراً بفعل احمق يكتسب في النفس البشرية ، فلم يكن الانسـان عنيفاً يوم ولدته امه ، بل ان عنف البيئة وعسـر الحياة والتربية وعنف الآباء هو الـذي يعزز العنف في خلايا الدماغ حتى حملته جيناته الوراثية فكاد ان يكون موروثا .

ويـرى (حجـازي ١٩٧٦) ان العنـف هو لغـة التخاطب الاخيرة الممكنـة مع الواقع ومع الآخرين حين يشـعر المرء بالعجز عن ايصال صوته بوسائل الحوار الاعتيادي وحين تترسخ القناعة لديه بالفشـل فـي اقناعهـم بالاعتراف بكيانـه وقيمتـه ، كما يشـير (ابراهيم ١٩٩١) الـى ان العنـف ظاهـرة مركبـة لهـا جوانبها السياسـية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وهو ظاهرة عامة تعرفها المجتمعات البشـرية كلهـا بدرجـات متفاوتـة ، كما انه الاسـتخدام غير الشـرعي للقـوة او التهديـد لألحاق الاذى والضـرر بالآخريـن والممتلـكات وذلـك من اجل تحقيـق اهداف غير قانونيـة او مرفوضة اجتماعيا ، كما ان العنف نمط من انماط السلوك الذي ينبع من حالة مصحـوب بعلامات التوتر علـى نية سـيئة لألحاق ضرر مـادي ومعنوي بكائـن حي الى جانـب ان العنف هو احد اوجه الروح السـادية المكبوتة في الفرد وانعكاسا من انعكاسات الانا والانانية لديه حتى وان كان في حالـة دفاع. ويعد العنف ضد الاطفال من انواع العنـف الاكثر خطـورة على الفـرد والمجتمع اذ ان نتائجـه غير مباشـرة وناتجـة اصلاً عن اختلاف في موازين القوى داخل الاسـرة غالبا مـا تترك الآثـار وتحدث خللاً في الاشـخاص وخصوصا عنـد الاطفال، ما يخلق على المدى البعيد شخصيات معقدة ومهتزة نفسيا وعصبيا، وهذا يؤدي الى اعادة انتاج العنف ضد الاطفال ويختلـف العنـف ضد الطفـل كمـا ونوعاً من مجتمـع الى آخر ومـن زمان لآخـر، ومرجع ذلـك اختلاف الظـروف الاجتماعيـة والثقافية والاقتصادية لكل مجتمع، ويعد العنف باشـكاله

وصوره كلها سلوكا مرفوضا ومؤذيا وغالبا ما يكون ضحاياه اكثر الفئات ضعفا داخل الاسرة والاطفال.

ان العنف ضد الطفل ظاهرة **اجتماعية قانونية** ، فهو ظاهرة **اجتماعية** لأنه يظهر في المجتمع لأسباب تعود للبيئة والعادات والتقاليد السائدة فيه. **وقانونية** لوجود قوانين وتشريعات تجرم الافعال التي تشكل مظاهر العنف كالقتل والايذاء وغيرها من ظروف الاعتداءات الجنسية والاخلاقية ، وتعاني هذه التشريعات من قصور في تنظيمها كما انها لا توجد قوانين خاصة تحمي الطفل من العنف الموجه ضده كما هو حال غالبية الدول.

(حجازي ١٩٧٦ ص ٢٦٣)

مفهوم العنف:

ان تحديد مفهوم للعنف مجال واسع عريض، فهذا المصطلح يمكن ان يشير الى أي شيء بدءاً من التهديد بالقوة او استخدامها لإهدارها الكرامة الانسانية وانتهاءً بالفقر المدقع والعوز ، ومن الاهمية بمكان التفرقة بين العنف السافر واعمال التمرد والحرب ، وبين العنف المستتر لأعمال القهر الرمزي والهيكلي وكذلك التفرقة بين المستويات الاجتماعية والسياسية للعنف ومستويات العنف فيما بين الافراد ، فضلاً على هذا فأن مصطلح **العنف** يحمل دلالة سلبية تستحق الادانة وهذا المعنى الذي يتسم بالإدانة للعنف هو الذي يفسر استخدامه على نطاق يتسع يوما بعد آخر ، واذا كان العنف على المستوى الوصفي يشير الى القوة البدنية التي تستخدم للإضرار او التدمير فأنه على المستوى الاخلاقي يشير الى ايذاء الآخرين (يحيى لال ١٩٩٥،ص٣)

ويشتق مصطلح العنف Violence في اللغة الانجليزية من المصدر The Violate بمعنى ينتهك او يعتدي، ويعرف معجم لسان العرب (العنف) بأنّه الخُرقُ بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. عَنُفَ به وعليه، يعنُفُ عنفاً وأعنفه وعنّفه تعنيفاً، وهو عنيفٌ إذا لم يكن رفيقاً في مالا يُعطي على العنف. (نصر١٩٩٦ ص١٢)

أمّا الأعنف: كالعنيف. والعنيف: الذي لا يُحسن الركُوب وليس له رفق بركوب الخيل واعنف الشيء: أخذه بشدة. واعتنف الشيء: كرهه. والتعنيف: التوبيخ والتقريع واللوم.

وعنف: العين والنون والفاء، أصل صحيح يدل على خلاف الرفق. قال الخليل: العُنف ضد الرفق. تقول عَنفَ، يعنف عنفاً، فهو عنيف، إذا لم يرفق في أمره. (الكرخي ٢٠٠٣ص٣)

وتشير الموسوعة العلمية (Universals) ان مفهوم العنف يعني كل فعل يمارس من طرف او جماعة او فرد ضد افراد آخرين عن طريق التعنيف بالقول او الفعل ، وهو فعل عنيف يجسد القوة المادية او المعنوية .

وذكر قاموس وبستر (WEBSTERS) ان من معاني العنف ممارسة القوة الجسدية بغرض الاضرار بالغير ، وقد يكون شكل هذا الضرر مادياً من خلال ممارسة القوة الجسدية او معنوياً من خلال تعمد الاهانة المعنوية بالسب او التجريح .

وتعرف منظمة الصحة العالمية٢٠٠٢ العنف بأنه : الاستعمال المتعمد للقوة الفيزيائية او القدرة سواء بالتهديد ام الاستعمال المادي الحقيقي ضد النفس ام ضد شخص آخر ام ضد

مجموعــة او مجتمــع بحيث يــؤدي الى حدوث (ام احتمــال حدوث) اصابــة ام موت ام ضرر نفسي او سوء نمو او الحرمان (منظمة الصحة العالمية ٢٠٠٢ص٥) .

ويرى العقاد ان العنف: هو استجابة سلوكية تتميــز بصفــة انفعالية شــديدة قــد تنطوي على انخفاض في مستوى التفكير والبصيرة

(العقاد٢٠٠١ص١٠٠)

ويعرفه عبد المحمود والبشري٢٠٠٥ بأنه: السلوك الذي يتضمن استخدام القوة في الاعتداء على شــخص آخر من دون ارادتــه، او الاتيان او الامتناع عن فعل او قول من شــأنه ان يسيء الى ذلك الشخص ويسبب له ضررا جسمانيا او نفسيا او اجتماعيا

(عبد المحمود والبشري ٢٠٠٥ص١٣)

امــا لالاند ١٩٩٦ فيشــير الــى العنف على انه السلوك المشوب بالقســوة والعدوان والقهر والاكراه وهو سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارا صريحــا بدائيــا ، نحــو الضــرب والتكســير والتدميــر للممتلــكات واســتخدام القــوة لأكراه الخصم وقهره. (لالاند ١٩٩٦ ص١٥٥٤)

محددات العنف: للعنف محددات متنوعة؛ يمكن تلخيصها كما يأتي:

أ ـ المحددات الاجتماعية:

تشمل المحددات الاجتماعية للعنف ما يأتي:

١ـ الإحباط: ويعدّ هو أهم عامل منفرد في استثارة العنف لدى الإنسان وليس معنى هذا أن كل إحباط يؤدي إلى العنف، أو أن كل عنف هو نتيجــة إحباط ولكي يؤدي الإحبــاط إلى العنف فلابد من أن يتوافر عاملان أساسيان:

أولهما: إن الإحباط يجب أن يكون شديداً.

وثانيهما: إن الشخص يستقبل هذا الإحباط على إنه ظلم واقع عليه ولا يستحقه، أو أنه غير شرعي.

٢ ـ الاســتثارة المباشــرة من الآخرين: وربما تكون هذه الاســتثارة بســيطة في البداية كلفــظ جارح أو مهين ولكن يمكن أن تتضاعف الاســتثارات المتبادلــة لتصــل بالشــخص إلى أقصى درجات العنف.

٣ـ التعــرض لنماذج عنف: وهــذا يحدث حين يشــاهد الشــخص نماذج للعنف في التلفاز أو السينما، فإن ذلك يجعله أكثر ميلاً للعنف من خلال آليات ثلاثة هى:

*** التعلم بالملاحظــة Observational Learning**: إذ يتعلــم الشــخص من مشــاهد العنف التي يراها طرائق جديدة لإيذاء الآخرين لم يكن يعرفها من قبل.

*** الانفلات Disinhibition**: بمعنى أن الضوابط والموانع التي تعدّ حاجزاً بين الإنسان والعنف تضعف تدريجياً كلما تعرض لمشــاهد عنف يمارسها الآخرون أمامه على الشاشة.

*** تقليل الحساسية Desensitization:** إذ تقل حساســية الشخص للآثار المؤلمة للعنف وللمعانــاة التي يعانيها ضحية هــذا العنف كلما تكررت عليه مشاهد العنف، فيصبح بذلك أكثر إقداماً على العنف من دون الإحســاس بالألم أو تأنيب الضمير.

ب- المحددات البيئية:

وتتضمن المحددات البيئية كلاً من تلوث الهواء والضجيج والازدحام وغير ذلك.

جـ المحددات الموقفية:

وتتكون المحددات الموقفية مما يأتي:

١ - **الاستثارة الفسيولوجية العالية**: مثل المنافسة الشديدة في المسابقات، أو التدريبات الرياضية العنيفة، أو التعرض لأفلام تحوي مشاهد مثيرة.

٢- **الاستثارة الجنسية:** فقد وجد أن التعرض للاستثارة الجنسية العالية (كأن يرى الشخص فيلماً مليئا بالمشاهد الجنسية) يهيئ الشخص لاستجابات العنف.

٣ - **الألم:** فحين يتعرض الإنسان للألم الجسدي يكون أكثر ميلاً للعنف نحو أي شخص أمامه. (يحيى لال ٢٠٠ص٧)

سيكولوجية العنف :

العنف صورة من صور القصور الذهني حيال موقف ما ، والعنف وجه آخر من اوجه النقص التقني في الاسلوب والابداع في حل ومواجهتها معضلة وقد يصل العنف لمراحل الانهيار العقلي والجنون كما قد يكون وسيلة من وسائل العقوبة والتأديب او صورة من صور تأنيب الضمير على جرم او خطيئة مرتكبة ولن يتعدى في احواله كلها القصور الذهني والفكري لدى الانسان وهو في حالة من حالاته اضطراب في افرازات الغدد الهرمونية في جسم الفرد وعدم تناسب او انتظام في التوزيع الهرموني داخل الجسم الذي ينتج احيانا عن سوء التغذية او سوء اختيار نوعيتها، وأيا ما تكون العلة وراثية او بيئية فالعنف مرفوض حضاريا واخلاقيا وسلوكيا واجتماعيا .

العنف دليل من دلائل النفس غير المطمئنة وصورة للخوف من الطرف الآخر مهما تعددت اشكال ذلك الخوف ، وانعكاس للقلق وعدم الصبر والتوازن ، ووجه من اوجه ضيق الصدر وقلة الحيلة وقد يطيح العنف بصاحبه فتراه يضرب نفسه او ينطح رأسه بالجدار او يقطع شعر رأسه الما وانتقاما من فكرة او وسوسة في الدماغ قد لا يكون لها اساس من الصحة والمنطق، والعنف مراحل مثل هذه يكون مؤشرا على ضعف الشخصية ونقصان في رباطة الجأش وتوازن السلوك. (القبانجي٢٠٠٠بحث منشور على الانترنت)

ان القسوة والعدوان الكامن في العنف قد يتحول من صفة الاكتساب الى صفة الوراثة، فالاغتصاب والقسوة الجنسية مثلاً لن يخلفا الا كمدا ولن يزرعا الا اضطراباً وحسرة في النفس المتلقية والجنين المولود وبذلك تخلق معادلة الكآبة وتستمر لا تنتهي بانتهاء الحياة بل تتوالد من جديد في اصلاب قادمة، وهكذا خلف الاجداد العنف في ارحام نسائهم واورثناه نحن في اولادنا.

ان **القهر الاجتماعي** هو احد مكونات العنف ليس للفرد فحسب بل في المجتمع ايضا اذ ان مسألة الازدراء والسخرية والاستهزاء بالشخصية خصوصا بين الاطفال والشباب او حتى في الاسرة الواحدة كفيلة بأن تزيد الافرازات الهرمونية العصبية والعدوانية في الجسم لتثير في الفرد روح العنف والحقد والكراهية واستخدام القوة للرد ورفع القهر الناتج عن الاستهزاء اذ تشير العديد من التقارير المدرسية الى انّ اكثر المشاكل العنيفة

بين الطلاب كانت بسبب السخرية والاستهزاء وتسلط الكبار على الصغار ، وتشير احد التقارير من اليابان ان القهر الاجتماعي الناتج عن الاستهزاء ادى الى انتحار(٩) طلاب دون الرابعة عشر من العمر عام ١٩٨٥ كان احدهم فتى هادئا وديعا (شكور١٩٩٧ص٣٣)

كما ان **التنشئة الاجتماعية** والاسرية المبنية على تركيز رفع درجات الحقد والكراهية والانتقام ضد الآخرين قد تتأصل في النفس او المجتمع عموما وتعود على البعض منهم بالويل وبذلك ينطبق المثل القائل ((على نفسها جنت براقش)) كما ان الكذب وعدم العدالة من اسرع الصفات السلبية التي تتأصل في النفس البشرية.

ويعد **الاستفزاز** في الكثير من الدراسات العالمية من اهم محفزات العنف ومكوناته سواء للأطفال كان ذلك ام الشيوخ والحوامل وحتى الحيوانات اذ ان تأثيره غير الاعتيادي على تغيير افرازات الغدد الجسمية للطرف الآخر كفيل بخلق الاضطراب النفسي والفكري المصاحب للعنف والعدوانية إذ نجد الكثير من اولئك الذين يدفعهم الاستفزاز للاعتداء وتحطيم الاثاث والسيارات وكل شيء امامهم او ركل الكرسي وتحطيم النوافذ واغلاق الباب بقوة وغضب كرد فعل عنيف للإحباط وعدم الرضا والقهر احيانا اخرى اذ تشير الدراسات النفسية الى ان نسبة ٨٥٪ من الصراعات العدوانية ترجع الى الاستفزاز والسخرية والتربية او التنشئة المنزلية اذ ان ٧٥٪ من هؤلاء من ذوي العائلات ذات المشاكل الأسرية غير السليمة.

تفسير نظريات علم النفس لمفهوم العنف

واستكمالا للموضوع ولغرض الاحاطة التامة به لابد ان نستعرض عدد من النظريات والاتجاهات التي تصدت لتفسير ظاهرة العنف وكالآتي :-

١. نظرية التحليل النفسي:-

ترى هذه النظرية ان العنف والعدوان غريزة يولد الكائن الحي وهو مزود بها، اذ ان الانسان يولد وهو مزود بغريزتين هما:

الاولى: غريزة الحب والحياة وتشمل الغرائز الجنسية كلها وغريزة الانا واطلق عليها فرويد اسم (آيروسEros)

الثانية: غريزة الموت التي تهدف الى الهدم وانهاء الحياة واطلق عليها اسم (ثانتوس Thantos) وهي غريزة اذا ما اتجهت الى خارج الشخص فأنها تبدو في صورة عنف وعدوان وتدمير ، لذا اطلق عليها فرويد غريزة التدمير

(جابر١٩٩٠ص ٢٦- ٣٠) وما تجدر الاشارة اليه ان فرويد كان يرى ان العنف والعدوان امر حتمي بسبب غريزة الموت المتجهة اساسا نحو النفس لتدميرها ، لكنه يتحول الى الآخرين عن طريق الاحلال لذا وصفت وجهة نظر فرويد نحو الطبيعة الانسانية بأنها وجهة نظر متشائمة (المليجي ١٩٩٧ص٧٨)

٢. النظرية السلوكية:

تنظر هذه النظرية الى العنف على انه سلوك متعلم فإذا ضرب الولد اخاه وحصل على ما يريد فأنه سيكرر سلوكه هذا كي يحقق هدفا جديدا (يحيى ٢٠٠٠ص١٨٩) ويبدو ان العنف

يتكون لدى الفـرد من وقت مبكر من حياته من خـلال العلاقات الشـخصية المتبادلـة ، فتربية الطفل الخاطئـة تجعله يعتقد انه يعيش في عالم يرى ان الكلمة الوحيدة فيه للعنف والقوة ، وان الاهتمام بمشـاعر الآخرين نوع من الضعف ، لذا يتخذ العنف كوسيلة وحيدة لحل مشاكله

(العيسوي ٢٠٠٠ص١٥٨) اي ان استخدام العنف والقوة كأستجابة تحتل قمة هرم عائلة العادة كما يرى (دولارد وميللر) بحيث تصبح هي الاستجابة السائدة او المسيطرة (صالح ١٩٨٨ص١٣)

٣. نظرية كونراد Konrad

تفتـرض هـذه النظريـة ان لدى الانسـان غريـزة او دافع فطري مـوروث نحو العنف ، حيـث هناك مجموعة من الدلائل تشـير الى ان الخلل الكروموسـومي في ناحيـة الزيادة يؤدي الى تكوين اشـخاص متخلفين عقليا يكثر العنف بينهم .

كما تبين وجود كروموسـوم ذكري اضافي فـي الذكور الذين يرتكبـون جرائم العنف (أي يصبح التركيب الكروموسومي XYY بدلا من XY) وقد قام الباحث وتكن Witken وزملاؤه بدراسة ٣٤٦,٣١ شخصاً فوجدوا ان (١٢) منهم من اصحاب الكروموسوم الزائد XYY وتبين ان هنالـك (٥) منهـم سـبق وان ادينوا بجريمة عنف او اكثر (الشمري٢٠١٢ص٢٣١) .

فيما ترى (هورني) ان الصفات الشـخصية تتولد وتتطور ليس فقط قبل التجربة الشـخصية الفرديـة التـي تكتـب بالصدفـة، ولكـن أيضا بوسـاطة الظروف الثقافية الخاصة التي نعيش تحـت تأثيرهـا، إذ تعطي (هورنـي) ثقلا اكبر للقـوى الاجتماعيـة والثقافيـة بدلا مـن القوى الفسـيولوجية كعوامـل أساسـية فـي تكويـن الشـخصية، وتـرى ان مركز الشـخصية ليس الجنـس، لكن الحاجة والجهـود للحصول على الأمـان، وأن القـوى الاجتماعية فـي الطفولة هـي التـي تؤثر في نمو الشـخصية والسـلوك العدوانـي، فالعلاقـة بيـن الطفـل ووالديه هي العامل الأسـاس، فإذا توافـرت للطفل ظروف الطفولة المناسـبة فانه ينمو ويتطور ليصبح ذا شـخصية متكاملـة خالية من العـدوان والعنف والسلوك الشاذ. (خليفة ،١٩٧٧، ص٧٧)

فكل فرد يمتلك الإمكانات الموروثة لتحقيق السـلوكيات المرغوبـة، وأن مـا يعرقـل نمو الفـرد هو إحبـاط الحاجة الاساسـية للأمن في الطفولـة، وأن كل فـرد يسـتطيع التغيير نـحو الأحسـن، ويمكـن منـع العصابية عـن طريق تهيئـة الظروف المناسـبة في الطفولـة، وتقدم (هورني) قائمة من عشر حاجات تكتسب نتيجة محاولة العثور على حلول لمشكلة اضطرابات العلاقات الإنسانية هي:-

١. الحاجـة إلـى التعاطف والقبـول وتعني محاولـة دائمة من الفرد لكسـب رضا الآخرين وإعجابهم.

٢. الحاجة إلى الاعتماد على شـخص أخر وتعنـي حاجة ذلك الشـخص إلى شـخص أخر يسير أمور حياته.

٣. الحاجـة إلى الحيـاة الضيقـة المحدودة وتعنـي حاجة الفـرد إلى أن يحصر نفسـه في ضمن حدود ضيقة.

٤. الحاجـة إلـى القوة وتعنـي حاجة الفرد للسيطرة على حياته الخاصة وعلى الآخرين.

٥. الحاجة إلى الاستغلال: مثل هذا الشخص يفزعه استغلال الآخرين له ولكن لا يضايقه ان يستغل هو الآخرين.

٦. الحاجة إلى المكانة وتعني حاجة الفرد ان يكون محل تقدير ويسعى للحصول على اعتراف المجتمع بقدراته وامتداحه على مواهبه.

٧. الحاجة إلى الإعجاب الشخصي وتعني الحصول على قبول الآخرين لا على أساس ماهو عليه بل على أساس الصورة المثالية التي يعقدها على نفسه.

٨. الحاجة للطموح والانجاز الشخصي وتعني حاجة الفرد في ان يكون فائقاً على الآخرين.

٩. الحاجة الى الكمال وتعني تجنب الفرد الأخطاء من اجل الوصول الى الكمال في سلوكه.

١٠. الحاجة إلى الاستغلال وتعني رغبة الفرد في ان يكون متكيفاً نفسياً.

ان الشخص السوي لديه هذه الحاجات جميعها، وهو يسعى الى إشباعها ولكنه ينتقل من حاجة الى أخرى مع تغيير الظروف، في حين يركز العصابي على إحدى الحاجات وان لم تشبع فإنها تثير لديه قلقا شديدا كونها نقطة مركزية في حياته

(عبدالرحمن،١٩٩٨،ص٢٠٣). لذلك فأن على الفرد أن يطور احترامه لنفسه وأن ينمي اهتمامه الاجتماعي وترك العنف، وأن الإنسان لديه رغبة ملحة في السيطرة داخل هذا المجتمع والوصول إلى مكانة ذات معنى فيه، وأن غياب الشعور بالانتماء لدى الفرد يقوده إلى انفعالات مدمرة وخطيرة وان هدف العلاج هو الاهتمام الاجتماعي من الفر نفسه ومن الآخرين المحيطين به، وان أفضل طريقة لفهم الفرد هو الرجوع إلى عالمه الخاص(العزة،١٩٩٩،ص٢٩).

أما (روجرز) صاحب النظرية الإنسانية فقد أكد كون النفس المحور الأساسي للشخصية، والتي تتكون في أثناء الاحتكاك والتفاعل مع البيئة بوجه عام والاحتكاك بالآخرين بوجه خاص، وتتكون نتيجة لذلك صفات، وهذه الصفات هي المصدر الأساسي للشعور بالعداء تجاه الآخرين وممارسة العنف ضدهم مع قيم تلتصق بهذه المدركات، وقد تتصل القيم بصورة النفس نتيجة لخبرة مباشرة مع البيئة، كونها مستمدة من الآخرين (الجميلي،٢٠٠٢،ص٧٥)

وان مفهوم النفس هو مجموع الخصائص التي يعزوها الفرد لنفسه، والقيم السلبية والايجابية المتعلقة بها، وان الواقع ليس كما هو وإنما على وفق ما يدركه الفرد. ويسمى بالإطار المرجعي، وأكد أهمية ذلك في الصحة النفسية, وترك أساليب العنف المستخدمة، فالفرد السوي لديه احترام عالٍ لنفسه، وان الاضطرابات العقلية تنشأ من عدم التطابق بين حاجة الفرد للتعبير عن مشاعره الحقيقية وبين الرغبة في الحصول على احترام الآخرين عن طريق ممارسة العدوان والعنف، ويؤكد على ثلاثة مفاهيم توحيدية هي:-

١. الحاجة إلى الاعتبار الايجابي من الآخرين.

٢. الحاجة إلى اعتبار النفس عن طريق ممارسة العنف.

٣. شروط التقدير.

أمـا أصحـاب نظريـة التعلـم الاجتماعي (بانـدورا، ولتـرز، دولارد، ميلـر) يرون ان العنـف يتكـون عنـد الفرد عـن طريـق التعلم بالنمذجة وتعزيز السـلوك، ويتغير السلوك تبعا لنمـط التعزيـز المسـتخدم (الثـواب - العقاب) فالسـلوك الـذي ينتهي بالثـواب يميـل الى ان يتكـرر مرة أخرى في مواقـف مماثلة للموقف الـذي أثيب فيه السـلوك، كما ان السـلوك الذي ينتهـي بالعقاب يميل إلى أن يتوقف ويمتنع عن الحدوث وعلى الرغم من تأكيدهما مبدأ التعزيز وأثره في تقوية السـلوك فأنهما يشيران إلى ان التعزيـز وحده ليس كافيـا بحدوث بعض أنماط السـلوك الذي يظهر فجأة عند الفرد في ظروف لا يستطيع فيها الفرد ان يفترض ان هذه الأنماط السلوكية قد تكونت تدريجيا عن طريق التعزيز. وهنا يعطون اهتماما بالغاً للظروف الاجتماعية في تكوين السـلوك العدوانـي عبر الانموذج إذ ان الفرد في تصورهم لا يفهم إلا أثناء السـياق الاجتماعي، وان تشكيل السلوك يمكن ان يتعلمه الفرد من دون وجود تعزيز مباشر.

ويؤكدون الملاحظـة في التعلم الاجتماعي فـي تكوين العنف، وهي تلك العملية التي يتعلم الإنسـان فـي اثنائهـا بمجرد ملاحظة سـلوك الآخريـن (السـلوك يتشـكل بالملاحظة) الذي يطلـق عليهم النمـاذج أو النمـوذج، ويتضمن التعلـم بالملاحظـة، القـدرة على تعلـم أنماط سـلوكية معقـدة أثنـاء مراقبـة الآخرين، لان النـاس يمكـن ان يتعلمـوا مـن النمـاذج التي يراقبونهـا ولو بشـكل تقريبي والـذي يتم عبر التعزيز الشـخصي بدلاً من التعزيز الخارجي .(جابـر،١٩٨٣،ص٥٣).

وللنمذجـة أهمية خاصة فـي تكوين الضبط الشـخصي، فمشـاهدة الفرد لانمـوذج أثيب أو عوقب على القيام بسـلوك مـا يخلق توقعا لدى هذا الملاحظ بان قيامه بسـلوك مشـابه لسلوك النموذج سيجلب له نتائج مماثلة إذا قام بتقليده.

الحلول المقترحة للحد من ظاهرة العنف

١. العمـل علـى توعية المجتمع، لا سـيما الآباء والأمهات من خلال اسـتخدام الأسـاليب التربوية السليمة في عملية التنشئة الاجتماعية.

٢. تحسين المستوى المعاشي والثقافي لأبناء المجتمـع من خلال توفير دخل فردي مناسـب يسد الحد الأدنى من الحاجات الشخصية.

٣. توفيـر فـرص عمـل كافيـة، ومحاربة الأمية.

٤. العمل على عقد حلقات علمية واجتماعية ومؤتمـرات تثقيفيـة لتوضيـح أسـباب العنف الموجه ضد المرأة من خلال تبادل المعلومات.

٥. العمـل علـى منـع الافـلام والبرامـج التلفازيـة، إلا بعد عرضهـا على مختصين في مجال علم النفس وعلم الاجتماع.

٦. إعداد اسـتراتيجيات طويلـة الأمد للحد من عوامل الأخطار الاجتماعية والاضطرابات النفسية (كالمسكرات، والمخدرات).

العنف ضد الاطفال

الاطفـال اجمل ما في الحيـاة وقد صور لنا ذلك القـرآن الكريم بقوله تعالى في محكم كتابه الكريـم (المال و البنـون زينة الحياه الدنيا) ما يستوجب علينا الحفاظ على هذه النعمة وتربيتهم التربية الصالحة وارشـادهم الى الطريق القويم وفقا لما حددته لنا ورسـمته الشريعة الاسلامية

الغراء ، فالأبوان مسؤولان عن تربية اولادهم علـى وفق المنهـج الصحيح ومن ذلـك ما قاله الرسـول الكريم محمد (ﷺ) (ان الله سـائل كل راع عمـا اسـترعاه أحفظ ذلـك ام ضيعه حتى يسأل الرجل اهل بيته) فعلى الابوين ان يغرسوا القيم والمبادئ كلها ووفقا لما جاءت به الشريعة الاسـلامية السـمحة وان نعاملهم معاملة حسنة بكل رفق ولين لأن العنف لا يولد الا العنف .

وتعد ظاهـرة العنف ضد الاطفال من ابرز المشـكلات العالمية التي لا يـكاد ان يخلو منها مجتمع سـواء وصف بالتقدم ام الرجعية ، وهي ظاهر ماتزال تتفاقم وتنمو بشكل مضطرد حتى بدت السيطرة عليها امرا مستحيلا وذلك بسبب خصوصية هذه المشكلة ، فالظاهرة تتراوح بين حدود خارجـة عـن الارادة المجتمعية وحدود تدخلات الدولة وتشريعاتها .

وسأتناول في هذا البحث هذا الموضوع نظرا لأهميته البالغة من اربعة محاور اساسية هي :

اولا - حقائق وارقام حـول ظاهرة العنف ضد الاطفال

ثانيا- اشكال العنف ضد الاطفال

ثالثا- العوامل المؤثرة في تفاقم الظاهرة

رابعا- الإجـراءات الوقائية للحد من هذه الظاهرة

المحـور الاول : حقائـق وارقام حول ظاهرة العنف ضد الاطفال

ان ظاهـرة العنـف ضد الاطفـال مرتبطة – بشـكل عام- بضعـف المؤسسـات الرقابية والقانونيـة وانتشـار العصابـات والاسـلحة والاتجار بالبشـر، فضلاً على انتشـار وسائل الاعـلام والتكنلوجيـا التي اصبحـت مصدراً مهمـاً لنشـر مظهـر العنـف فـي المجتمـع وتشـجيعه، ان اهمـال الطفل وعـدم الاهتمام بالاحتياجات التعليمية والتربوية له يحرمه من حقه في التعليم وفي تنشـئة اجتماعيه سـليمة ، وفي هذا الشـأن هناك احصائيـة عالمية قدمها الخبيـر (بالـو سـيرجيو بنهيرو) الـى منظمة الامـم المتحـدة وبطلب من امينها العام اشـار فيها الى ان :

* منظمـة الصحـة العالميـة تقـدر ان (٥٣٠٠٠) طفل قد توفوا عام ٢٠٠٢.

* وان مـا يتراوح ٨٠ - ٩٠ ٪ من الاطفال يتعرضون الى العنف المنزلي.

* ان ٢٠ – ٦٥ ٪ مـن الاطفال يتعرضون للعنف المدرسي .

* تشير تقديرات منظمة الصحة الدولية ان (٢١٨) مليـون طفل عـام ٢٠٠٤ دخلوا مجال عمـل الاطفـال منهـم (١٢٨) طفـلاً يعمل في الاعمال الخطرة

* تشـير تقديـرات عـام ٢٠٠٠ ان (٥,٧) مليـون طفل كانوا يعملون في اعمال قسـرية و (١,٨) مليون طفل في البغاء وان (١,٢) مليون طفل كانـوا ضحايا الاتجار بهذا المجال (داوي , ماجد يوسف)

ويشير تيم دوميور الخبير في منظمة العمل الدولية في تقارير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٣ الى ان عدد الاطفال الاميين في البلدان العربية حوالي (٧٠) مليون طفل ، وهناك قدر من الحرمان من التعليم الاساسي اذ يوجد (١٠) مليون طفل عربي محرمون من حقهم في التعليم، كما تجد في أي مكان من افريقيا فتيات لم يتجاوزن الخامسة من العمر يعملن خادمات، وفي وسط القارة وغربها تعمل فتيات في الثامنة من العمر خادمات قبل ان يلقى بهن في براثن الدعارة ، وفي تنزانيا تعمل فتيات لم يتخطين سن الخامسة عشر في مقاهي ليلية حيث يتعرضن لاعتداءات جنسية (تيم دوميور القاهرة ٢٠٠١)

المحور الثاني : اشكال العنف ضد الاطفال

قبل الخوض في اشكال العنف ضد الاطفال لا بد لنا اولا من نعرف الطفل حسب التصنيفات الدولية المعتمدة ، فالطفل وفق ما هو متعارف عليه دوليا: **كل انسان لم يبلغ الثامنة عشر من عمره**. وقد اقرت حقوق الاطفال في شرعة دولية اطلق عليها (اتفاقية حقوق الطفل) وقعت عليها دول العالم كلها باستثناء الولايات المتحدة الامريكية وبالرغم ان الموضوع شائك وتنقصه الدقة العلمية لعدم توافر احصائيات دقيقة وبالأخص في البلدان العربية وكذلك لعدم وجود مراكز ابحاث متخصصة تعنى بهذا الموضوع في عالمنا العربي الا انه مثل هذه الدراسات والتحقيقات ليست عربية الجدوى وانما تعطي مؤشرا جيدا حول وضع الطفل بشكل عام من حيث تعرضه للعنف والاضطهاد والممارسات اللاإنسانية

اشكال العنف : - يمكن ان نشير الى بعض الاشكال التي يمكن ان تمارس ضد الاطفال ومنها :

اولا. العنف الاسري : وهو العنف الجسدي او النفسي الذي يمارس في ضمن اطار الاسرة الواحدة سواء من الاب أم الام أم الاخوة حيث لا يوجد أي قانون او عرف او اجتماعي يمنع الابوين من ممارسة الضرب او أي شكل من اشكال العنف الجسدي في اطار ما يتبنيانه من اساليب تربوية ، وليس القصد بالضرب هنا هو الضرب التربوي او (التأديبي كما يصطلح عليه البعض) وانما المقصود العنف الجسدي كالضرب المبرح سواء باليد أم باستخدام اداة معينة وعلى الرغم من ان البعض يحاول الصاق مثل هذا الفعل في الاسر غير المتعلمة او غير المثقفة او الفقيرة من دون سواها ، الا ان ذلك غير دقيق حيث تثبت الوقائع ان مثل هذه الممارسات تتم حتى في الاسر المثقفة والمتعلمة من دون استثناء ما يعكس وجود ثقافة تربوية غير صحيحة بوجه عام كذلك هو الحال للعنف النفسي كالشتم والسباب والتقريع الحاد او التعيير ، او الحبس في مكان مغلق كالحمام مثلا ساعات طويلة ، او غير ذلك من اساليب التعذيب النفسي التي تضاهي احيانا ما يبتدعه اكثر المجرمين والمعذبين تمرسا . كذلك من بين اشكال العنف الاسري تقرير مستقبل الاطفال باختيار الدراسة او العمل الذي قد لا يتناسب مع ميولهم وقدراتهم وكذلك اجبارهم على العمل وترك الدراسة وما الى ذلك . (حلمي ، ١٩٩٩ صفحة ١٢٢)

ثانيا : العنف المدرسي : تعد المدرسة احدى وسائط التنشئة الاجتماعية التي اوكل

اليها المجتمع مسؤولية تحويل اهدافه على وفق فلسفة تربوية متفق عليها الى عادات سلوكية تؤمن النمو المتكامل والسليم للتلاميذ الى جانب عمليات التوافق والتكيف والاعداد للمستقبل، ومن خلال المدرسة يتشكل ايضا وعي الانسان الاجتماعي والسياسي ويكتسب التلميذ المهارات والقدرات لمزاولة نشاطه الاقتصادي بل واكثر من ذلك يشكل من خلال التعليم ابرز ملامح المجتمع ويتخذ مكانته في السلم الاجتماعي ، و تسعى المدرسة جاهدة لتحقيق ذلك من خلال وسائل تربوية قائمة على اسس معرفية نفسية .

ان العنف هو نقيض للتربية فهو يهدر الكرامة الانسانية لأنه يقوم على تهميش الاخر وتصغيره والحط من قيمته الانسانية التي كرمها الله ، وبالتالي يولد احساسا بعدم الثقة وتدني مستوى النفس وتكوين مفهوم سلبي تجاه النفس والاخرين ، والعنف الذي يمارس تجاه الطالب لا يتماشى مع ابسط حقوقه وهو حرية التعبير عن النفس لان العنف يقمع هذا الحق تحت شعار التربية ، وخير دليل عن ذلك ما حفلت به وسائل الاعلام وشبكة التواصل الاجتماعية العنكبوتية بمشاهد عنف متعددة ضد الطلبة في العراق كما لاحظنا ذلك في مشهد العنف الذي تضمنه فديو انتشر على وسائل التواصل الاجتماعي يتضمن ضرب جماعي لتلاميذ مدرسة الزهاوي في مدينة العمارة وقد جسدت الصور اسوء الانتهاكات الصارخة بحق الاطفال بسبب احتوائه على مشاهد ضرباً مبرحاً لمجموعة من تلاميذ الصف قام بها مدير المدرسة من دون أي رحمة او انسانية، ونلاحظ في الجدول الآتي تأثير العنف في الطلاب في المجالات السلوكي والتعليمي والاجتماعي والانفعالي

جدول تأثير العنف في الطلاب في المجال السلوكي والتعليمي والاجتماعي والانفعالي

المجال السلوكي	المجال التعليمي	المجال الاجتماعي	المجال الانفعالي
١- عدم المبالاة ٢- عصبية زائدة ٣- مخاوف غير مسوغة ٤- مشاكل انضباط ٥-عدم قدرة على التركيز ٦- تشتت الانتباه ٧- سرقات ٨- الكذب ٩- القيام بسلوكيات ضارة مثل شرب الكحول أو المخدرات ١٠- محاولات للانتحار ١١- تحطيم الأثاث والممتلكات في المدرسة . ١٢- إشعال نيران . ١٣- عنف كلامي مبالغ فيه ١٤- تنكيل بالحيوانات	١-هبوط في التحصيل التعليمي ٢- تأخر عن المدرسة وغيا بات متكررة ٣- عدم المشاركة في الأنشطة المدرسية ٤- التسرب من المدرسة بشكل دائم أو متقطع	١- انعزالية عن الناس ٢- قطع العلاقات مع الآخرين ٣- عدم المشاركة في نشاطات جماعية ٤- التعطل عن سير نشاطات الجماعية ٥-العدوانية اتجاه الآخرين	١- انخفاض الثقة بالنفس ٢- اكتئاب ٣- ردود فعل سريعة ٤- الهجومية والدفاعية في مواقفه ٥- توتر الدائم ٦- مازوخية اتجاه النفس ٧- شعور بالخوف وعدم الأمان ٨-عدم الهدوء والاستقرار النفسي.

http://elraaed.com/ara/news/15389-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%AC%D7c

ثالثا : العنف الجنسي : ويعرف بانه :هو كل نشاط جنسي اجباري يقع على الطفل من خلال اتصال جنسي بين طفل وبالغ لإرضاء رغبات جنسية مستخدماً بذلك القوة والسيطرة والاستغلال .

يشكل العنف الجنسي ضد الاطفال انتهاكا كبيرا لحقوق الطفل ومع ذلك فهو يمثل ايضا واقعا عالميا في البلدان كافة وبين الفئات الاجتماعية كلها ويأخذ شكل الاعتداء الجنسي و الاغتصاب او التحرش الجنسي او الاستغلال في الدعارة وقد اشارت تقديرات الصحة العالمية عام ٢٠٠٢ ان (١٥٠) مليون فتاة و (٧٣) مليون صبي دون سن ١٨ سنة قد اجبروا على ممارسة الجنس القسري او غيره من اشكال العنف الجنسي الذي ينطوي على اتصال جسدي ، ومن المرجح ان هناك ملاين اخرين يتم استغلالهم في الدعارة كل عام إذ ان الحجم الحقيقي للعنف الجنسي ما زال غير معروف بالدقة بسبب طبيعته ، ولان معظم الاطفال والاسر لا يبلغون عن حالات الايذاء والاستغلال بسبب وصمة العار التي تلحق بهم ، وتشير الادلة الى ان العنف الجنسي يمكن ان تكون له اثار وعواقب وخيمة طويلة الاجل وتأثيرات بدنية ونفسية واجتماعية ليست فقط للأطفال ولكن لأسرهم ايضا

الاثار المترتبة على استغلال الاطفال جنسيا

أولا : اضرار تعليمية

١- رفض الذهاب الى المدرسة

٢- انخفاض مستوى التحصيل الدراسي

٣- الفشل في الدراسة

٤- التهرب من الدراسة

ثانيا : اضرار صحية وجسدية

١- الجروح والاصابات والتشوهات الجسدية

٢- فقدان الطفل مهاراته وقدراته العقلية

٣- حدوث شلل او كسور او عدم نمو

ثالثا: اضرار اجتماعية

١- صعوبة التواصل مع الاخرين

٢- الشعور بالحقد والكراهية للمجتمع

٣- تولد العنف لدى الطفل والاعتداء على الاخرين

٤- فقدان مهارات تكوين العلاقات وبنائها والمحافظة عليها

رابعا : اضرار سلوكية ونفسية

١- شعور بالإحباط والاكتئاب

٢- تخريب الممتلكات والسرقة

٣- اضطراب في تكوين الشخصية

٤- نقص الثقة بالنفس

٥- الميول الانتحارية

٦- التبول اللاإرادي (سكيكدة ٢٠١٢ص٣-٤)

رابعا: تأثير الاعلام في عنف الاطفال

ويرى الشريف (٢٠٠٥) أن وسائل الإعلام المختلفة تـؤدي أدواراً مهمة في قضية العنف. فهي من جهة تقوم بتأجيج هذه الظاهرة وتعميقها. كما أنها من جهة أخرى تستطيع أن تسهم في الحد منها وإنهاء خطرها على المجتمع.

وهذا يؤكد القول الشائع بان الإعلام سلاح ذو حدين. فوسائل الإعلام التي تدرك مسؤوليتها تجاه مجتمعاتها تستطيع أن تكون أداة إصلاح. أما تلك التي تتحرك بدوافع تجارية أو نفعية صرف فإنها تتحول إلى معول هدم وتخريب لأركان المجتمع ومن أهمها الطفل الذي يعد لبنة المستقبل.

ولعل أهم دور سلبي تقوم به وسائل الإعلام في هذا الصدد هو جعل الناس يتعاملون مع العنف على أنه حدث اعتيادي ونزع الرهبة من استعمال العنف ضد الآخرين.

ومن حقنا أن نتساءل أيضاً عن الهدف من وراء هذا الخوض في أدق تفاصيل الجرائم في الصحافة المطبوعة. ويمكن القول أن الهدف في الحاليتين أي في التلفزة والصحافة هو استقطاب القراء أو المشاهدين وتحقيق المكاسب المادية لوسائل الإعلام. ولكن أين المسؤولية الاجتماعية لهذه الوسائل ؟ وما حجم الضرر الذي يحدث نتيجة لهذه المبالغة في تصوير مشاهد العنف ونقلها عبر وسائل الإعلام المختلفة ؟!

أن أسوأ ما تحدثه وسائل الإعلام في هذا الصدد هو إضعاف أو إزالة الحساسية تجاه العنف، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تحجر العواطف مقابل هذه الظاهرة. وعندما تتحجر العواطف وتزال الحساسية ضد العنف في المجتمعات، فإن الأطفال يكونون عادة أول الضحايا لأنهم كائنات بريئة هشة لا تملك القدرة على الدفاع عن أنفسها.

والمشكلة أن وسائل الإعلام قد تنوعت وتشعبت في السنوات الأخيرة. وإذا كنا نتحدث الآن عن وسائل إعلام جديدة مثل شبكة التواصل الاجتماعية العنكبوتية والفيديو وألعاب الحاسوب وحتى الهاتف الخلوي الذي أصبح وسيلة إعلام خطيرة وأصبحت الرسائل الإلكترونية المتبادلة خلاله من أسرع وسائل الإعلام شيوعاً لأنها تتخطى الحواجز كلها.

ومن أكثر رسائل الإعلام ضرراً في موضوع إشاعة العنف بين الأطفال والشباب نذكر أفلام الفيديو وألعاب الحاسوب. وإذا ما تهيأ لأحد أن يدخل أحد هذه الأدوار، فإنك لن تسمع سوى أصوات إطلاق النيران الوهمية طبعاً وصرخات الشباب والشابات وهم يحاولون تمزيق الهدف إرباً عن طريق المسدسات والصواريخ والمدافع الحاسوبية.

أن هذا كله يفضي إلى نزع الحساسية تجاه العنف وتحول الضرب والإيذاء إلى أمر اعتيادي يمارسه الكثيرون بشكل اعتيادي كل يوم .. فلماذا يغدو أمراً مستهجنا؟! ولماذا يرفع الأهل والمعلمون عقيرتهم بالشكوى من ممارسة العنف ضد الأطفال أو من الأطفال والشباب ضد الآخرين ؟ (الشريف٢٠٠٥ص٦-٧)

لقد ازداد الأثر السلبي لوسائل الإعلام في تأجيج العنف ضد الأطفال في ظل العولمة التي أزالت الحواجز بين الدول وأصبحت تهدد الهويات الوطنية وتوشك أن تجعل منظومة

القيـم الغربيـة؛ والأمريكية تحديـداً نمطاً قيمياً ينسحب على العالم كله.

لقـد أصبـح الأطفـال في كل مكان أسـرى لبرامج التلفاز نفسـها وغدا أبطال هذه البرامج؛ الذين يعبر معظمهـم عن منظومة القيم الغربية أبطـالاً محليين لأطفال العالم الثالث. وهذا ليس بغريب لأن سـت شـركات عالمية تسيطر على سـوق البرامـج الموجهـة للأطفال فـي العالم وهـي: تايم وارنـر «أمريكيـة» ووالت ديزني «أمريكية» وفياكوم «أمريكية» ونيوز كوروب «أمريكيـة» وبيرتلزمـان «ألمانية» وسـوني «يابانية» فأين نصيب العالم الثالث من هذا ؟

ووجـد الباحثـون أن ثلاثة عوامل رئيسـة شائعة زادت فرص تطور العنف بين المراهقين الذين أظهروا سلوكاً عدوانياً، منها

الاول: تعرضهـم للعنف سـواء بمشـاهدة أعمال عنيفة أم السماع عنها.

الثاني: نقصـان الرقابة الأسـرية، وعدم اهتمام الآباء بأطفالهم.

الثالث: مشاهدة الأفلام التلفازية والسينمائية العنيفـة التـي تزيـد مـن انخـراط الأطفال في السلوك العدواني بنسبة أكبر.

ويمكـن تحديد الآثار السـلبية للعنف الذي يشاهده الأطفال عبر وسائل الإعلام فيما يأتي:

- يصبـح العنف جـزءاً من سـلوك الأطفال عندما يشاهدونه باسـتمرار فيقعون العنف على غيرهم من دونما وجل أو تردد.
- تقل أو تنعدم حساسـية الأطفال ضد الإيذاء والضـرر الناجم عن العنـف، إذ أن العنف يصـور في بعض الأحيـان في ضمن أطر اعتيادية أو حتى كوميدية.
- ينشـأ الأطفال في حالة مـن الخوف والقلق النفسي المستمر تحسباً من التعرض للعنف ويؤثـر هذا فـي صحتهم النفسـية وقدرتهم على النمو السليم.

وينقسـم علمـاء النفس والاجتمـاع في رؤيتهم لتأثيـر مشـاهد العنف. فمنهم مـن يراها ضارة ومنهم من يعدّهـا ضرورية للتنفيس عن الكبت الموجود داخل كل إنسـان صغيراً كان أم كبيراً ويمكن تصنيـف المواقف إزاء هذه القضية إلى موقفين اساسين:

- فهنـاك موقـف يـرى أن مشـاهد العنـف والإجـرام في التلفـاز تـؤدي دوراً تربوياً لكونها تعلم المشـاهد أن «الجريمة لا تفيد» وأن المجرم لابد من أن ينال جزاءه الرادع، إمـا بأن يلقى عليه القبض من طرف رجال الشـرطة ويودع السجن وإما أن يموت. إلا أن مـا يؤخذ على هذا الـرأي هو أن عملية عقـاب المجـرم غالباً مـا تكون فـي نهاية الفيلـم ولا تعرض سـوى دقائـق قليلة، أي بعد أن يكون المشـاهد قـد عاش طيلة الفيلم وهو مشـدود إلى ما يصدر عن المجرم من حركات وتعابير ومواقف كلها تثير إعجابه واندهاشـه، وهناك من علمـاء النفس على وجه الخصوص من يرى أن مشاهد العنف تترك أثراً إيجابياً في سـلوك الإنسان حيث تقوم بوظيفة «تطهيريـة» أو «تعويضية» لكونها تشـكل متنفسـاً غير ضـار يتخلص بوساطته من مشاعره العدوانية.
- فالمشاهد الذي يتقمص شخصية بطل الفيلم ويشـاركه، وجدانياً، ومعاركه وانتصاراته يتـاح لـه بطريقـة خياليـة، التنفيـس عـن مشـاعره العدوانية المكبوتـة التي يصعب

عليه التعبير عنها في الواقع بكيفية مباشرة.

- وفي مقابل الموقف السابق هناك نظرية تقول إن مشاهد العنف توقظ النزعة العدوانية الكامنة عند الإنسان وتنقلها من استعداد للعنف إلى عنف فعلى يمارس في الواقع، فإن مشاهد العنف تشجع على مزيد من العنف والعدوان.

ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن ميل الطفل إلى الإيحاء يجعله معرضاً لتقليد مشاهد العنف التي يراها في التلفاز خاصة إذا كانت هذه المشاهد صادرة عن شخصيات تثير إعجاب الطفل. فمشاهد الطفل المتكررة لأشكال مختلفة من العنف في التلفاز تجعله بسبب ميله على تقليد ما يراه، ضعيف الصلة بالواقع ويعيش في عالم وهمي يغريه بالمغامرة والانحراف.

كما أن الرسوم المتحركة هي الأخرى مليئة بمشاهد العنف؛ والخطورة في هذه الرسوم أنها قد تدخل في روع الطفل أنه يستطيع أن يلعب بالقتل ويلهو بالعنف، بدون خوف. إلا أن أهم ما أخذ على الرأي القائل بالتأثير السلبي لمشاهد العنف هو أن أعداداً كبيرة من المشاهدين من مختلف الأعمار ترى مشاهد العنف في التلفاز من دون أن تترك هذه المشاهد أثراً سلبياً في سلوكها وتصرفاتها.

في دراسة شاملة حول الآثار الجانبية لمشاهد العنف التي تزايدت على الشاشة سواء الكبيرة أم الصغيرة تبين أن ضحايا التلفاز في العالم العربي حوالي ٨٠ ألف فرد قد أصيبوا بأمراض مختلفة نتيجة تأثرهم في أحداث الأفلام والمسلسلات واكتشفت أن من بين الضحايا أيضا ٨ آلاف مريض نفسي.

ويستنتج من ذلك أن أفلام العنف والإثارة سبب رئيس في إصابتهم بالتهور والاكتئاب والقلق والتوتر .. ومن ثم لم تعد مشاهد العنف مجرد تعبيرات يحذر من خلالها الكتاب والمخرجون وأساتذة علم النفس إنما هي واقع ملحوظ أثبتته الدراسات العملية الجادة التي تخلو من التحيز. (لال٢٠٠٧ص ١٧١)

إلى جانب أن خطورة مشاهد العنف على الشاشة ترجع إلى تقليد الجماهير مظاهر العنف المعروضة خاصة إذا عرفنا أن نسبة تقليد الأطفال لتلك المشاهد لا تقل عن ٥٠٪ أما الكبار فتصل نسبة التقليد بينهم إلى ٢٠٪ وتزداد في البيئات الاجتماعية المتواضعة. فضلاً على أن أخطر ما في الأمر هو أن مشاهد العنف في التلفاز تهدم المقومات التربوية كلها والتي يتلقاها الطفل في المدرسة.

وقد أشار مجموعة من العلماء وأطباء النفس في العديد من الدراسات إلى خطورة العنف على شاشة التلفاز وتأثيره في سلوك الطفل في أخطر مراحل عمره وهي مرحلة التقليد، فضلاً على قدرتها الخطرة على إنشاء جيل تأثر في العنف ونشأ وهو مرتبط بالأفعال الانتقامية، وعندما يكبر الطفل تتكون شخصيته ويصبح رد فعله الطبيعي الجاهز لمواجهة أي موقف بعدوانية وعنف لأنه نشأ وتربى من خلال التلفاز على أن العنف هو رد الفعل الطبيعي على مواجهة المواقف.

لذا فإن استمرار عرض مشاهد عنيفة في التلفاز يؤثر في الأطفال حتى يكبروا وتصبح العدوانية جزءاً لا يتجزأ من تكوينهم النفسي الذي يدفعهم في حالة الإحباط إلى الانتقام من المجتمع.

المحور الثالـث : العوامل المؤثرة في تفاقم العنف ضد الاطفال

العنف ضـد الاطفال ظاهرة لاتـزال قائمة وفـي ارتفاع ملحـوظ في المجتمعـات ويرجع السبب في ذلك الى عوامل متعددة منها :

١- ضعف الـوازع الدينـي والاخلاقي : حيث يلاحـظ ارتفاع هذه الظاهرة وشـيوعها في المجتمعات غير المتدينة .

٢- ضعـف الوعـي الدينـي وتدني المسـتوى الثقافـي : الارتباط هنا ايضا عكسـي حيث كلما قل الوعي زاد معدل العنف .

٣- وجـود المغريـات وعناصـر الفسـاد فـي المجتمـع : كالخمـور والدعـارة وعـدم الحشـمة وما الـى ذلك من امـور وهي ما يتسبب في تعرض الاطفال للعنف الجسدي والاعتـداءات الجنسـية في الغالـب نتيجة الوقوع تحت تأثير المسكرات .

٤- عدم جدية العمـل الاجتماعي والحقوقي: إذ ان بعـض الهيئات والجمعيـات الاجتماعية والحقوقيـة تركـز فـي الجانـب الاعلامي وتعمـد الى تضخيم ما تقـوم به من فعاليات من دون التركيز على مضمون العمل نفسه

٥- ضعف العمل التربوي

المحور الرابع : الحلـول والاجراءات العلاجية للحد من الظاهرة

مـن خلال مـا تقدم مـن حديـث يمكننا ان نلخص الاجراءات العلاجية والوقائية للحد من هذه الظاهرة في الاتي :

١- العمـل على زيادة الوعي الديني والاخلاقي والتربـوي والتعريـف بحقـوق الطفـل وواجبات المربين

٢- وضـع الانظمـة والتشـريعات التي تضبط اسلوب التعامل مع الاطفال في المدارس

٣- محاربـة ظاهرة عمالة الاطفـال من الدولة والمجتمع

٤- تعزيـز الـدور الاعلامي فـي محاربة هذه الظاهرة وتسـخير الاعمال الدرامية لخدمة مثل هذه الفرص

٥- تقنين العمل التطوعي ومتابعته

٦- وضع الحلول الناجعة لتسـرب الاطفال من المدارس

٧- محاربة المغريات في المجتمع

٨- ايجاد وسائل الترفيه السليم والنافع. (الملاح، ٢٠٠٣ بحث منشور على الانترنت)

البناء التربوي في واقع المجتمع العراقي:

ان بنـاء مجتمع متطـور ملتزم منفتح علميا وحضاريـا ومتفاعـلا مـع معطيـات العصـر الايجابية، وايجاد حياة انسانية واعدة يستوجبان اعتمـاد فلسـفة تربوية تقـوم على اسـس وقيم حضاريـة يشـاد على اساسـها البنـاء التربوي والمنهج المدرسـي والاعداد التعليمي بمختلف ابعاده وانشـطته لتكون المدرسـة اداة لإصلاح المجتمـع ووسـيلة لإعادة بنائه، وحل مشـاكله والتخلص من الامـراض ومظاهر التخلف فيه والتمهيـد لنهضة علمية وثقافية شـاملة وتغيير اجتماعـي يتجاوز ظـروف القهر والاسـتبداد والتخلـف والصراع الاجتماعـي الهدام، وبناء جيل يؤمن بالله سـبحانه وتعالـى ويعتز بهويته الوطنية وشخصيته ودوره الانساني.

ان النظـام التربـوي المتكامل يسـتطيع ان يـؤدي دورا فاعلا وكبيرا في بناء الشـخصية ، ويستطيع تحصين هذه الشخصية وجعلها تتجاوز المشـكلات والعقبات التي يمكـن ان تواجهها ، ويعمـل التعليم على تعزيز البناء النفسـي للفرد وتعزيز قدراته العقلية والفكرية لاستثمارها بشكل صحيح وسـليم فـي خدمة المجتمـع. وما يقدمه النظام التربوي من تعليم نوعي يمنع الوقوع في الزلل في مسيرة الطالب ويساعده على مواجهة المشـكلات وقضايا التخلف ، وينيـر له طريق الحياة ويسهم في بناء المستقبل ويحقق ما يصبو اليه المجتمع، فالنظام التربوي يشكل على الدوام صمام الامان للمجتمعات من الانحدار والضياع ويملك مفاتيح العديد من المشكلات على الصعيد الفردي والاجتماعي وباتت الدول تلجأ اليه كلما واجهتهـا المحـن والمصاعـب، فالتربية انجاز انساني وهي اداة رُقيه وهدفه.

واقع البناء التربوي والتعليمي في العراق

مستقبل العراق هو مستقبل اطفاله، ومستقبل الاطفـال يرتبط بتوفير البيئـة الآمنة للتعلم وبناء الشـخصية والتفكيـر الحر الانتقادي ، والتسـلح بالمعرفة والاسـتعداد لتحمل المسـؤولية والعمل واحتـرام القانون والتنوع والاختـلاف والتعاون والتضامن مع الآخرين. فنتضامن جميعا ونجتمع في حملة وطنية تحت شعار «المدرسة لكل فرد».

نشـرت اليونسـكو تقريرا عـن التعليم في العـراق تقـول فيـه: امتلك العـراق قبل حرب الخليـج الاولـى « بـدأت عـام ١٩٨٠» نظاماً تعليمياً يعد من افضل انظمة التعليم في المنطقة قدرت نسـبة المسـجلين فيه بالتعليـم الابتدائي مـا يقـارب ١٠٠٪ مقارنة بأعـداد الاطفال في سـن التعليم الابتدائي، وبحسب تقرير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٣ فأن معدل التسـرب في التعليم الابتدائي قد هبط في العـراق الى مـا يقارب ٥٪ بيـن الصف الاول والخامـس الابتدائي، وكان هـذا اوطأ معدلات تسـرب في الـدول النامية، ثم نـال العراق في نهاية السـبعينيات جائزة اليونسـكو على حملة محو الامية، وقد اسهمت في ذلك الطفرة المالية المتحققة من العوائد النفطية والتي وسـعت من حجم الانفـاق على التعليم، وكذلك الدور الكبير والمتميـز الذي أدته الحركة الوطنية في التعبئة لنشـر التعليم والثقافة في صفوف ابناء المجتمع وتعزيز الدور التعبوي عبر نشاطها وصحافتها العلنيـة، وخاصة في ميدان محـو الامية ونقل تجارب الشـعوب عبر صفحاتها اليومية وخلق المزاج العام المؤات لتنفيذ ذلك.

http://www1.umn.edu/humanrts/arabic/cescr -

اما فـي الوقت الحاضر فـأن الموضوع – وللأسـف الشـديد - اختلف كثيـرا . **إذ يشير د. محمد الربيعي الخبير في منظمة اليونسكو الى واقع التربية والتعليم في العراق اليوم فيقول**: اينمـا اتجـه اسـمع شـكوى ومعاناة من سـوء التعليم ومن فسـاد النظـام التعليمي ومن انعدام التربيـة الاخلاقية في المـدارس، ونتائجها من جهـل وعادات بالية وتقاليد وثقافة مغايرة تغزو المجتمـع العراقي. ولم تعد الحلول الترقيعية او الاجـراءات الجزئية او القـرارات الاعتباطية وغير المدروسـة في مـا يتعلق بنظـام التربية والتعليم تنفـع في النهوض بأوضاع المدرسـة كي تضطلـع بأدوارها التربوية والتعليمية لبناء الانسـان العراقـي، ولن تسـتطيع أذابة الجمود التربـوي وازالـة اسـوار الحصـار الداخلـي والقضـاء على الفسـاد مـن دون توافـر رؤية اسـتراتيجية للإصلاح وتكوين مدرسة مهارات وجودة واخلاق.

حذرنا سابقا ونعيد التحذير من عدم التعامل بكل جدية وحزم مـع موضوع اصلاح التعليم، إذ انـه اذا لم يتم اصلاح التعليم جذريا والاكتفاء باتخـاذ بعض الاجـراءات الجزئيـة، فالعراق سيصطدم لا محالة بتفاقم الازمة وانهيار النظام التعليمـي برمته مما سـيخلق حالة ثقافية شـاذة قوامها الفساد والتسيب وضعف المعرفة، وهذا التحذير موجه تحديـداً الى وزارة التربية والى البرلمان العراقي.

وهناك مظاهر متعـددة ادت الى هذا الحال منهـا : **المظهـر الاول:** الاهمال وعـدّ ان كل مـا يحدث طبيعي واعتيـادي وليس فيه ما يثير القلق، هو تفاقم فسـاد المدرسـين وعدم الايفاء بمتطلبات مهنتهم واحتماليـات انقراض التعليم الحكومـي المجانـي في الامـد القريـب نتيجة فقدان ثقة الناس بالتعليم في المدارس الحكومية. وبرغم كون الجامعات ليست إلا مدارس ثانوية عليا ولها مشـاكلها الخاصـة الا انها تعاني من ضعف المدخـلات نتيجة ضعف التعليم والتعلم في المراحل المدرسية الاولية والثانوية وضعف التأهيل وتدريب المهارات

المظهـر الثانـي: هـو «ضعـف الهيكل التنظيمـي، والبنـى التحتيـة، والتجهيـزات المدرسية، وتخلف مسـتوى المناهج المدرسية واعتمادهـا على الحفظ والتلقين، وغياب المواد التي تنمـي الحس النقدي للطالـب، وتمكنه من أسلوب تفكير وتحليل منطقي» في ضوء دراسة صادرة عن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية والتي رسمت صورة قاتمة لجودة قطاع التعليم في الدول العربية حيث نبهت الدراسة «الى أنه مـا دامت الجودة ضعيفة فـي المدارس العربية التابعة للقطاع العام، فإن قدرات هذه الدول على تحقيق نسب كبيرة للنمو الاقتصادي والرفع من ناتجها الداخلي الخام سـتظل محدودة». وصمة عار على جبين الدولة النفطية ان يدرس ابنائها في اكواخ وبنايات متهرئة لا تصلح حتى لتربية الحيوانات.

والمظهـر الثالث: هـو ضعـف الاهتمام بالتربيـة الاخلاقية وفي غرس الاخلاق المدنية من سلوك ومواقف وقيم في نفسية الطالب وعدم عـدّ الاخلاق امراً مرتبطاً الى حد كبير بالتربية السـليمة، وببيئـة الشـخص ومجتمعـه، وتفتقد التربيـة السـليمة للطالب الـى تدريس الاخلاق الدينيـة فـي درس الديـن وبث روح التسـامح والتآخـي، وقد يعـود هذا الى ضعـف التكوين التربـوي للمعلـم او المـدرس، والـى ضعـف

الاهداف التربوية لـدرس الدين. وتعود الحاجة الى تربية الطالب تربية اخلاقية سـليمة الى ان المجتمـع العراقـي يعاني حاليا أزمـة أخلاقية ربما تؤدي إلى انهياره، و من اسـبابها انحطاط الوعي، و سـقوط الأخلاق في أوساط قطاعات واسعة من هذا المجتمع ألذي لم يستطع إلى الآن تنظيم مسـيرة حياته السياسـية و الاقتصادية و الثقافية على أساس حضاري عادل و عصري.

المظهـر الرابع يتمثل فـي تفاقـم ظاهرة الغيـاب والتسـرب وازديـاد الاميـة والجهـل وانتشار المعتقدات الدينية المتطرفة والمنحرفة وتعاظم التهديدات المجتمعية، والتي تواكب تلك الظواهـر. فهنـاك، وباعتراف رجال السياسـة والديـن والتربويين والمربيـن بوجود ازمة في المعـارف والقيـم والاخلاق المتعلقة بالسـلوك الانسـاني، وبعدم قدرة المناهج الدراسـية على تنمية شـخصية العراقي كفـرد يفتخر بالانتماء لمؤسسته سواء كانت مدرسة أم جامعة أم دائرة حكوميـة أم مصنـع، وكعضـو صالـح ومنتج في مجتمـع ديمقراطي حـر، وكمواطن ملتزم بالقوانين.

لم يعد مـن وقت لإنقاذ التعليـم من الكارثة ولابد مـن البدء من اليوم فـي وضع الخيارات والخطط والسياسات، بالرغم من اعترافنا بعدم وجـود تحليـل عميق حاليا نسـتند عليـه لواقع التربيـة في العـراق، وبعدم وجـود تقييم كامل للمتغيـرات الاجتماعيـة والاقتصادية التي يمر بها المجتمـع العراقي، كبداية لإصلاح واسـع وشامل وذلك بتحقيق الاهداف التربوية التالية:

١. تربية الطالب على ثقافة المحبة والاخاء بين القوميات والاديان والطوائف ونبذ التعصب باشكاله كلها .

٢. تربيـة الطالـب على ثقافـة الاعتراف بالآخر وثقافة السـلم وعلـى القيمة الديمقراطية واحتـرام حقـوق الانسـان، واحتـرام التعددية والاختلاف

٣. تأكيـد مبـدأ المواطنـة الصالحة وحب العراق ووحدته وواجباته.

٤. تربيـة الطالـب علـى أهميـة القوانين واحترامهـا وبعدم مخالفتهـا وبحرمة ممتلكات الدولة واموالها، وبتعريفه على حقوقه .

٥. تنميـة الشـخصية وحـب الاسـتطلاع والتفكيـر النقـدي المسـتقل، وحـب القـراءة والمطالعة، وممارسـة السلوك المتمدن والعمل التعاوني والمبادرة عند الطلاب

والمظهر الخامس يتجسـد فـي الضعف الكبيـر للتكويـن اللغـوي والعلمـي للطالـب وقدرتـه علـى التعبير. ليس هنـاك في الوقت الحاضـر اسـلوب واضـح لمعالجـة ضعـف تعليـم اللغـات وجعـل المدرسـة وغيرها من المؤسسـات التربويـة ميادين التجديـد، ولا فـي تبنـي المسـتحدثات الحديثـة مـن خلال الانفتاح على الحضارة المعاصرة والاستفادة من تجـارب الشـعوب. يعاني منهـج تدريس اللغات فـي المرحلتيـن التعليميتين، الابتدائي والثانوي، مـن اهمال كبير، وينعـدم التركيز علـى المهـارات الأساسـية التـي تمكننـا من مواصلـة التعليـم والتعلـم باللغـات الأخرى تحديـداً الانجليزيـة التـي تنقـل منهـا العلوم والمعارف والمهارات.

إني مقتنع بـأن تخلفنا العلمي والتكنولوجي يعـود بدرجـة كبيـرة الـى تخلفنا فـي اللغات العالمية، لأنها الوسـيلة الأساسـية في اقتباس

المعلومات وكسب العلوم ونقل التكنولوجيا، وبها أيضا ننقل علومنا وابتكاراتنا واكتشافاتنا وكل ما يمكن ان نسهم به لتطوير الحضارة الانسانية الى العالم. كما يعاني تدريس العلوم خصوصا في المدارس الابتدائية من ازمة فائقة تحتاج الى معالجة سريعة وتنبع ضرورة ذلك الى ان الثقافة العلمية اصبحت من طبيعة هذا العصر ومتطلباته تحديداً في مجتمع تنتشر فيه الخرافة والمعتقدات المخالفة لأسلوب التفكير العلمي. ولتدريس العلوم والتكنولوجيا يحتاج المعلمون والمدرسون الى زيادة ثقافتهم العلمية وبث روح التنقيب والتجربة والبحث فيهم. اين نحن من تعليم اطفالنا العلوم ولماذا لا يدرس طلبة الصف الاول الابتدائي العلوم، ولماذا لا نغرس في اطفالنا روح التنقيب والبحث منذ الصغر كما هو عليه في مدارس العالم كلها؟

وبينما تكون العائلة على معرفة وثيقة بأمور الدين وتحرص على تربية اطفالها تربية دينية ملائمة نجدها على جهل كامل بالعلم ومنجزاته مما يتطلب الامر ان تكون المدرسة جاهزة لتدريس العلوم بأكثر مما هي عليه للدين، وما اتخذته مصر من قرار في أن تدرس مادة للأخلاق وهي مادة تدرس في أكثر من ١٠٠ دولة تعلم الطالب سلوكيات الحياة الحميدة وتحض على التعاون وهي مستمدة من الشرائع السماوية كافة وتحض على التطوع والخير والرحمة ما هو الا قرار صائب يمكن أن يكون بديلا عن مادة الدين .

ولتفادي انهيار التعليم المدرسي بالكامل ليس امام العراق الا خيار وحيد، يتمثل في بذل اقصى الجهود من اجل وقف نزيف الانحطاط، والتدهور المريع في مستويات المعرفة، ومواجهة هذا التحدي الكبير بتأهيل التعليم المدرسي في ضمن برنامج اصلاحي متكامل ليكون ضمانة لتحصين المواطن والمجتمع من آفات الجهل والارهاب والفساد، ومن نزعات التطرف والاقبال على الاقتباس والتقليد، ومن الانشغال بتتبع المواقع الجنسية والاباحية. اننا امام صورة كارثية تتمثل بنهاية التعليم الحكومي واستبداله بالتعليم الاهلي، وفي غضون سنوات معدودة في حال الاستمرار في التعاطي مع ملف التعليم بإجراءات مستعجلة واساليب بالية، وما علينا لتفاديها الا بمشروع اصلاحي كبير تتركز اهدافه التربوية على مثلث الاخلاق واللغات والعلوم. (محمد الربيعي مقالة منشورة على الانترنت)

الخاتمة:

يعد العنف ظاهرة قديمة قدم البشرية وهو سلوك ايذائي قوامه انكار الآخر واستبعاده اما بقهره او نفيه او تصفيته معنويا وجسديا ، لذلك يشكل العنف اخطر مظاهر العدوان التي تلازم البشرية ، ان العنف لم يكن فطريا بل كان على الدوام قدرا احمقا مكتسبا في النفس البشرية.

وتعد ظاهرة العنف ضد الاطفال من ابرز المشكلات العالمية التي تعاني منها جميع دول العالم واهمها ولكن بنسب متفاوتة وهي في تزايد مستمر ويصعب السيطرة عليها كون ظاهرة العنف مرتبطة بضعف المؤسسات الرقابية وانتشار وسائل الاعلام التي اصبحت مصدر مهم لنشر وتشجيع مظاهر العنف في المجتمع .

وللعنف ضد الاطفال العديد من الاشكال والانواع منها: العنف الاسري والعنف المدرسي او الجنسي والاعتداء او الاذى العاطفي وهو الحاق الضرر النفسي والاجتماعي .

وعلى مستوى البناء التربوي فأننا عندما نريد ان نؤسس لمجتمع متحضر ومتعافٍ علينا ان نضع سياسة تربوية ناجحة وفاعلة تنتشلنا من حالة الركود والتخلف الى حالة الحركة باتجاه التطور الفعال ، والاهتمام بعناصر العملية التربوية :

- المعلم
- التلميذ
- المنهج الدراسي

على ان تحتضنهم مدرسة بتصميم يواكب التطور العلمي والتربوي حتى نستطيع ان نعوض سنوات الضياع التي مرت.

المصادر

(١) القرآن الكريم .... سورة المائدة ٢٨- ٣٠

(٢) جابر، عبد الحميد جابر(١٩٩٠): نظريات الشخصية، البناء، الديناميات، النمو، التقويم ، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية، القاهرة ، مصر.

(٣) جابر ، عبد الحميد جابر (١٩٨٣): التقويم التربوي والنفسي، مكتبة النهضة العربية، ط٢، القاهرة

(٤) الجميلي، فتحية (٢٠٠٢): الجريمة والمجتمع ومرتكب الجريمة، دار الثقافة والنشر، الاردن.

(٥) حجازي، مصطفى (١٩٧٦): التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور معهد الانماء العربي، بيروت.

(٦) حلمي، اجلال (١٩٩٩): العنف الاسري، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

(٧) خليفة، احمد محمود (١٩٧٧): مقدمة في السلوك الاجرامي، دار الثقافة، ط٢، القاهرة.

(٨) داوي، ماجد يوسف (٢٠٠٦) دراسة حول العنف ضد الاطفال وانعكاسه على مفهوم الذات بحث منشور على النت www.musanadah.com/index.php

(٩) دوميور، تيم (٢٠٠١): تقرير عن واقع الطفل في البلدان العربية والافريقية، تقارير التنمية البشرية، منظمة العمل الدولية، القاهرة

(١٠) الربيعي، محمد (ب ت): الواقع التربوي والتعليمي في العراق، مقالة منشورة على الانترنيت

(١١) سكيكدة، جامع كمال (٢٠١٢): العنف الجنسي ضد الاطفال، بحث منشور على الانترنيت.

(١٢) الشرقاوي، محمد انور(١٩٧٧): العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، بيروت.

(١٣) الشـريف، نبيـل (٢٠٠٥). دور وسـائل الإعلام فـي الحد من العنـف ضد الأطفـال. htt:/www. amanjordan.org/conferences/vaciaw/ htm.vaciaw٣٢

(١٤) شـكور، جليل وديع (١٩٩٧): العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم ، بيروت.

(١٥) الشـمري، صاحب اسعد (٢٠١٢): اسباب العنف لـدى تلاميـذ المرحلـة الابتدائيـة مـن وجهة نظر المعلمين والمعلمات. مجلة دراسـات تربوية العدد (١٨) نيسان.

(١٦) صالح، قاسـم حسـين (١٩٨٨): الشـخصية بين التنظيـر والقيـاس، جامعـة بغـداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

(١٧) عبـد الرحمن، محمـد السـيد (١٩٩٨): نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

(١٨) عبـد المحمود، عبـاس ابو شـامة ومحمد الامين البشـري (٢٠٠٥): العنـف الاسـري فـي في ظل العولمة ، مركز الدراسات والبحوث

(١٩) العـزة، سـعيد حسـن وعبـد الهـدي (١٩٩٩): نظريات الارشاد والعلاج النفسي، مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان

(٢٠) العقاد، عصام عبد اللطيف (٢٠٠١): سيكولوجية العدوانيـة وترويضها: منحى علاجي معرفي جديد ، دار غريب للطباعة والنشر

(٢١) العيسـوي، عبـد الرحمـن(٢٠٠٠): اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان.

(٢٢) القبانجي، علاء الديـن (٢٠٠٠). العنف // http: ounf.htm/www.annabaa.org/nba٤٧

(٢٣) الكرخـي، سـمير(٢٠٠٣) : العنـف.. المفاهيم.. المصطلحـات.. الدوافع والاسـباب. بحث منشـور على الانترنت.

(٢٤) لال، زكريـا يحيـى(٢٠٠٧): العنـف فـي عالم متغيـر، مكـة المكرمة٢١٩٥٥،المملكـة العربيـة السعودية

(٢٥) لالاند، اندريه (١٩٩٦): موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد٣، منشورات عويدات، بيروت.

(٢٦) المـلاح، نـادر(٢٠٠٤) : العنف ضـد الاطفال.. اعتداءات بشـعة تنذر بتمزيـق المجتمعات ، بحث منشور على الانترنت

(٢٧) المليجي، آمال عبد السـميع(١٩٩٧): الشـخصية والاضطرابات السـلوكية الوجدانيـة، ط١، مكتبة الانجلو المصرية.

(٢٨) ٢٨. نصر، سـميحة (١٩٩٦): العنف والمشـقة، بحث مقـدم الى المركز القومـي للبحوث الجنائية، القاهرة ، مصر

http://www١.umn.edu/humanrts/arabic/cescr -* ٢٩

http://elraaed.com/ara/news/15389-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%AC%D7c*30

Violence against children and educational construction in real Iraqi society

Summary

Violence against children is the most dangerous species on the individual and society as the indirect consequences and bad impact and disturb children which creates long term complex personalities and shaky psychological and nervous.

Turning research into violence against children from four axes ;

- Facts and figures in this phenomenon
- Forms of violence against children
- Influential factors in aggravation phenomenon
- Preventive measures to reduce the phenomenon

As the research indicated the reality of educational building in Iraq through five appearances highlight the deterioration of education is :

- first appearance : Neglect and not to fulfill the requirements of the profession
- second appearance : Weak organizational structure and school infrastructure and equipment and curriculum level and the absence of substances that develop students thinking.
- third appearance weak interest in education and instilling civic ethics , behaviors and attitudes ,values .
- fourth appearance : the growing phenomenon of absenteeism and dropout rates and in creates illiteracy and the and the spread of extremist religious beliefs
- Weak scientific and linguistic composition and ability to articulate .

العنف المدرسي الموجه لتلاميذ المدارس الابتدائية الصديقة للطفل وأقرانهم في المدارس الاعتيادية

من وجهة نظر أولياءالأمور(دراسة مقارنة)

د.عبدالكريم محسن محمد(*)

ملخص البحث

يمارس الكثير من الأفراد بصورة عامة والمعلمين خاصة أساليب مختلفة من العنف نظرا لعدم إدراكهم لمدى خطورته ويعتقد البعض بأنه الأسلوب الأفضل لتربية الطالب مع انه في الواقع يعكس حالة من التقمص لنماذج في البيت والمجتمع المحلي فضلا عن النماذج التي تقدمها وسائل الاعلام.

وقد استهدف البحث الحالي تعرف مستوى العنف الذي يتعرض له التلاميذ في المدارس الابتدائية في مدينة بغداد, كما استهدف التعرف على الفروق الإحصائية في مستوى العنف المدرسي بين تلاميذ المدارس الابتدائية الصديقة للطفل والمدارس الرسمية الأخرى.

وللتحقق من أهداف البحث قام الباحث باختيار عينة من المدارس الصديقة للطفل والمدارس المماثلة الأخرى في مديريات تربية بغداد / الرصافة بلغت عشر مدارس. ثم اختار ٨٠ تلميذا يمثلون عينة البحث هم وأولياء أمورهم . وقد استخدم الباحث مقياس العنف المدرسي الموجه للتلميذ من قبل المعلم، والمعد من قبل محمد وآخرون ٢٠١٤ وتم إجراء بعض التعديلات على المقياس بعد عرضه على مجموعة من الخبراء والمختصين في التربية وعلم النفس حيث تم استخراج الصدق الظاهري للمقياس. ثم تم استخراج ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية حيث بلغ ٠,٨١ بعد اختيار ثلاثون استمارة بصورة عشوائيا من عينة البحث.

وبعد استخدام الحقيبة الإحصائية لتحليل البيانات توصل الباحث الى الآتي:

١- وجود دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ لمتغير العنف المدرسي المستخدم في البحث.

(*) كلية التربية للعلوم الانسانية/ ابن رشد

٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ لمتغير العنف المدرسي بين تلاميذ المدارس الصديقة للطفل والمدارس الابتدائية الأخرى.

٣- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى العنف وبين التحصيل الدراسي للتلاميذ.

وفي ضوء نتائج البحث توصل الباحث الى جملة من الاستنتاجات كما وضع عددا من التوصيات والمقترحات.

الفصل الأول

مشكلة البحث وأهميته:

تعد المدرسة إحدى أهم البيئات الاجتماعية التي تؤثر في الطفل بعد الأسرة بل قد تكون في كثير من الأحيان المؤثر الأهم في حياة الطفل ولاسيما في حالة الأسر المتصدعة والفقيرة خاصة عندما تواجهه بيئة شبيهة بالوسط الأسري الذي كان يطمح الى الخروج منه فيشعر بإحباط كبير ينعكس على سلوكياته في المستقبل مما يترك اثرا كبيرا في حياته.

ويكتسب الطفل خلال تفاعله مع البيئة المدرسية كثيرا من السلوكيات خلال عملية التعليم الاجتماعي منها سلوك العنف وبدلا من أن تكون المدرسة طاردة لسلوك العنف فقد تكون حاضنة أياه وقد يصدر سلوك العنف من بعض المعلمين عن وعي أو غير وعي ومن المؤكد المدرسة ليست المسؤولة الوحيدة عن تفشي تلك المظاهر السلوكية ولابد من ان تؤدي دورها في التصدي لها ومنع استفحالها وذلك باستقصاء كل ما من شأنه ان يوفر البيئة والجو المساعد في ظهورها، ويمارس الكثير من الأفراد بصورة عامة والمعلمين خاصة أساليب مختلفة من العنف نظرا لعدم إدراكهم مدى خطورته ويعتقد بعضهم بأنه الأسلوب الأفضل لتربية التلميذ مع انه في الواقع يعكس حالة من التقمص لنماذج في البيت والمجتمع المحلي فضلا على النماذج التي تقدمها وسائل الاعلام.

وأصبح العنف محصلة الضغوط المدرسية والنفسية التي يعاني منها المتعلم ويمثل العنف إحدى المشكلات التي تعاني منها المؤسسات التعليمية إذ ظهر في الآونة الأخيرة بشكل لافت للنظر ما يشير إلى وجود مشكلة متنامية لها مردودها وآثارها في المجتمع (القبانجي ٢٠٠٠،ص٧).

وقد بينت دراسة (البطش) أن نسبة ٧٠٪ من المدرسين والمدرسات يمارسون العنف الجسدي ضد طلبتهم(البطش١٩٩٠,١٦٠) ويترتب على العنف ضد الأطفال في المدارس مجموعة من الآثار النفسية والاجتماعية من قبيل العدوان والانسحاب غير الاجتماعي كعدم احترام ألتلاميذ لمعلميهم ومن ثم تركهم للمدرسة وما يترتب عليها من اثار سلبية على المجتمع.وتحاول الدراسة الحالية الإجابة عن مجموعة من التساؤلات تجاه العنف المدرسي، ما مستوى العنف الذي يتعرض له التلاميذ في المدرسة وهل هناك فروق في مستوى العنف حسب نوع المدرسة؟، وهل هناك علاقة احصائية بين العنف المدرسي الذي يتعرض له التلاميذ من معلميهم والتحصيل الدراسي لهم ؟

ويكشف الواقع الحالي عن ارتفاع في نسبة العنف المدرسي الذي مازالت بعض المدارس تعتمده وسيلة للتأديب، وقد يبدأ بالعنف الجسدي

ليصل إلى الكلامـي أو المعنوي في ظل غياب الوعـي لـدى المعلم وعـدم تقديـره لنتائج هذا العنف وآثاره وقناعته بان الضرب والعنف هما الوسـيلة الوحيدة لتأديـب التلاميذ وحملهم على الاجتهاد والانضباط. وعند بحث ظاهرة العنف في المدارس يلاحظ أن التلاميذ يتعرضون إلى الكثيـر من المشـكلات التي تحـول بينهم وبين تكيفهم مع البيئة المدرسية، منها سلوكيات المعلم القائمـة على العنف والشـدة كالقوة والشراسـة والضرب والسـخرية من المتعلـم المخالف أو المقصـر فضـلاً علـى ماتعانيه المـدارس في الوقت الحاضر من تواضع الإمكانات وازدحام الصفـوف واكتظاظهـا بالمتعلميـن وضعـف تركيـز المعلم في تدريسـه علـى إيصال المادة الدراسـية إلى العدد الكبير منهـم، وعدم تمكنه من إعارة الاهتمـام اللازم بالضعفاء منهم، كل ذلـك يؤدي إلى بروز حالات التوتر لدى المعلم والمتعلم الذي ينتج عنه لجوء المعلم إلى القسوة على المتعلم .(محمد واخرون,٢,٢٠١٤).

وقد أكد (الحلو وعسـاف، ١٩٩٨) أن أهم المشـكلات التـي يعاني منها التلميـذ تتمثل في الجوانـب الانفعالية والنفسـية كالقلـق والتوتر وعـدم توافـر الأمن بسـبب الظروف السـائدة والخوف من الضرب والإهانة والاستهزاء بهم من معلميهم فضلاً على اضطراب الحالة النفسية للتلاميذ وسوء التوافق والإحباط واللامبالاة في تحضير الـدروس، ولعل اخطر أنـواع العنف المدرسـي هـو المعاملـة القاسـية للأطفال كما أظهرت دراسـات أخـرى ان الأبنـاء يتعلمون العنف من خلال عقاب الوالدين لهم إذ يتعرض الكثير منهم إلى سوء المعاملة والإهمال المتعمد مـن أولياء أمورهم أو المسـؤولين عن تربيتهم أو العنايـة بهـم بحجـة تأديبهـم أو تنفيسـا عن حالـة عصبيـة أو انفعال عاطفي يكـون الطفل ضحيته، وتتباين سـوء المعاملـة بين الضرب إلى الحرمان من الاحتياجات الضرورية فضلا على ما تولده هذه المعاملة من معاناة وتأثيرات نفسية ودراسية سيئة قد تؤدي إلى رفد المجتمع بأطفال غير أسوياء.

(الحلو وعساف،٦٨،١٩٩٨)

ومن خـلال خبرة الباحث العملية في مجال التعليـم تبين لـه وبوضوح وجـود العنف لدى التلاميـذ داخـل الصف والمدرسـة وخارجهما وذلك بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسـية والصعبـة علـى مجتمعنا وانعكاسـها علـى الأطفال بصورة واضحـة وكذلك معاملة الوالدين ألسلبية وغير الصحيحة بأنواعها كافة فأثر هـذه المعاملـة يبدو واضحـا للعيان ومن خلال ظهور العنف عندهم .

وظاهـرة العنف والعـدوان التي تحدث في المـدارس أصبحـت حقيقـة واقعـة تعاني منها معظـم دول العالم، وهي تشـغل بـال العاملين فـي الميدان التربوي بشـكل خـاص والمجتمع بشـكل عـام، وتأخذ كثيـرا من وقـت إدارات المـدارس، وتتـرك آثارا سـلبية علـى العملية التعليميـة، لذا فهي تحتاج إلـى تضافر الجهود المشـتركة سـواء علـى صعيـد المؤسسـات الحكومية أم منظمـات المجتمع المدني، لكونها ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى وانعكاسـاتها السـلبية تؤثر في المجتمع بأسـره ولابد في هذا الجانب من التعامل بحذر ودراية ودراسة واقع التلميذ العدواني دراسـة حقيقية والإطلاع على الظروف البيئية المحيطة بحياته الأسرية كافة، لان التلميـذ مهما كان جسـمه وشـخصيته فهو إنسان التحق بالمدرسة ولايعرف ماذا به وماذا

وراءه فقد تكون وراءه أسـرة مضطربة بسبب فقدان معيلها لأي سبب من الأسباب أو ظروف اقتصادية صعبـة أو انفصال الأبوين (الطلاق) وقد تكون وراءه أسـرة تهتم بـه وتقوم بتدليله، فطلباتـه أوامـر وأفعاله مقبولة، وهـو في هذه الأحوال كلها ضحيـة، ويحتاج إلى الأخذ بيده، ويتوجب على البيئة التربوية والتعليمية أن تقدم له التوجيه التربوي الصحيح وتعمل على تعديل سلوكه وتوازنه واتجاهاته المستقبلية من خلال الجو المدرسـي السـليم حتى يمكـن أن يصبح تلميذا مستقيما يسـتطيع أن يستفيد من الأنشطة التربوية وبذلك تكون المدرسـة قد أدت الرسالة التربوية بأمانة كما أراد لها المجتمع لأنها تحمل رسالته (محمد واخرون، ٢٠١٤, ٨)

ولا يقتصر العنف المدرسـي على مايوقعه المعلـم علـى التلميذ وإنمـا يتعدى إلى أشـكال أخرى تتمثل في عنف التلميذ على المعلم وعنف الإدارة المدرسية على التلميذ وعنف التلميذ على الإدارة وعنـف التلاميذ بعضهـم على بعضهم الآخـر، وعنفهـم ضـد الممتلـكات المدرسـية ويعـد العنف عند الأطفال من المشـكلات التي زاد انتشـارها في وقتنا الراهن نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصاديـة والأمنية التي طرأت علـى مجتمعنا فضلا علـى عوامل أخرى منها الاسـتعمال غير السليم للوسـائل الترفيهية عند الطفـل وغياب السـلطة الضابطة في الأسـرة حيث أظهرت دراسـات عـدة ان رؤية الأفلام وبرامج العنف من الأسـباب المباشـرة لظهور سلوك العنف المشاهد)ابراهيم،،١٩٨٨(٥٣٠

ومنذ العقود الأولى للقرن العشـرين تنبهت المنظمـات الدولية على التحديات التي يواجهها الطفل،ففي عام ١٩٣٢ أعلن قيام الاتحاد الدولي للطفولة الذي هدف إلى حماية الطفل والتعريف بحقوقـه، كمـا عقـدت نـدوات دولية لدراسـة احتياجـات الطفل ودورها فـي التنمية الوطنية ومن هذه المؤتمرات مؤتمر الدائرة المسـتديرة الذي عقد في ميلانو بايطاليا سنة ١٩٤٦ وحلقة بانكوك ١٩٦٦ وحلقة كراتشـي ١٩٦٨، وحلقة الـدول العربية عام ١٩٧٠ كما انشـئت منظمة اليونيسيف الدولية، وإعلان ميثاق حقوق الطفل بالقـرار (١٣٨٦) الصـادر في العشـرين من تشرين الثاني ١٩٥٩ من الأمم المتحدة، وصدر قـرار جمعية الأمم المتحدة في ١٩٧٦/١٢/٢١ بجعلـه عامـا دوليا للطفل تشـترك فيـه الدول المختلفـة من اجل وضع سياسـة عملية لتوفير احتياجات الطفل ودعم المؤسسـات المعنية مع تبـادل الخبـرات والتجـارب الخاصـة بتربيته وتعليمه (جرادات،١٩٨٢: ١٠٨)

أما جمعيـة الصحة العالميـة وفي قرارها التاسـع والأربعيـن لعـام ١٩٩٦ فقـد صنفت العنف إلى ثلاث مجموعات:

١- العنـف الموجـه نحـو النفس، ويشـمل الأفكار ومحاولات وسـلوك الانتحار، وانتهاك النفس، وتدميرها.

٢- العنف بين الأشخاص ويشمل :

(أ) العنـف الأُسـري (المنزلـي) : الـذي يمارسه أفراد العائلة بعضهم اتجاه بعض .

(ب) العنف المجتمعي : الذي يقع بين أفراد لا قرابـة بينهم، وقد يعرف بعضهم بعضاً ويقع عادة خارج المنزل .

(ج) العنـف الجماعـي: يقسـم على عنف اجتماعـي (العلاقـات بين الأفراد)، وسياسـي

(تضـارب أهـداف الأحـزاب)، واقتصـادي (الاسـتحواذ علـى مصـادر الحيـاة) (منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٢، ص٦-٧) .

وتوصلت دراسة قام بها العلماء والباحثون عام ١٩٩٧ إلى وجود نسبة أتفاق مقدارها ٨٠٪ بين عينة من خبراء الصحة النفسـية وعينة من الآباء على اعتبار ١٠ فئات من السـلوك اللفظي تجاه الأطفال سـلوكاً دالاً على الإسـاءة النفسية. كما كشفت دراسـة أجريت على عينتين تمثلان مجموعتيـن عرقيتيـن فـي الولايـات المتحدة أن ٤٢٪ مـن أفراد هاتين العينتين يعدّان سـوء المعاملـة النفسـية اللفظيـة أمثلة لسـوء معاملة الأطفال بصورة عامة, وأشـارت أيضاً بمقارنة الإسـاءة الانفعالية بالإساءة الجنسـية ووجد أن مـن ١١٪ إلـى ١٩٪ من الأمثلـة التي طرحها المسـتجيبون تنـدرج تحت الإسـاءة الجنسـية. (حسن, ٢٠١٢،١٨)

وقد تنبهت وزارة التربية منذ أمد بعيد على ظاهرة العنف المدرسي بأشكاله كافة، واتخذت العديد من الإجراءات منها إصدار أنظمة تربوية تتضمن نصوصـا وقيما تربوية تلـزم المربين بإتباعهـا وإيصـال تلـك القيـم إلـى المتعلمين بأساليب تربوية والابتعاد عن كل مايسيء إليهم، كمـا أصـدرت التعليمات المشـددة لمنع العنف المدرسـي وفي سـبيل المثـال الأعمـام بالعدد ٢٧٩٤ في ٢٠١٣/٣/٤ وبخاصة الضرب وأي شـكل من أشكال القسوة والإذلال وكل ما يضر بنفسـية هـؤلاء المتعلمين، كما قامـت الوزارة بإعـادة النظر بالمناهـج الدراسـية وتضمينها بالقيم الأخلاقية وأساليب التوجيه وإشاعة روح التسامح ومعالجة سلوكيات المتعلمين بالأساليب التربويـة الصحيحـة، وتشـكيل وحـدة حقوق الإنسـان في المديرية العامة للمناهج، والتوقيع على لائحة حقوق الإنسان التي أصدرتها الأمم المتحدة عـام ١٩٨٩ واتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٩٠ والتـي وافق عليها العراق عام ١٩٩٤، واهم الإجراءات إدخال الإرشـاد التربوي إلى المـدارس كجزء من العملية التربوية بان يكون في كل مدرسة مرشد تربوي لديه مهام وتعليمات وسجلات إرشـادية لتوجيه التلاميذ والتلميذإلى السلوك التربوي الصحيح والتعاون مع الهيأتين التعليمية والادارية في دراسـة مشاكلهم وإيجاد الحلول الممكنة لها. (محمد وآخرون ،٢٠١٤)

لذا فان أهمية هذه الدراسة تتجلى في متغير البحث، العنف المدرسـي، فضـلا على مقارنة عينـة من المدارس الصديقـة للطفل والمدارس الأخرى لمعرفة مستوى العنف المدرسي في كل منها، كما أنها محاولة علمية للإسهام في دراسة المناخ المدرسي ولاسيما العنف المدرسي الذي يـؤدي دورا حاسـما في العمليـة التربوية كلها وفي علاقة المعلمين بالتلاميذ وأثر ذلك السلوك في علاقات التلاميذ مع بعضهم.

ثالثا : ـ أهداف البحث

١- تعرّف مسـتوى العنف الذي يتعرض له تلاميذ المدارس الابتدائية من معلميهم.

٢- تعرّف الفروق في مسـتوى العنف الذي يتعرض لـه تلاميذ المدارس الابتدائية الصديقة للطفل وأقرانهم في المدارس الرسمية الأخرى.

٣- تعرّف العلاقة بين التحصيل الدراسـي ومستوى العنف لدى تلاميذ المدارس الابتدائية.

رابعا : ـ حدود البحث

تتحدد الدراسـة الحالية بالمدارس الابتدائية

الصديقة للطفل والمدارس الرسمية الأخرى في المديريات العامة للتربية في محافظة بغداد / الرصافة للعام الدراسي ٢٠١٤ / ٢٠١٥.

خامسا : ـ تحديد المصطلحات

١ـ العنف

تعريف (معتوق ١٩٩٣): هوسلوك يقوم على قمع العقول والنفوس لاعلى قمع الأجساد ضربا او ركلا او تعذيبا.(حسن،٢٠١٢، ٢)

تعريف (داود ٢٠٠٣): الممارسات والأساليب الموجهة جميعها نحو الآخرين من دون إرادة حقيقية مع توافر شرط الأذى والضرر.(المصدر السابق نفسه)

- عرّفه ألمغازي ١٩٩٣: مصطلح ثقافي، فما يُعدّ عنفا في ثقافة قد لا يكون كذلك في ثقافة أخرى . (المغازي ١٩٩٣: ٣٢)
- عرفه الشايجي:٢٠٠٢ان العنف من أشكال العدوان الإنساني الذي يقصد به الإيذاء الشخصي وإيذاءالآخرين وتحطيم الممتلكات وان السلوك العنيف يتسم بالتكرار .)الشايجي ٢٠٠٢ :٢٠)

ويعرف الباحث العنف المدرسي بأنه: أي إيذاء أو ضرر يتعرض له التلميذ في المدرسة سواء كان ايذاءً جسديا او معنويا او نفسيا واقع عليه من قبل المعلم.

التعريف الإجرائي للعنف المدرسي: الدرجة التي يحصل عليها المستجيب جراء اجابته على فقرات المقياس المستخدم في هذا البحث.

٢ ـ المدارس الصديقة للطفل

هي المدارس التي تهدف إلى توفير بيئة مدرسية (جاذبة، محببة، صحية، آمنة) تحترم التنوع والاختلاف وعدم التمييز، يتمكن التلاميذ فيها من التعبير عن آرائهم والمشاركة بفاعلية في عملية التعلم، وتضمن لهم جودة التعليم .

(لجنة في وزارة التربية ٢٠١٣)(*)

الفصل الثاني

أـ الإطار النظري

ـ نظرية التبادل الاجتماعي

تعود جذور هذه المدرسة الى المذاهب الفكرية في علم الاقتصادوعلم الإنسان وعلم النفس ومن ابرز روادها : (بيتر بلاو - وجورج هومانز – ومالينوفسكي – وسكنر) ان هذه المدرسة بإمكانها تفسير أنماط العلاقات الاجتماعية كلها والسلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات (الحسن ١٩٩٩ص٥٧٧)وترى انه اذا قام شخص ما بسلوك عدواني ضد شخص اخر فلابد من ان تكون النتيجة سلوكا عدوانيا مماثلا ويمكن ان يوجه العنف ضد المؤسسةالاجتماعية سواء أسرة كانت ام مدرسة ام مؤسسة اقتصادية ام اجتماعية ام حتى ضد المجتمع (عباس ص٦١) فالسلوك المضاد هو استجابة للعنف الذي تمارسه مؤسسات المجتمع ضد الفرد المتجسد في الجزاءات والضوابط.

و يرى جورج هومانز ان النشاط اذا كان مصحوبا بمكافأة فأن الفرد سيكرر نشاطه

(*) لجنة في وزارة التربية (٢٠١٣) كراس معايير المدارس الصديقة للطفل وفق معايير الجودة الشاملة، بغداد.

آمـلا‘‘ في الحصـول على مزيد مـن المكافآت وهـذه المكافـآت هـي التـي تقـوي العلاقـات الاجتماعيـة ويتفـق معه في هذا الرآي سـكنر رائد المدرسةالسلوكية في علم النفس (الشويكي بدون سنه ص٧٨) وهذا مايسمى في علم النفس التعزيز الايجابي وما يقابله من أساليب التعزيز السلبي .

اما بيتر بلاد فيرى ان القوة والقسر تقلل من قيمة الخدمات المقدمة ويتفق التربويون فيرون ان العنـف يقلل مـن علاقة الاحتـرام المتبادل والسـلوك الـذي يعاقب عليه الفـرد يختفي مدة ويعـود الى الظهور مرة اخرى فسـلوك العنف داخل المدرسة هو نتاج عملية تبادلية بين التلميذ والمعلم والظروف الاجتماعيةالأخرى.

ـ نظرية التفاعل الرمزي

التفاعل الرمزي هو ذلك النشاط الذي يفسر من خلالـه الناس أفعـال بعضهـم وتصرفاتهم وإيماءاتهـم على أسـاس المعنى الـذي يضيفه هذا التفسير على تلك التصرفات. وابرز رواده جـورج هوبـرت ميد وجـون ديـوي وجورج هوربـرت يلومر تشـارلز كولي –وسـي راين ميلـز، تـرى هـذه المدرسـة ان سـلوك الفرد والجماعـات مـا هو الا تجسـيد للرمـوز التي يشـاهدها الفـرد ويتأثـر فيهـا سـلبا أو إيجابا بشـكل مباشـر (محمد مصدر سابق ص١١٧) وان العمليات المعرفية تؤدي دورا أساسـيا في ظهور السـلوك العدواني بين الأفـراد فطريقة إدراك الفرد للعلاقات مع الآخرين باستطاعتها ان تكبـح العـدوان أو تسـهله وان الإشـارات تعني بداية السـلوك الاجتماعـي ولها مدلولات اجتماعية كمن يشاهدها كتحريك اليد والأصابع وان فهما مشـتركا من الأفـراد والمجتمع لهذه الإشـارات فمثلا ان المعلـم حين يحرك إصبعه تعبيرا عـن التهديد او الوعيد للتلميذ فأن صيغة رمزية مثل هذه تفهم على انها سـلوك عدواني موجـه ضده وما يترتب على ذلك السـلوك من ردة فعـل معينـة تحديـاً او دفعا للضـرر وهنا تتداخـل عملية التبادل الاجتماعـي مع التفاعل الرمزي .

ب- دراسات سابقة

- دراسات عربية

دراسة محمد واخرين ٢٠١٤

تألفت عينة البحث مـن المدارس الابتدائية فـي مدينة بغداد موزعة على مديرياتها السـت فـي ضمنها المـدارس الصديقة للطفـل والبالغ عددهـا ٢٢٢ مدرسـة. وتوصـل الباحثون الى الاتي:

١-عـدم ظهور فروق كبيرة بين مسـتوى العنف المدرسـي في المدارس الصديقة للطفل المشمولة بالإرشاد التربوي وغير المشمولة به

٢- إن النتائج ظهـرت متقاربة، ولم يلاحظ أي انخفاض في مسـتوى العنـف في المدارس الصديقة للطفل التي تطبق الإرشاد التربوي

٣- إن أكثر حالات العنف المدرسي في كلا المجموعتين من المدارس الصديقة للطفل التي يوجـد فيها مرشـدون تربويـون والتي لايوجد فيهـا، تكون في المجـال الأول الخاص بالعنف الذي يقع من المعلمين على التلاميذ

٤- إن أعلـى مسـتوى للعنف الـذي يحدث مـن التلميـذ اتجاه المعلم في المجـال الثاني في كلا المجموعتين من المدارس يكون في تهرب

التلاميذ من أداء الواجبات المدرسية

٥ـ كما إن أعلى مستوى للعنف في المجال الثالث في كلا المجموعتين من المدارس الصديقة للطفل يكون في مشاكسة التلاميذ بعضهم بعضاً في الفرص المدرسية

٦ـ سجلت النتائج وجود مستوى من العنف في المجال الرابع يحدث من التلاميذ على الممتلكات والأثاث المدرسي في المدارس الصديقة للطفل التي يوجد فيها مرشد تربوي والتي لايوجد فيها المرشد ولكنه ليس حادا

٧ـ وجود ضعف في دور المرشد التربوي في المدارس الصديقة للطفل

٨ـ وجود زيادة طفيفة في مستوى العنف في المدارس الصديقة المشمولة بالإرشاد التربوي في حالات محددة ولكنها لا تشكل ظاهرة لهذا العنف **.(محمد واخرون، د,٢٠١٤)**

ـ دراسة مصطفى

(اثر العنف المدرسي في درجة شعور التلاميذ بالقلق وتكيفهم المدرسي)

يرى الباحث ان مصطلح العنف المدرسي مصطلح قديم وقد أدرك المجتمع جدية هذه المشكلة وخطورتها في السنوات الأخيرة ما أضاف عناصر جديدة لوعي المجتمع والتربيةالعامة ويضيف الباحث ان العنف المدرسي هو استمرار للعنف الأسري والمجتمعي. وتعد المرافقات النفسية للعنف مدمره أكثر من العنف نفسه لأنه اعتداء على أحاسيس الأطفال. وتسعى الدراسة الى تحقيق مجموعه من الأهداف:-

١. تقصي اثر العنف المدرسي والمستوى الدراسي في القلق النفسي.

٢. تقصي اثر العنف المدرسي والجنس والمستوى الدراسي في التكيف المدرسي.

ومن اجل تحقيق أهداف الدراسة اختار الباحث عينة تتكون من ٢٤٥ طالباً وطالبة من الصفين السابع والثامن، اختارهم بالطريقة العشوائية المتعددة وحدد أسماء التلاميذ الذين تعرضوا للعنف واللذين لم يتعرضوا له من قبل مديري المدارس والمرشدين اختار (١٢٥) لم يتعرضوا ومثلهم ممن تعرضوا.

ولتحقيق أهداف البحث وتحليل النتائج وتفسيرها وظف الباحث مقياس العنف المدرسي وفي المعالجة الإحصائية اعتمد تحليل التباين الثلاثي لمعرفه اثر العنف المدرسي (المتعرضون/ غير المتعرضين للعنف) والجنس والمستوى الدراسي في القلق والتكيف المدرسي اذ استخدم تحليل التباين لمرتين وقسم مستوى الدلالة ٠,٠٥ على (٢) وبذلك تكون الظروف ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٢٥.

لقد استطاع الباحث في نهاية دراسته التوصل الى جملة من الاستنتاجات وأهمها:-

١ـ فيما يتعلق بأثر العنف المدرسي والجنس والمستوى الدراسي في القلق فقد تبين ان التلاميذ الذين تعرضوا للعنف أكثر قلقا من الذين لم يتعرضوا,وان الإناث كن أكثر قلقا من الذكور وعدم وجود فروق بين تلاميذ الصفين السابع والثامن في درجة شعورهم بالقلق.

٢ـ اما فيما يتعلق بأثر العنف المدرسي

والجنس والمستوى الدراسي في التكيف المدرسي فقد اتضح ان المجموعة التي لم تتعرض له,فضلا على عدم وجود فروق بين الإناث والذكور في المستوى الدراسي كمالم تكن هناك فروق بين تلاميذ الصفين السابع والثامن في درجة شعورهم بالتكيف ولم تشر الدراسة الى أية توصيات لغرض الاستفادة.

دراسات غير عربية:

دراسة «كارين سلوفك ١٩٩٨»

هذه الدراسة تناولت الصحةالعقلية وتأثيرها في كشف العنف لدى الشباب ودور العنف في المجتمع وعلاقته بالقلق. كانت العينة مكونة من (٥٤٩) طالبا من تلاميذ الصفوف السابع ومن الثامن اذ سجلت أقوالهم في خبرات العنف التي تعرضوا لها في الحاضر وفي الماضي في المنزل وفي المدرسة سواء كانوا ضحايا ام مشاهدين وطبق عليهم مقياس (أعراض الصدمة) وتوصلت الباحث في نهاية دراستها الى جمل من النتائج وأهم هذه النتائج.

١. تعرض نسبة كبيرة من الأولاد الى العنف سواء ضحايا كانوا ام مشاهدين .

٢- طلاب الصفوف الدنيا كانوا أكثر تعرضا للعنف من طلاب

الصفوف العليا .

٣. يأتي المنزل بالدرجة الأولى كمكان للعنف ثم المدرسة .

٤- ان العنف يولد حالة من القلق والغضب والاكتئاب والانفعالية الناتجة من العنف والتي من مظاهرها دقات القلب والشعور بالعجز. (كارين سلوفك ١٩٩٨ ص ٣٧)

الفصل الثالث

إجراءات البحث

يتضمن هذا الفصل وصفا للإجراءات التي اعتمدت لتحقيق أهداف البحث بدءاً من تحديد مجتمع البحث واختيار عينة مناسبة ووصف خصائصها واختيار أداةالبحث لتحقيق أهدافه ومعالجة بياناته بالوسائل الإحصائية المناسبة .

أولا : ـ مجتمع البحث

أ- مجتمع المدارس

يشمل مجتمع البحث على المدارس الابتدائية والمدارس الصديقة للطفل في محافظة بغداد/ الرصافة موزعة على مديرياتها الثلاث، ويوضح الجدول (١) مجتمع المدارس الصديقة للطفل.

الجدول (١)
أعداد المدارس الصديقة للطفل (مجتمع الدراسة)
موزعة على المديريات العامة للتربية في بغداد/ الرصافة

المديرية العامة للتربية	عدد المدارس الصديقة للطفل
الرصافة الأولى	٣٧
الرصافة الثانية	٣٥
الرصافة الثالثة	٣٥
المجموع	١٠٧

ثانيا :- عينة البحث:أ-عينة المدارس

تم اختيار عينة من المدارس الصديقة للطفل والمدارس الرسمية الأخرى في المديريات العامة للتربية في بغداد/ الرصافة وعلى وفق الآتي:

جدول (٢)

مديرية التربية	عدد المدارس الصديقة للطفل	عدد المدارس الاعتيادية	المجموع
الرصافة الأولى	٢	٢	٤
الرصافة الثانية	٢	٢	٤
الرصافة الثالثة	١	١	٢
المجموع	٥	٥	١٠

- **مجتمع البحث : ب- مجتمع التلاميذ وأولياء الامور**

يتكـون مجتمع البحث مـن تلاميـذ وأولياءأمورتلاميذالمرحلة الابتدائية في مديريـة تربية بغداد / الرصافة ١-٢-٣ للعام الدراسي٢٠١٤-٢٠١٥.

- **عينة البحث: ب- عينة التلاميذ وأولياء أمورهم**

وقـد تـم اختيار عينة البحث بصورة عشـوائية مـن أولياءأمور تلاميذ الصف السـادس الابتدائي بالطريقـة العشـوائية وعددهم (٨٠) ولـي أمر(((تلميذ) بواقع (٤٠) ذكـراً و(٤٠) أنثى)) موزعين مناصفة بحسب الجنس بين المدارس الصديقة للطفل والمدارس الاعتيادية .

- **أداة البحث**

تبنـى الباحـث مقياس (العنف المدرسـي)المعد من(محمد وآخـرون ٢٠١٤) ويتألف المقياس من (١٤) فقـرة تقيـس مدى تعرض الطفل للعنف من قبل المعلم، علما ان بدائل المقياس هي (موافق جدا, موافـق، غير موافق)وأعطيت الأوزان: ثلاثة للبديـل الأول واثنان للبديل الثاني وواحد للبديل الثالث. وأعلى درجة يحصل عليها المستجيب هي ٤٢ واقل درجة هي ١٤.

الصدق الظاهري للمقياس

يعد الصدق الظاهري المظهر العام للقياس وهو يشـير الى مايبدو من قدرة المقياس على قياس ما وضع من اجله ولقد تم التأكد من هذا النوع من الصدق من خلال عرض فقرات مقياس العنف المدرسي علـى مجموعة مـن المحكمين الخبراء في التربية وعلم النفس والبالـغ عددهم(٦)والملحق(١) يوضح ذلك . اذ حقق الصدق نسـبة ٨٠٪ فأكثر وهذا يدل على ان فقرات المقياس صادقة, ولذلك قبلت فقرات المقياس جميعها.

ثبات المقياس:

طريقة التجزئة النصفية:-

وهي من أكثر الطرائق استعمالاً في البحوث النفسية، وتعتمد أساساً على تقسيم فقرات المقياس على قسمين، وحساب معامل الارتباط بين إجابات الأفراد على هذين القسمين وهناك طرائق كثيرة لتقسيم الاختبار منها أن توزع الفقرات على مجموعتين بحيث توضع الفقرات الفردية في قسم والزوجية في القسم الآخر. وقام الباحث بحساب معامل الارتباط بين الدرجات ذات التسلسل الفردي والزوجي لأفراد عينة البحث والبالغة (٨٠) تلميذاً وتلميذة على (مقياس العنف المدرسي) وقد بلغ معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية (٠,٧١) ولأجل حساب ثبات الاختبار بصورة كاملة لجأ الباحث الى استخدام معادلة سبيرمان براون لتصحيح معامل الارتباط فبلغ (٠,٨٢).

التطبيق النهائي

بعد استكمال إجراءات المقياس والتأكد من صدقه وثباته . قام الباحث بتطبيقه بصورته النهائية ملحق(٢)على عينة الدراسة والتي بلغت (٨٠) ولي امر تلميذ من مديريات تربية بغداد الرصافة والجدول (١) يوضح ذلك وقد استغرقت مدة التطبيق اسبوعين.

الوسائل الإحصائية:

استعمل الباحث الحقيبة ألإحصائية للتوصل لنتائج البحث.

الفصل الرابع

أولاً : عرض النتائج

يتضمن هذا الفصل عرضا للنتائج التي توصل اليها البحث الحالي وفق أهدافه:

الهدف الأول: تعرّف مستوى العنف المدرسي الذي يتعرض إليه تلاميذ ألابتدائية لغرض تحقيق هذا الهدف، قام الباحث بحساب متوسط درجات التلاميذ على مقياس العنف المدرسي وقد بلغ (٣٤,٦) وبانحراف معياري مقداره (٤,١)،

بمقارنة هذا المتوسط بالمتوسط الفرضي للمقياس والبالغ (٢٨) يتضح انه اكبر من المتوسط الفرضي، ولاختبار دلالة هذا الفرق إحصائيا، تم استعمال الاختبار التائي لعينة واحدة(٣٣,٩٩)، واتضح ان الفرق بين المتوسطين دال إحصائيا ولصالح عينة البحث عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٧٩) وتتفق هذه الدراسة مع دراسة كارين سلوفك ١٩٩٨ ودراسة محمد واخرين ٢٠١٤ ودراسة البطش ١٩٩٠. والجدول (٣) يوضح ذلك.

الجدول (٣)

الاختبار التائي لدلالة للفرق بين المتوسط الفرضي والمتوسط الحسابي لأولياءأمور التلاميذ على مقياس العنف المدرسي

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة	الدلالة الإحصائية
٨٠	٣٤,٦	٤,١	٢٨	٣٣,٩١	٢	٠,٠٥	دالة

الهــدف الثاني: التعرف على دلالة الفروق في العنف المدرســي على وفق متغير نوع المدرســة (صديقة للطفل - عادية) لأولياء أمور تلاميذ المدارس ألابتدائية.

ولغرض تحقيق هذا الهدف تم اســتخراج المتوسط الحسابي للمدارس الصديقة والذي بلغ(٣٣,٩) وبانحراف معياري(٤,٣) والمتوســط الحســابي للمدارس الاعتيادية بلغ(٣٤,٣) وانحرف معياري (٣,٩) ولمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطين استعمل الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وقد بلغت القيمة التائية المحســوبة(٠,١١) وهي أقل من الجدولية عند مســتوى دلالة(٠,٠٥) ما يدل عدم فروق ذات دلالة إحصائية بين المدارس الصديقة والمدارس الاعتيادية والجدول(٤) يوضح ذلك.

العينة	المتوسط الحسابي للمدارس الصديقة للطفل	الانحراف المعياري	المتوسط الحساب للمدارس الاعتيادية	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة	الدلالة الإحصائية
٨٠	٣٣,٩	٤,٣	٣٤,٣	٣,٩	٠,١١	٢	٠,٠٥	غير دالة

الهدف الثالث :التعرف على العلاقة بين العنف المدرسي والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ الابتدائية.

لتعرّف طبيعة العلاقة بين العنف المدرســي والتحصيل الدراســي لدى تلاميذ ألابتدائية. قام الباحث باستخراج معاملات ارتباط (بيرسون) بين العنف المدرسي والتحصيل الدراسي كما استعمل الاختبار التائي لتعرّف دلالة معاملات الارتباط وذلك وفقاً لنوع المدرسة (صديقة للطفل -اعتيادية) وكانت نتائج التحليل الإحصائي كما يأتي:

لم تظهردلالة إحصائية للقيمة التائية لمعامل الارتباط بين العنف المدرســي والتحصيل الدراســي حيــث بلغت القيمة التائية المحســوبة للأولى ١,٣٣والثانية، ٠,١٩٣اقــل من القيمة الجدولية١،٩٦عند مســتوى الدلالــة ٠,٠٥ ودرجة حرية ٧٨ ويمكن ان تكون الأوضــاع الأمنية الحالية التي يمر بها البلد والعنف ومشاهده المتكررة في كل مكان، قد جعلت منها امرا واقعا وبذا فقد تعامل معه التلاميذ شعوريا او لاشعوريا على هذا الأساس. والجدول (٥) يوضح ذلك.

جدول (٥)

القيمة التائية لمعاملات الارتباط بين العنف المدرسي والتحصيل الدراسي لدى تلاميذ الابتدائية

الجنس	العدد	معامل الارتباط بين العنف المدرسي والتحصيل الدراسي	القيمةالتائية المحسوبة	الدلالة الإحصائية عند ٠,٠٥ فأقل
الذكور	٤٠	٠,١٣٣	١,١٩	غير دالة
ألإناث	٤٠	٠,١٩٣	١,١٣	غيردالة
*** القيمة التائية الجدولية تساوي ١,٩٦ عند مستوى دلالة ٠,٠٥ ودرجة حرية٧٩**				

الفصل الخامس

الاستنتاجات

(١) أظهرت النتائج وجود فروق دلالة إحصائيا بين المتوسط الفرضي والمتوسط الحسابي على مقياس العنف المدرسي، أي أن تلاميذ المدارس الابتدائيــة يتعرضون للعنف من قبل المعلمين.

(٢) لـم تظهـر نتائـج الاختبـار التائـي بيـن المتوسـطات الحسـابية فروقـا ذات دلالة احصائية وفقا لمتغير نوع المدرسة . وهذا قد يكون بسـبب ان المعلمين في المدارس الصديقــة للطفـل لايختلفـون مـن حيـث الإعـداد او المهارات العقلية اوالاجتماعية عن أقرانهـم معلمي المـدارس الاعتيادية الأخرى.

(٣) لم تظهـر نتائج القيمــة التائيــة لمعاملات الارتبــاط علاقــة بيــن العنف المدرســي والتحصيل الدراسي.

التوصيات :

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بالاتي:

١- ضرورة اتخــاذ إجراءات أكثر صرامة مــع المعلميــن الذيــن يمارســون العنــف ضد التلاميذ.

٢- الاهتمــام بدرســي التربيــة الرياضيــة والتربية الفنية وايلائهمــا الأهمية القصوى لما لهمــا من اثر كبير في تعزيز العلاقة بين التلميذ والمعلم وبين التلاميذ أنفسهم.

٣- توفير برامج وأنشطة اجتماعية وتربوية وترفيهيــة لا صفيــة تســهم فــي تعزيــز القيــم الاجتماعية والمهــارات عند التلاميذ وتقلل من آثار العنف والعنف المضاد.

٤- توجيــه المعلميــن كلهــم الى اســتعمال أســاليب العقــاب البديلة والتي تدعى بأســاليب التأديب الايجابية.

المقترحات :

مـن اجـل البحـث وإكماله يقتـرح الباحث الاتي :

١. إجراءدراســة تســتهدف دراســة العنف المدرســي وعلاقته بمتغيرات أخرى مثل القلق النفسي والعنف المضاد للمجتمع.

٢. إجراء دراسة لتعرف الفرق في مستوى العنف المدرسـي تبعا لمتغير المرحلة الدراسية (ابتدائية-متوسطة- إعدادية).

٣. إجـراء دراســة مقارنــة بيـن طـلاب المـدارس التـي تقـع فـي المناطـق الحضرية والريفيـة، لمعرفـة أي المناطـق أكثر عنفا من غيرها.

٤. إجراء دراســة تســتهدف بنــاء برنامج إرشــادي لخفض ســلوك العنف لــدى المعلمين والتلاميذ معاً.

المصادر

- ابراهيم،عبدالسـتار,علم النفـس الاكلنيكي, دار المريخ للنشر,١٩٨٨.
- البطش,محمـد وليـد، الاتجاهـات نحو العقـاب البدني وممارسـته في المدرسـة الأردنية، دراسات العلوم التربوية,الجامعة الاردنية،الاردن,١٩٩١.
- الروسـان, فـاروق: سـيكولوجية الأطفـال غيـر الاعتياديـين، عمـان, دار الفكـر للطباعة والنشـر والتوزيع، ١٩٩٨، ص٣٩.
- حسـن,كريمة جاسـم " العنـف المدرسـي وعلاقتـه بالتحصيـل الدراسـي لتلاميذ المرحلـة الابتدائية", الكلية التربوية المفتوحة,بحث غير منشور,٢٠١٢م.
- الحسـن، إحسان محمد و د. عبد المنعم الحسني : طرق البحث الاجتماعي – الموصل – دار الكتب للطباعة والنشر – ١٩٨٢.
- الحلو، عساف والعساف،عبد (١٩٩٥) اثر الانتفاضة علـى الحالة النفسـية لطلبة الصف الثالـث الثانوي وانعكاسـاتها على الوضع الدراسي العام في الضفة الغربية، غزة.
- جرادات، عزت (١٩٨٢) : تربية الطفل في الإسـلام، مجلـة رسـالة العلم، عـدد خـاص بمناسـبة القرن الخامس عشـر الهجـري، وزارة التربيـة والتعليم، عمان .
- عباس، مضر طه : الالتزام الديني والانتماء الاجتماعي والعدائيـة لـدى مرتكبـي جرائـم العنـف واقرأنهم العاديين – أطروحة الدكتوراه في علم النفس – كلية الآداب – جامعة بغداد – ١٩٩٧.
- علي الشـويكي : المدرسة والتربية وإدارة الصفوف – بيروت – مكتبة الحياة بدون سنة طبع.
- القبانجي, علاء الدين(العنف السـايكولوجي والعلاج) مجلة النبأ-تموز(٢٠٠٠).
- محمد,عبدالكريـم محسـن واخرون, «دراسـة مقارنة عـن العنف في المدارس الصديقة للطفل المشـمولة بالإرشـاد التربوي وغير المشـمولة من وجهة نظر مديري المدارس»بغداد,٢٠١٤م.
- النوري، قيس (١٩٨٩) : الرعاية الاجتماعية للطفولة، المعيقـات، المقترحـات، الطمـوح، وقائـع النـدوة العلمية حول رعاية الطفولـة، هيأة رعاية الطفولة، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية .
- Slovak , Karan Lynne, the mental health consequences of violence Exposure an Exploration of youth in Rural setting (Rural communities) , prentice Hall , New York – 1998

الملاحق

ملحق (١)
أسماء الخبراء والمحكمين

ت	اسم الخبير ولقبه العلمي	الجامعة ـ الكلية
١	أ٠د ٠ احسان عليوي	جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الصرف/بن الهيثم
٢	أ.د عبدالكريم عبد الصمد	جامعة القادسية / كلية التربية
٣	أ٠د٠ فاطمة هاشم قاسم	الكلية التربوية المفتوحة
٤	أ٠م٠د٠ تغريد خليل غني	الكلية التربوية المفتوحة
٥	أ٠م٠د٠ سناء لطيف	الكلية التربوية المفتوحة
٦	م. د عبدالكريم خشن بندر	جامعة بغداد / كلية التربية/ بن رشد

ملحق ٢
مقياس (العنف الموجه من المعلم إلى التلميذ)

ت	الفقرة	موافق جدا	موافق	لااوافق
	يضرب التلميذ في أماكن متعددة من جسمه .			
	يشتم التلميذ.			
	يطلق عليه ألفاظا مخلة بالذوق العام.			
	يطرد التلميذ من الصف.			
	يستهزأ بالتلميذ.			
	يسخر منه في المواقف التربوية.			
	يعاقب الصف بأكمله إذا اخطأ التلميذ .			
	يعاقب التلميذ بإيقافه أمام التلاميذ الآخرين ووجهه باتجاه الحائط.			
	يوقف التلميذ بجانب سلة المهملات.			
	يوبخ التلميذ بسبب عدم تحضيره الواجبات البيتية .			
	يهدد التلميذ بتقليل درجته في الامتحان.			
	يهدد التلميذ بالرسوب اذا لم يشارك في السفرة المدرسية.			
	يغضب من التلميذ.			
	يمزق كتبه ودفاتره.			

School Violence Toward Pupils in Friendly Primary schools compared with pupils in public schools according to parents' point of view (comparative study).

Dr. Abdul-Kareem Muhssin Muhammad

Abstract

The present research aimed to identify the level of social violence involving primary school pupils in Baghdad's city ,was also aimed to identifying statistical differences in the level of school violence among elementary school pupils,kid-friendly ,and other similar schools. to verify the research objectives a researcher with the selection of a sample search. Eighty pupils were selected representing a sample search . Has been used scale school violence against pupils prepared by Mohammed and others 2014. After extracting face validity scale ,where it was introduced by a group of experts in education and psychology ,all items approved scale by 80% and further .Reliability coefficient was also extracted with(81)

and he applied to the sample consisting of parents of pupils and dump data. using statistical bag the researcher reached to the following:

- The existence of statistically significant at a level of 0,05 significance.
- The lack of statistical significant differences of the level0,05 significance.
- There is no relationship between the level of violence and the academic achievement.

In the light of the results reached by the researcher of the conclusions ,recommendations ,and proposals.

Contents

Editorial

Secretary Editor.....7

Research and Studies

Analysis of The content of values in The ancient Japanese stories for children

Prof.Dr.Khalil Ibrahim Rassol 11

Ali Al Wardi: Ideas and concept Analysis study in his book «Social aspects of Iraqi Modern History»

Dr.Ali Abdul Hade Al Merhj 39

Economic and social characteristics of the city and its relationship with welfare and crime :The Ministry of Education / Educational Research and Studies Center

Prof. Dr. Abdul Razak Ahmad Said.....61

The language See socio – anthropological

Prof. Dr. Nahida Abdul-Kareem Hafidh.....83

social indications of linguistic variety.

Dr. Gani Nasser Hussain Quraishi 129

Childhood development and the challenges in Iraq

Prof. Dr. Adnan Yaseen Mustafa 139

Violence against children and educational construction in real Iraqi society

Asst. Prof. Dr. Ali Hussein Alhilo 157

School Violence Toward Pupils in Friendly Primary schools compared with pupils in public schools according to parents' point of view (comparative study).

Dr. Abdul-Kareem Muhssin Muhammad 181

The Goals and Standard Publishing

The goals of Baytul Hikma

- Baytul Hikma is antellectual and scientific institution with moral entity and financial and administrative independence . Baytul Hikma is in Baghdad . Its goals;
- Studying the history of Iraq and the Arab and Islamic civilization.
- Laying the approach of dialogue between cultures and religions . Thus contributing to concolidate the culture of peace and the values of tolerance and coexistence between individuals and groups.
- Following- up the politiceal and economic global developments and their future effects on Iraq and Arab world.
- Paying attention to reserches and studies related to the issuses of social ، economic and political phenomena
- Interesting in reserches and studies that enhance the citizen rights and fundamental freedoms and the consolidation of democracy and civil society values.
- peoviding insightsand studies that serve policy and decision - making processes.

Puplishering standard

-The joumal puplishes researches that have not been puplished before . rhe researcher will be informed of decision of puplishing within three months from the date of receipt of the reserch- one copyof the resercher should be sent in Arabic with a summary in Enghlish of no more than (200) words. (provided that.

A -The researcher must be printed and saved on CD disk ،double - spaced and printing.

B -Pages should not exceed 200) pages ، (double-spaced and printing.

C -All sources and margins should be serially numbered at the end of the paper in double spaces printing.

-The researcher gets a free copy of the Journal that puplished the research.

-Researchers will not to be resturned whether puplished or not.

-The department has the right to puplish the research in accordince with the plan of the Journal edition.

Social Studies

Semi - annual journal issued by Department of Social Studies In BaytulHikma
No.(**37**) Baghdad-2016

Chief Editor
Prof. Dr. Mutib M. Jasim

Secretary Editor
Asst. prof. Dr. Khadija H. Jasim

The Advisory Committee
Prof. Dr. Lahay A. Al.Duami
Prof. Dr. Khalil I. Rasool
Prof. Dr. Adnan Y. Mustafa
Prof. Dr. Salam A. Ali
Asst. prof. Dr. Faridah J. Darah

Linguistic Correction
Dr. Refaat Kadhim Al Soodany

Art Directing and Cover Design
Nameer s. khalif